مصادر تاريخ الحروب الصليبية
(٣)

بطرس توديبود

تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس

نقله إلى الإنجليزية مع مقدمة وهوامش

جون هيوج هيل ولوريتا ل هيل

إلى العربية وعلّق عليه

دكتور

حسين محمد عطية

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب ـ جامعة طنطا

تقديم الأستاذ الدكتور

جوزيف نسيم يوسف

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

١٩٩٩

إهـــداء

في ذكرى أستاذي

الدكتور جوزيف نسيم يوسف

وفـــاء وعـــرفاناً

تقـــــــديم

بقلم الأستاذ الدكتور

جوزيف نسـيم يوســـف(*)

عندما طلب مني الدكتور حسين محمد عطية مدرس تاريخ العصور الوسطي كلية الآداب بجامعة طنطا أن أقدم لكتابه الجديد الذي يتضمن الترجمة العربية لكتاب توديبود المعنون «تاريخ الرحلة إلي بيت المقدس» لم أتردد لحظة واحدة. فمعرفتي بسيادته ترجع إلي سنوات عديدة مضت عندما كان طالبًا بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية. وأثناء إشرافي علي رسالتيه لدرجتي الماجستير والدكتوراه. وجدت فيه خلقًا رفيعًا وسعة في العلم.

هذا، وقد سبق أن قدمت لباكورة إنتاجه العلمي «إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١٠٩٨-١٢٦٨م/٤٩١-٦٦٦هـ)». وذلك في عام ١٩٨٨. ويعتبر هذا الكتاب عملا غير مسبوق بكل معني الكلمة، ثم قدمت عام ١٩٨٩ لكتابه الذي تضمن الترجمة العربية لمؤلف ريموندا جيل «تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس». الذي يعتبر - بحق - إضافة قيمة للمكتبة العربية الخاصة بالحركة الصليبية.

والكتاب الذي أسعد اليوم بتقديمه لقراء العربية يشتمل علي قسمين: أولهما، دراسة جادة للمترجم وضعها تحت عنوان «المقدمة»، وثانيهما الترجمة العربية لكتاب توديبود عن الترجمة الإنجليزية للأصل اللاتيني والتي قام بها الأمريكيان جون هيوج هيل وقرينته لوريتا هيل.

وفيما يتعلق بالقسم الأول، قدم لنا الدكتور حسين عطية دراسة موثقة تتضمن أربعة عناصر رئيسية مرتبطة ببعضها، خلص منها إلي تحديد مكانة

(*) أتممت ترجمة كتاب توديبود ومقدمة الترجمة العربية في بداية عام ١٩٩٢م وكتب الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف تقديم الكتاب في نفس العام، أي قبل وفاته بعدة أشهر. ولم تسمح ظروف سفري خارج مصر، لمدة غير قصيرة، بنشر الكتاب إلا الآن.

توديبود بين غيره من مؤرخي الحملة الصليبية الأولي ، وبخاصة أولئك الذين كانوا شهود عيان لها وهو واحد منهم . فألقي الضوء علي أهمية الكتاب وقيمته التاريخية الفائقة ، الأمر الذي لم يتعرض له هيل وزوجته في مقدمتهما للترجمة الإنجليزية . كما تناول العديد من القضايا الهامة التي أغفلها المترجمان الأمريكيان ، وتوصل فيها إلي آراء واضحة محددة . ولا خلاف أن هذه الدراسة تضيف جديداً إلي توديبود ومؤلفه .

أما القسم الثاني وهو الترجمة العربية للكتاب ، فأول ما يسترعي الإنتباه أنها ترجمة دقيقة بأسلوب عربي سليم . وقد تضمنت العديد من القضايا الهامة في الهوامش السفلية ، مما لم يتعرض له هيل وزوجته .

وخلاصة القول إن دراسة الدكتور حسين عطية وترجمته لمؤلف توديبود ، يعتبران إضافة لها وزنها إلي المكتبة العربية للحروب الصليبية بصفة خاصة ، ومكتبة العلاقات بين الشرق والغرب في العصر الوسيط بوجه عام . فقد راعي فيهما الدقة والأمانة والحيدة ، إلي جانب الموضوعية وصفاء الرؤية والمنهجية العلمية، مستهدفاً الحقيقة التاريخية البحتة ، إعتماداً علي ماورد في المصادر والأصول من عربية وغير عربية . وقد حالفه التوفيق في ذلك .

جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطي
كلية الآداب - جامعة الأسكندرية

تصدير الترجمة العربية

حين قمت منذ عشر سنوات بترجمة تاريخ ريموندا جيل المعنون " تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس " عن الترجمة الإنجليزية التي قدمها الأمريكيان جون هيوج هيل والسيدة قرينته لوريتا هيل (١٩٦٨م) ، كان هذا من منطلق إيماني بأهمية تقديم أعمال مؤرخي الحروب الصليبية لقراء العربية الكرام ، وللباحثين في تاريخ الحروب الصليبية في وطننا العربي ، باللغة العربية ، للوقوف علي الحقيقة التاريخية الكاملة ، الأمر الذي أدركه وآمن به من قبلي أساتذتي الأجلاء المشتغلون بتاريخ العصور الوسطي بعامة ، وتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب بخاصة ، والذين وضعوا مؤلفاتهم عن هذا التاريخ أو ذاك ، أو نقلوا إلي العربية مصادرهما الأصلية ، سواء في ذلك من كتب منهم في تاريخ الحروب الصليبية أو من عالج منهم تاريخ الدولة البيزنطية . واليوم ، ومن نفس المنطلق يسعدني أن أقدم العمل الذي بين يدي القارئ الكريم الآن ، والذي يتناول مؤلفا لمؤرخ آخر من مؤرخي الحملة الصليبية الأولي وهو بطرس توديبود ، عن الترجمة الإنجليزية التي نشرها نفس المترجمين الأمريكيين في عام ١٩٧٤م .

وقد دفعني إلى نقل هذه الترجمة الإنجليزية إلى لغتنا العربية عدة أسباب .

أولها الأهمية التي يتمتع بها تاريخ توديبود وأهمية ما ورد به من قضايا تاريخية(١). إلي جانب ذلك، فقد توفر للترجمة الإنجليزية الإلمام بكل ما سجل من تاريخ توديبود، لاعتمادها علي المخطط الكامل لتاريخه. وقد قام الناشران بمقارنة ما ورد في هذا المخطوط بكل النسخ الخطية الأخري المتوفرة لتاريخه.

(١) Oliver, Tatcher, Critical work on the Latin sources of the Firsts Crusade, in A. R. A. H. A., vol. 1, 1900, p. 508.

وقد عكفت علي قراءة هذه الترجمة ومقارنتها بالنص اللاتيني المنشور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (R.H.C. Occ.) وكتاب الجستا للمؤلف المجهول الذي نقله إلي العربية أستاذنا الدكتور حسن حبشي [١] والذي نقلته إلي الإنجليزية عن الأصل اللاتيني روزالين هيل . [٢]

ولاشك أن دراسة الناشرين الأمريكيين لكل من ريموند الرابع كونت تولوز ، وريموندا جيل ، ومقارنتهما بتوديبود وغيره من مؤرخي الحملة الصليبية الأولي قد مكنتهما من الإلمام بكل جوانب تاريخ توديبود .

ومع ذلك ، فكما كان الحال بالنسبة لتاريخ ريموندا جيل ، فقد مرت الترجمة الإنجليزية علي كثير من القضايا التي أثارها تاريخ توديبود مرور الكرام ، دون التعرض لها ، أو الإدلاء فيها برأي قاطع ، الأمر الذي لايجعل منها نهاية المطاف بالنسبة لتاريخ توديبود ، والذي هيأ لي الفرصة لمعالجة هذه القضايا في هوامش منفصلة أحياناً ، أو مرتبطة بهوامش الترجمة الإنجليزية في بعض الأحايين . وماقمت به في هذا الصدد ماهو إلا مجرد محاولة لإبراز الحقيقة التاريخية كاملة، دون إدعاء التوفيق في ذلك تماماً .

ولم يكن في مقدوري القيام بذلك لولا ماحظيت به من عون صادق ، وتوجيه مثمر، وتشجيع دائم من أستاذي الراحل العالم الجليل الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف، أستاذ تاريخ العصور الوسطي بجامعة الإسكندرية الذي شجعني علي إنجاز هذا العمل، وأمدني بكثير من التوجيهات التي أضافت ما لهذا الجهد من قيمة.

(١) نشرته دار الفكر العربي بالقاهرة في عام ١٩٥٨ م عن نسخة بربيه .

(٢) Anonymi, Gesta Francorum et Aliorum Hierrosolymitanorum (ed. by Rosalind Hill as " The Deeds of The Francs and Other Pilgrims to Jerusalem") , London, 1962 .

وكان لما قدمه لي أستاذي الدكتور بيتر وليام إدبيوري ، أستاذ تاريخ العصور الوسطي بجامعة ويلز ، من عون وإرشاد وتوجيه ، أثر كبير في معالجة كثير من قضايا هذا العمل ، وإخراجه إلي حيز الوجود .

ولا يسعني إلا أن أسجل شكري وإمتناني لهذين العالمين الجليلين .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان والتقدير لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر نائب رئيس جامعة الإسكندرية، الذي ساعدني ووفر لي فرصة السفر إلي المملكة المتحدة ، في بعثة إشراف مشترك للحصول علي درجة الدكتوراة - أثناء فترة عمادة سيادته لكلية الآداب جامعة طنطا - تحت إشراف أستاذي الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف وأستاذي الدكتور بيتر وليام إدبيوري، الأمر الذي ساعد في الحصول علي كثير من وثائق ومصادر تاريخ الحروب الصليبية، ومن بينها كتاب توديبود.

وإنني لأدين بالفضل لجامعة طنطا التي أوفدتني في بعثة علمية إلي المملكة المتحدة كان من نتائجها هذا العمل الذي كان مبلغي من العلم . واسأل الله العلي القدير أن ينفع به أمتنا الإسلامية . والله ولي التوفيق .

الإسكندرية في سبتمبر ١٩٩٨.

حسين عطية

مقدمة الترجمة العربية

الحملة الصليبية الأولي : مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٠٠م) :

من المعروف أن الحملة الصليبية الأولي كانت أكثر الحملات الصليبية نجاحاً لما حققته من إنجازات عسكرية في فترة زمنية قياسية (١) . وبالرغم من ذلك لم يكن نجاحها كاملاً . فقد خلصنا من قبل - خلال الترجمة العربية لكتاب ريموندا جيل - أن أحداث الحملة كانت رغم إنجازاتها تحمل في طياتها بذور الضعف والإنقسام الذي أصاب الكيان الصليبي في بلاد الشام ، وظهرت ملامحه ونتائجه حين واجه الفرنج صلاح الدين الأيوبي بعد مايقرب من مائة عام من استقرارهم في بلاد المسلمين . (٢)

وإذا كان استيلاء الصليبيين علي مدينة بيت المقدس (١٥ يوليو ١٠٩٩م / ٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ) يمثل تحقيقاً لهدف الحملة الصليبية المنشود (٣) ، وإذا كان تأسيس مملكة صليبية في فلسطين يمثل تأكيداً لذلك (٤) ، فبالرغم من ذلك ، لم تكن أقدار هذه المملكة مضمونة وهي محاطة بالمسلمين من كل جانب ، وتشبه

---

(١) John La Monte, From Crusading Kingdom to Commerical Colony, BPIASA, vol. III , 1964 , pp. 288 - 299 .

(٢) ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٥ - ٢٢ .

(٣) J. Prawar, The Latin Kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1972, p. 34 .

(٤) تم إنتخاب جودفري دون اللورين السفلي حاكماً للملكة في ٢٢ يوليو ١٠٩٩م . ثم عُيِّن شقيقه بولدوين ملكاً عليها في ٢٥ ديسمبر ١١٠٠م . انظر : Fulcher of Chartres, p. 148 . cf. also, J. Riley, Smith, The Title of GodFrey of Bouillon, in BIHR, vol. III, 1979 , p. 83 .

جزيرة في بحر الإسلام [١] . ففي خلال العام الأول من عمر هذه المملكة ، كان بوسع المسلمين الإطاحة بها بسهولة [٢] . ولتأكيد ذلك ، يجدر بنا تتبع أحوال هذه المملكة ، وأحوال الفرنج فيها . فحتي تتويج بولدوين الأول ملكاً علي عرش المملكة (٢٥ ديسمبر ١١٠٠م) ، لم تكن المملكة تضم سوي قلة من المدن التي تفتقر إلي الحصانة ، وغالبيتها رموزاً دينية لا تصلح إلا للزيارة ، وتشغل إقليماً لاتتمتع حدوده بالحصانة . كما كانت المملكة بمعزل عن الفرنج في أنطاكية والرها البعيدين ، وعداء المسلمين يحيط بهم من كل جانب [٣] . وافتقرت المملكة - في هذه الفترة - إلي وجود الموانى البحرية التي تحصل عن طريقها علي المساعدات الأوربية ، بينما الأسطول الفاطمي يجوب الساحل الفلسطيني شمالاً وجنوباً . [٤]

إلي جانب ذلك كله ، فإن أشد ماكان يقلق فرنج المملكة هو النقص الشديد في القوي البشرية التي كانت لديهم . فبعد معركة عسقلان (١٢ أغسطس ١٠٩٩م) ترك معظم الصليبيين بيت المقدس عائدين إلي أوطانهم في الغرب . ففي أوائل سبتمبر ١٠٩٩م ، رحل كل من روبرت كونت الفلاندر ، وروبرت النورماندي ، وبولدوين لي بور ، وريموند كونت تولوز إلي الشمال ، حيث توجه الروبرتان إلي غرب أوربا عن طريق القسطنطينية ، ولم يتبق في فلسطين سوي جودفري وتنكريد . ولم تكن القوات التي تبقت لديهما تتعدي ثلاثمئة فارساً وألفين من

---

(١) James Brundage, The Crusader's Wife revisited, S.G., vol. 14, 1967, pp. 24 - 25.

(٢) Fulcher of Chartres, p. 150 .

(٣) H. E. Mayer, The Crusades trans. by J. Gillingham, Oxford, 1972, p.64.

(٤) لم يكن ميناء يافا من العمق ما يسمح للسفن الضخمة الوصول إلي الشاطئ .

انظر : S. Runciman, A History of the Crusades, 3 vols., Cambridge, 1968, vol. 2, p. 7.

المشاة [١] . واستمر هذا النقص في القوة البشرية في المملكة الصليبية لعدة سنوات ، خاصة في عدد الفرسان . وخير تعبير عن ذلك ماذكره فولشر أوف شارتر، وهو يصف أحوال المملكة عند تتويج بولدوين الأول ملكاً عليها بقوله: "لم يكن لدينا من الرجال مايكفي للدفاع عن البلاد ضد المسلمين إذا ماتجرأ الأخيرون وهاجمونا .. فلم يكن لدينا أكثر من ٣٠٠ فارساً ومثلهم تقريباً من المشاة للدفاع عن بيت المقدس ويافا والرملة وحيفا . ولم نكن نتجرأ إلا نادراً ، يجمع فرساننا للقيام ببعض الأعمال ضد أعدائنا .. وكنا نخشي أن يوقعوا الضرر بمعاقلنا المهجورة. وكنا نخشي أن يعلموا كم نحن قليلي العدد ، فربما اندفعوا نحونا من كل جانب في هجوم مفاجئ دون أن يساعدنا أحد سوي الرب .. فمن يأتون لمساعدتنا عن طريق البحر لم يكن بمقدورهم أن يجلبوا معهم الجياد ، كما لم يأت أحد لمساعدتنا عن طريق البر . ولم يكن في استطاعة فرنج أنطاكية تقديم العون لنا ، كما لم يكن في مقدورنا مساعدتهم " [٢] .

بالإضافة إلي ذلك ، لم يصل إلي فلسطين ممن جاءوا في حملة ١١٠١م إلا القليل . وهؤلاء لم يكن من الممكن الإنتفاع بهم لأنهم جاءوا دون جيادهم ، ولايستطيع أحد أن يمدهم بها ، في الوقت الذي اعتمدت فيه القوة القتالية للفرنج علي الفرسان ، ولم يكن في استطاعة الملك الصليبي إمداد هؤلاء بالجياد والسلاح، ولم تكن محاولة الملك في ذلك الشأن مؤثرة . [٣]

وهكذا ، أقامت الحملة الصليبية الأولي مملكة صليبية في فلسطين ، ولكنها لم تترك إلا القليل من المدافعين عنها ، الذين كان أمامهم نضال طويل ليحافظوا

---

(١) J. Richard , The Latin Kingdom of Jerusalem,trans. by J. Sheriley, Oxford, 1979, p. 15 .

(٢) Fulcher of Chartres, pp. 148 - 150 .

(٣) Ibid, pp. 165 - 166

علي ماستولوا عليه من المسلمين ، بينما هم في إنتظار التعزيزات الأوربية التي لم تكن لتصل إليهم عن طريق البحر . وكان الإستيلاء علي مدن الساحل الفلسطيني مهمة صعبة ، فلم يكن من السهل حصار مواني فلسطين التي تحصل علي إمداداتها من مصر . كما أنه لم يكن من السهل تدخل المدن البحرية الإيطالية تدخلاً فعالاً آنذاك . وبعضها مثل أمالفي ، كان علي علاقة طيبة بمصر ، كما ترددت البندقية ، وهي نصف حليف لبيزنطة ، وزائر معتاد علي الأسكندرية ، في أن تخاطر بتجارتها المربحة مع مصر ، ولم تمد يد المساعدة للملكة إلا بعد عشر سنوات من تأسيسها (١) . وإذ حرمت المملكة - منذ عهد جودفري وحتي بداية عهد بولدوين - من مساعدة فرنج أنطاكية ، لإنشغالهم بالتخلص من الخطر البيزنطي ، ولوقوع بوهيمند في أسر بني الدانشمند (٢) ، لم يتبق أمام بولدوين سوي البيازنة ، الذين لم يكن يضمن استعدادهم لمساعدته إلا بناء علي تحسن علاقاته مع منافسه البطريرك دايمبرت (٣) .

(١) J. Prawar, The Latin Kingdom , p. 19 .

(٢) في نهاية نوفمبر ١٠٩٩م بدأ بوهيمند مشروعه لتأمين مركزه في أنطاكية بالهجوم علي ميناء اللاذقية لطرد البيزنطيين منه . وحاصر بوهيمند الحامية البيزنطية الموجودة باللاذقية بمساعدة الأسطول البيزاوي الذي حضر بحصبة دايمبرت إلي الشام ، ولم يجبره علي رفع الحصار سوي وصول كونت الفلاندر وكونت نورمانديا . انظر : Anne Comnene, The Alexiad, trans. by E. Dawes, London, 1928, pp. 292 - 293.

ثم توجه بوهيمند شمالاً لمساعدة جبرائيل حاكم ملطية الأرميني ضد الأمير غازي كمشتكين بن الداتشمند الذي تمكن من أسر بوهيمند في أغسطس ١١٠٠م / أوائل رمضان ٤٩٣ هـ . انظر : Fulcher of Chartres, p. 135; Matthew of Edessa, Chronicle, in RHC. - Doc - Arm., vol. 1, pp. 52 - 52 .

(٣) سعي البطريرك دايمبرت إلي إقامة حكومة ثيوقراطية في بيت المقدس التي بذلها له جودفري قبل وفاته ، إلا أن استدعاء أتباع الأخير لشقيقه بولدوين أضاع الفرصة علي دايمبرت الذي حاول الحصول علي مساعدة تنكريد لتنفيذ أهدافه ضد بولدوين . انظر : Runciman, A History , vol. 1, pp. 315 ff.

من هنا كان أي تركيز مفاجئ للقوي الإسلامية وقتئذ ، من شأنه أن يضع نهاية للمملكة الصليبية . إلا أن أهم ما استفادت منه المملكة هو التصدع الذي أصاب وحدة العالم الإسلامي المحيط بها . فإذا كانت كل إنجازات فرنج الحملة الأولي لم ترجع إلي شجاعة تميزوا بها عن المسلمين ، أو إلي فنون الحرب والقتال التي اتبعوها ، وإنما إلي ضعف المقاومة الإسلامية التي واجهتهم ، بسبب إنشقاق مسلمي الشرق الأدني علي أنفسهم سياسياً ومذهبياً (١) ؛ فإن ردود الفعل الإسلامية تجاه الوجود الصليبي في بلاد الشام منذ حصار الفرنج لأنطاكية وحتي سقوط مدينة بيت المقدس في أيديهم ، كانت متأخرة وضعيفة (٢) . ودلت علي عدم صدق النية في الجهاد ضد الفرنج (٣) . وبقي المسلمون علي حالهم من الفرقة والحرص علي المصالح الشخصية دون الصالح الإسلامي العام ، الأمر الذي وفر الفرصة لصليبي المملكة لأن يدعموا استقرارهم بما حصلوا عليه من مساعدات بحرية من الغرب ، وليقيموا كياناً صليبياً في بلاد المسلمين ، استمر دون أن يواجه موقفاً إسلامياً حاسماً وموحداً حتي ظهور صلاح الدين الأيوبي .

---

(١) Charles Oman, A History of the Art of War in the Middle Ages, 2 vols., Lodnon, 1924 , vol . 1 , p. 233 .

(٢) حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، ص ١١٥ - ١٢٢ .

(٣) بدا ذلك واضحاً حين انسحبت قوات طغتكين أتابك دمشق وقوات أمير حمص من أمام الفرنج بقيادة كونت صنجيل في عام ١١٠٢ م حين هاجم طرابلس . وتركوا أهل طرابلس دون عون الأمر الذي أدي إلي إنتصار الفرنج وأزدياد تهديدهم للمدينة . انظر : محمد محمد الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، الأسكندرية ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

الكتابة التاريخية زمن الحملة الصليبية الأولي :

وإذا كنا قد تحدثنا عن أحوال منطقة الشرق الأدني منذ اختيار جودفري دي بوايون حامياً للقبر المقدس وحتي اختيار بلدوين كأول ملك لمملكة بيت المقدس الصليبية ، والتي أوضحت أنه كان بإمكان المسلمين - علي الرغم من انقسامهم السياسي والمذهبي وقتها - توجيه ضربة تنتهي بإجلاء الفرنج عن المنطقة - إذا كنا قد تحدثنا عن تلك الأوضاع ، فإن ذلك ليقودنا إلي الكلام عن التطور الذي لازم الكتابة التاريخية آنذاك لدي أهل الغرب والآثار المترتبة عليه .

فقد كان نص خطبة البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) التي ألقاها في مؤتمر كلير مونت الكنسي (١٨ - ٢٨ نوفمبر ١٠٩٥م) هو أولي الوثائق المتعلقة بتاريخ الحروب الصليبية (١) . وكانت هذه الخطبة هي المحرك الأساسي للمجتمع اللاتيني في غرب أوربا بكل فئاته وطوائفه وطبقاته للقيام بما عُرف بالحملة الصليبية الأولي ، كخطوة أولي يبدأ بها المشروع البابوي الذي فرضته بابوية روما - بسطوتها الدينية - علي الغرب الأوربي . وكان علي الجميع أن ينتظروا النتيجة . ووصلت إلي أوربا بعض التقارير ، التي أخذت شكل الرسائل، التي بعث بها قادة الحملة إلي البابا وبعض رجال الدين ، أو ما بعث به بعض أفراد

---

(١) عن الترجمة الإنجليزية لنصوص هذه الخطبة كما أوردها كل من روبرت الراهب وبالدريك دول وجيبرت أوف نوجنت وفولشر أوف شارتر انظر :

Louise and J. Riely - Smith , The Crusades, Idea and Reality , London, 1981, pp. 41 - 53 .

الحملة إلي ذويهم في غرب أوربا [(١)] . ولم تكن هذه التقارير لتكفي للوقوف علي طبيعة ما حدث ، ونتائجه . فإلي جانب ما اتسمت به من إيجاز ، فهي في حقيقتها تقارير شخصية لم يكن ليصل مابها من أخبار إلي مسامع الجميع . وبعد إنتهاء أعمال الحملة الصليبية ، وصلت إلي أوربا بعض التقارير الشفهية التي رددها من عادوا إلي أوطانهم من الصليبيين [(٢)] . ولم تكن هذه أيضاً تتضمن كل التفاصيل التي يحتاجها المجتمع الأوربي الغربي ليعرف حقيقة ماحدث ونتائجه كاملة . ولم يكن ليفي بهذا الغرض إلا ماسجله بعض من شاركوا في الحملة من روايات أخرجت لنا مايمكن أن يعرف بتاريخ هذه الحملة وأحداثها ونتائجها ، ليتأكد لنا أن هذه

---

(١) تمثل ذلك في رسائل ستيفن كونت بلوا وشارتر إلي زوجته أديلا ، ورسالتي أنسلم راهب ريبمونت إلي مناسيس أسقف ريمس ، ورسالة أمراء الحملة إلي البابا أوربان ، ورسالتهم إلي رجال الدين في أوربا . انظر : Epistolae et Chartres ad historiam primi belli spectantes, in Dickreuzzugabriefe, ed. H. Hgenmeyer, Insbruck, 1901, pp. 138 - 140, 149 - 155, 161 - 165.

وعن الترجمة العربية لنص رسالة كونت بلوا الأولي إلي زوجته ، انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولي ، الأسكندرية ، ١٩٦٧ ، ملحق رقم (٤) ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

وعن الترجمة العربية لنص رسالته الثانية إلي زوجته ، ورسالة أنسلم الثانية إلي أسقف ريمس ، انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨ - ١١٧١م) رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الأسكندرية ١٩٨١م، ملحق رقم (١) ، (٢) ، ص ٢٩٠ - ٢٩٣ ، ٢٩٨ - ٣٠١.

(٢) عاد كثير من نبلاء الحملة إلي أوربا بعد معركة عسقلان (١٢ أغسطس ١٠٩٨م/ ١٤ رمضان ٤٩٣ هـ) ومعهم أتباعهم . وكان من بين هؤلاء روبرت النورماندي ، وروبرت كونت الفلاندر وغيرهم . انظر :

Fulcher of Chartres, Gesta Francorum Iherusalem (ed. by F. Rita Rayan as A History of The Expedition to Jerusalem), Tennessee, 1969, p. 149.

الحملة كان لها إنجازاً أدبياً لايقل أهمية - بالنسبة لدارسي تاريخ الحروب الصليبية بخاصة ، وتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب بعامة - عن إنجازها العسكري والسياسي [(١)] .

فقد عكف بعض من شاركوا في هذه الحملة علي تسجيل تاريخها ، وأعمال الفرنجة في الشرق الأدني الإسلامي ، منذ قدومهم إليه وحتي تثبيت أقدامهم فيه . وكان هؤلاء شهود عيان لأحداث الحملة ، ومن أتباع قادتها ، ويسّر لهم ذلك الاطلاع علي مختلف القرارات الصليبية ، فاكستبت أعمالهم صفة الأصالة ، وتصدرت - إلي جانب الوثائق والخطابات الصليبية - قائمة مصادر المعلومات التي عالجت تاريخ هذه الحملة . وكان هؤلاء أربعة ، أخرجوا لنا تاريخاً كاملاً للحملة الصليبية الأولي ، وأبرز نجاحاتها العسكرية ، وأسهمت كتاباتهم المفعمة بالروح الصليبية في اشتعال الغرب الأوربي حماسة ، بحيث انجذب إلي الحركة كل الوجدان الأوربي . وكان من بين من شدهم طوفان هذه الحماسة بعض من سجلوا تاريخ الحملة دون أن يشاهدوا أيا مما سجلوه في أعمالهم ، التي اعتمدت في المقام الأول علي ماجاء في أعمال شهود العيان الأربعة ، وجعلت الكتابة التاريخية اللاتينية، المتعلقة بتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في هذه الفترة ، تتفوق علي مثيلتها العربية التي إلتزمت بطريقة السرد الحولي ، وذلك في ظل وجود مؤرخ عربي معاصر [(٢)] .

وينقسم مؤرخو هذه الفترة من اللاتين إلي ثلاثة أقسام . الأول منها يضم من صاحبوا جيوش الحملة إلي الأراضي المقدسة ، وهم شاهدو العيان الأربعة

---

(١) ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، نقله إلي العربية حسين عطية ، الأسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٢ .

(٢) ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٨ .

لأحداثها . وهم المؤرخ المجهول [١] صاحب كتاب " أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس " Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum [٢].
وريموندا جيل صاحب كتاب " تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس " Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem [٣]. ثم فولشر أوف شارتر الذي وضع كتاب " أعمال الفرنجة الحاجين إلي بيت المقدس " Gesta Francorum

---

(١) كان تابعاً لبوهيمند النورماندي ، وينحدر من أسرة نورماندية تبعت أسرة تنكريد أوف هوتفيل إلي إيطاليا في القرن ١١م . وكل ماعرف عنه أنه من طبقة الفرسان . بقي في خدمة بوهيمند حتي نهاية عام ١٠٩٨م ، ثم التحق بقوات ريموند كونت صنجيل إلي بيت المقدس . وجاء كتابه عبارة عن يوميات لم تدون مرة واحدة ، ولكن علي فترات خلال الحملة الأولي . للمزيد عنه وعن كتابه ، انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم، ص ٤ ومابعدها . راجع أيضا : Oliver Tatcher, Critical work, p. 502.

(٢) ظهرت للجستا عدة طبعات . فقد نشره بولجار في عام ١٦١١ م باللاتينية ، ثم نشره هاجيمنر في عام ١٨٩٠م . ثم بريبه في عام ١٩٢٤ . وهي الطبعة التي نقلها إلي العربية الأستاذ الدكتور حسن حبشي في عام ١٩٥٨ . كما نقلته إلي الإنجليزية روزالين هيل . وقد اعتمدنا في هذا البحث علي الطبعتين الأخيرتين .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١ ومابعدها . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. ix - xvi.

(٣) ينتمي المؤلف إلي إقليم اللوار الأعلي بفرنسا . بدأ رحلته إلي الشرق ضمن قوات المندوب البابوي أدهيمار ، ثم أصبح كاهناً لريموند كونت تولوز . وكتابه يعالج تاريخ الحملة الصليبية منذ الدعوة لها وحتي معركة عسقلان . وللمزيد عن المؤرخ وكتابه . انظر : Jean Richard , Raymond d'Aguilers, Historien de la Première Croisade, in JS, 1971, pp. 206 - 212

راجع أيضاً : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٣ .

" Iherusalem Peregrinantium [1]. وأخيراً بطرس توديبود الذي ألف كتاب " تاريخ الرحلة إلي بيت المقدس " Historia de Hierosolymitano Itinere [2].

وقد عالج هؤلاء في أعمالهم أحداث الحملة الصليبية الأولي منذ دعا إليها البابا أوربان الثاني وحتي استيلاء الصليبيين علي مدينة بيت المقدس ، وماقام به فرنج الحملة من أعمال منذ خروجهم من أوربا مروراً بأراضي الدولة البيزنطية وآسيا الصغري وبلاد الشام ، وعلاقاتهم بكل من البيزنطيين والأرمن والمسلمين علي السواء. وبينما تتوقف أعمال كل من مؤلف الجستا وريموندا جيل وتوديبود بذكر أحداث معركة عسقلان (١٢ أغسطس ١٠٩٩م / ١٤ رمضان ٤٩٢ هـ) ، فإن كتاب فولشر يغطي الفترة حتي عام ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ ، وخلال الفترة من عام ١١٢٠ م / ٥١٤ هـ وحتي عام ١١٢٧ م / ٥٢١ هـ يعتبر هو المصدر اللاتيني الوحيد المعاصر الذي يعالج تاريخ الإمارات الصليبية في بلاد الشام . [3]

---

(١) ولد فولشر بفرنسا في عام ١٠٥٩ . وكان ممن حضروا مؤتمر كليرمونت الكنسي . ثم توجه إلي الشرق في صحبة روبرت النورماندي ، ثم اصطحب بولدوين البولوني إلي الرها وأصبح كاهناً لكنيسته . وظل ملازماً له حتي وفاة بولدوين في عام ١١١٨م .

ويبدأ كتابه بالحديث عن دعوة البابا أوربان لقيام الحملة وينتهي بأحداث عام ١١٢٧م . انظر :

Claud Cahen, La Syrie du Nord à L'Epoque des Croisades et la Principaute Franque d'Antioche, Paris, 1940; Harold Fink, Fulcher of Chartres, Historian of the Latin Kingdom of Jerusalem, in SMG. , vol. 5 , 1975 , pp. 53 - 55 .

والكتاب منشور في الجزء الثالث من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) . وقد اعتمدنا في هذا البحث علي الطبعة التي نشرتها ريتا رايان .

(٢) انظر مايتقدم ص ٢٧ ومابعدها .

(٣) Harold Fink, Fulcher of Chartres, p. 53 .

راجع أيضاً : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، الأسكندرية ، ١٩٨٩م ، ص ٢٩.

أما عن القسم الثاني من المؤرخين اللاتين الذين عالجوا تاريخ هذه الفترة، فيضم من لم يشارك في أعمال الحملة الأولي وجاء إلي الشرق بعد إنتهاء أحداثها ، ونقل عن المؤرخين الأربعة السابق ذكرهم ، أو سجل ماورواه له من بقي في الشرق من فرنج الحملة الأولي .

ويضم هذا القسم كلا من إيكهارد أوف أورا صاحب كتاب " بيت المقدس " Hierosloymitana [(١)] . ورادولف أوف كان صاحب كتاب " أعمال تنكريد في الحملة إلي بيت المقدس " Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana[(٢)] . أما إيكهارد فقد وصل إلي فلسطين في عام ١١٠١ م / ٤٩٥ هـ ، وعند عودته إلي ألمانيا صنف كتابه معتمداً علي كتاب صغير Libellus وجده في مدينة بيت المقدس [(٣)] . ومزج إيكهارد ذكرياته الشخصية بما

---

(١) وهو راهب دير أورا Urach التي تقع علي نهر المين Main بألمانيا . جاء إلي بيت المقدس في عام ١١٠١ م . وانتهز فرصة وجوده هناك ليجمع بقدر مايستطيع روايات شهود العيان علي أحداث الحملة الصليبية الأولي ، كما عثر علي كتاب صغير Libellus عن تاريخ هذه الحملة ، في مدينة بيت المقدس ، وعند عودته إلي موطنه وضع خلاصة ماجمعه من معلومات في كتاب عن الحملة أطلق عليه اسم بيت المقدس . والكتاب منشور في الجزء الخامس من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الغربيين . انظر :
Oliver Tatcher, Critical Work, p. 503.

(٢) ولد رادولف عام ١٠٨٠م بمدينة كان بفرنسا ، وانخرط في سلك الرهبنة . رافق بوهيمند النورماندي في حملته علي بيزنطة في ١١٠٧م ، ثم وصل إلي بلاد الشام لينضم إلي تنكريد في أنطاكية ، ووضع كتابه في عام ١١١٢م ، ومات في عام ١١٣١م. والكتاب منشور في الجزء الثالث من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الغربيين .

انظر : Henri Glaesener, Raoul de Caen Historien et Ecrivain, in RHE., vol. 46 , 1951, pp. 5 - 21 .

(٣) انظر مايتقدم ، ص ٥٢ .

نقله من هذا الكتاب وبما استمع إليه من روايات الشهود [١] . كما نقل عن ريموندا جيل ومؤلف الجستا وتوديبود [٢] . أما رادولف أوف كان ، فقد وصل إلي بلاد الشام في عام ١١٠٨م . وعمل راهباً خاصاً بتنكريد الوصي علي إمارة أنطاكية بعد رحيل خاله بوهيمند إلي الغرب ، وروي له تنكريد ذكرياته عن الحملة الصليبية الأولي وأحداثها ، فوضع رادولف تاريخاً لأعمال سيده تنكريد صار تاريخاً لإمارة أنطاكية وشمال الشام منذ قدوم الصليبيين إليه ، وحتي عام ١١١٢م وهو العام الذي مات فيه تنكريد [٣] .

أما عن القسم الثالث من مؤرخي الحملة الأولي من اللاتين ، فيضم من لم يأتوا إلي الشرق أبداً ، وكتبوا عن الحملة دون أن يشاركوا فيها . وأول هؤلاء هو ألبرت دكس صاحب كتاب " كتاب الحملة المسيحية لأخذ وتطهير وإسترداد مدينة بيت المقدس " Liber Christianorum Emundatione et Restitutione Sanctae Hierosolymitanae Ecclesiae [٤] . وروبرت الراهب صاحب كتاب

---

(١) Claud Cahen, La Syrie, p. 9 .

(٢) انظر مايتقدم ، ص ٥٣ .

(٣) حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية ، ص ٣٠ .

(٤) كان ألبرت أميناً لخزانة مدينة أكس Aix (آخن) وعاش فيما بين عامي ١١١٩ م وعام ١١٥٠ م . وربما يكون قد دون كتابه في عام ١١٢٥م . تميز كتابه بالدقة والمعلومات الوفيرة بالرغم من أنه لم ير شيئاً مما رواه . بل اعتمد عليْ روايات من عاد إلي الغرب من الصليبيين وعلي أعمال شاهدي العيان من مؤرخي الحملة إلا أنه لم يذكر أيا منهم في كتابه . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ص ١٥ - ١٦ . راجع أيضاً : Claud Cahen, p. 12.

"تاريخ بيت المقدس " Historia Hierosolymitana [١] . وجيبرت دوي نوجنت الذي ألف كتاب " أعمال الرب التي تمت علي أيدي الفرنجة " Gesta Dei per Francos [٢] . وبالدريك أوف دول صاحب كتاب " تاريخ بيت المقدس " Historia Jerosolimitana [٣] . وكفارو الجنوي صاحب كتاب " تحرير مدن الشرق " Liberatis civitatum Orientis [٤] . وأوردريك فيتاليس صاحب كتاب

---

(١) كان راهباً بدير القديس ريمي Saint Remi في ريمز بفرنسا . ويحتمل أنه حضر مؤتمر كلير مونت عام ١٠٩٥م . ومات حوالي عام ١١٢٢ م . وألف كتابه أثناء إقامته بدير سنوك Senuc بعد أن طرد من ديره وصدر ضده قرار الحرمان . وجاءت رواياته مطابقة لروايات مؤلف الجستا وتوديبود . وكتابه منشور في الجزء الثالث من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الغربيين . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ص ١٤ - ١٦ .

(٢) ولد في مدينة كلير مونت بفرنسا ، وانغمس في الدين بعد حياة حافلة بالعبث . ووضع عدة كتب في اللاهوت ، كما ألف كتابه " أعمال الرب " نقلاً عن الجستا وتوديبود . ولم يذهب إلي الشرق أبداً . وهو من المدعين بأنهم حضروا مؤتمر كليرمونت الكنسي . وكتابه منشور في الجزء الثالث من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية . انظر : جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ١٧ - ١٨ .

(٣) ولد بمدينة أوليانز وأصبح رئيساً لأساقفة دول Dol بمقاطعة نورمانديا . وضع كتابه "تاريخ بيت المقدس" بعد عام ١١٠٧م . وحضر مؤتمر كليرمونت الكنسي واستمد معلوماته من أعمال مؤرخي الحملة شاهدي العيان . والكتاب منشور في الجزء الثالث من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية . انظر : Claud Cahen , La Syrie, p.

(٤) ينحدر كفارو من أسرة جنوية عريقة . أتي إلي الشرق سنة ١١٠٠م . وكتابه منشور في الجزء الخامس من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الغربيين . وقد دونه في عام ١١٥٥م . كما وضع حوليات جنوا الذي يعالج الفترة من عام ١١٠٠ إلي عام ١١٦٣م . ويعالج في أعماله التاريخية دور جنوا في الحروب الصليبية وفي التجارة الدولية في تلك الفترة . انظر : Claud Cahen , La Syrie, p. 11.

" تاريخ الكنيسة " Historia Ecclesiastica (١) . وهؤلاء نقلوا عن المؤرخين الأربعة الذين شاركوا في أحداث الحملة الصليبية الأولي . وإن لم يذكر منهم ذلك صراحة إلا فيتاليس (٢) إلي جانب ماسجلوه من روايات من عاد من الفرنج إلي غرب أوربا (٣) .

وهكذا أفرزت الحملة الصليبية الأولي نتاجا أدبياً لاتينياً ضخماً أمدنا بالمادة العلمية الوفيرة التي تميزت بالدقة والأصالة ، وساعدت علي رسم صورة واضحة للعلاقات بين الصليبيين والمسلمين من جهة ، وبين الصليبيين والبيزنطيين من جهة أخري ، وبين الصليبيين وبعضهم البعض من جهة ثالثة . هذا ، في الوقت الذي لم يكن لدينا علي الساحتين البيزنطية والإسلامية من المؤرخين المعاصرين سوي

---

(١) فيتاليس مؤرخ أنجلو نورماندي . ولد بانجلترا في عام ١٠٧٥م وعاش في نورماندیا. أبوه انجليزي وأمه نورماندية . وفي الخامسة من عمره درس فيتاليس في كنيسة شروسبري Shrew sbury . وفي العاشرة أرسله أبوه إلي نورماندیا حيث أصبح راهباً في دير القديس إفرول St. Evroul . وعاد إلي انجلترا في عام ١١١٥م . وكرس كتابه لسرد تاريخ كنيستي انجلترا ونورماندیا ووضعه في الفترة الواقعة بين عامي ١١١٤م و ١١٤٨م . ويتكون من ١٣ فصلاً تغطي الفترة من ١١١٤ م إلي ١١٤١ م . ومات فيتاليس في عام ١١٤٣م . وضمن كتابه سرداً مفصلاً لأحداث الحملة الأولي . اعتمد فيه علي أعمال توديبود وروبرت الراهب . أما بقية الأحداث التي تعالج تاريخ الحروب الصليبية حتي عام ١١٣٩م ، فقد اعتمد في جمعها علي روايات من عاد من الفرنج إلي أوربا ، ومما وصل إليها من تقارير عن أحوال الفرنج في بلاد الشام . انظر :
Antonia Gransden, Historical Writing in England C. 550 to C. 1307 , 2 vols, London, 1947 , vol. 1, pp. 151 - 165.

(٢) Orderic Vitalis, Historia Ecclesiastica, ed. M. Chibnall, Oxford, 1975, 6 vols, 1969 - 1979 , vol. 5 , p. 7

(٣) Claud Canen , La Syrie, pp. 10 FF.

إثنان: آن كومنين الأميرة البيزنطية التي ألفت كتاباً الألكسياد Alexiad[(١)] ، وابن القلانسي رئيس ديوان الإنشاء بمدينة دمشق ، الذي وضع كتابه " ذيل تاريخ دمشق" [(٢)] . والأولي ، يعتبر كتابها مصدر معلوماتنا الأساسي للوقوف علي طبيعة العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين ، وأعمال الفرنج في أراضي بيزنطة ، وإن كان يعبر – في المقام الأول – عن وجهة النظر البيزنطية . أما ابن القلانسي،

---

(١) ولدت الأميرة آن في نهاية عام ١٠٨٣م . وتزوجت من نقنور برينيوس ، وتوفيت في عام ١١٤٨م عن ٦٦ عاماً . وهي ابنة الأمبراطور ألكسيس الأول كومنين من زوجته إيرين دوكاس . قام أخوها حنا بحبسها في أحد الأديرة بعد وفاة والدهما . فعكفت علي كتابة التاريخ . وهي غزيرة العلم ، وعلي دراية بأدب اليونان والشعر والفلسفة . وضعت كتابها باليونانية السائدة وقتذاك ليكون سجلاً لأعمال أبيها . ويغطي السنوات من عام ١٠٦٩ م حتي وفاته . بدأت في تدوينه في عام ١١٧٣م وأتمته في عام ١١٨٤م . وهو سجل مفصل لعلاقة بيزنطة بكل من الصليبيين والسلاجقة . ولا غني عنه لدارسي تاريخ الحملة الصليبية الأولي مع أنها تعبر عن وجهة النظر البيزنطية . وكانت تنتصر لأبيها في كل القضايا التاريخية التي أثارتها في كتابها . والكتاب منشور في طبعتين :

1. Anne Comnene, Alexiad, CSHB, Bonne, 1739.
2. Anne Comnene , The Alexiad, erans. by Elizabeth Dawes, London, 1922.

وقد رجعنا في هذا البحث إلي الطبعة الأخيرة . وعن حياة آن انظر :

Claud Cahen, La Syrie, p. 95; G. Ostrogorsky, History of The By Zantine State, trans. by Z. Hussey, Oxford, 1956, p. 311.

(٢) ابن القلانسي : دمشقي الأصل ، ولد عام ١٠٧٩م / ٤٧٢ هـ . وشغل العديد من المناصب مثل رئيس ديوان الإنشاء . وخص بكتابه تاريخ مدينة دمشق ، واستكمل به كتاب الهلال الصابي عن تاريخ المدينة الذي تنتهي أحداثه بعام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦م . وتوفي ابن القلانسي في عام ١١٦٠م / ٥٥٥ هـ . انظر : عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، الأسكندرية ، ١٩٧٦م ، ص ١٦ ؛ السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

فيعتبر كتابه ، أهم مصادر معلوماتنا المعاصرة لتاريخ العلاقات الصليبية الإسلامية منذ مجئ الفرنج إلي بلاد الشام وحتي أواسط القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري . إلا أن سقوط بيت المقدس - وهذا أمر طبيعي - قد شغله عن التعرض لعلاقات الصليبيين بمسلمي كثير من مدن الشام الأخري ، إلي جانب عدم وقوفه علي كل تفاصيل أعمال الفرنج في المدن الإسلامية التي استولوا عليها . ولم يعوض هذا القصور سوي ماأورده فيما بعد ، كل من ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" (١) وابن العديم في كتابه " زبدة الحلب من تاريخ حلب" (٢) . وذلك بما توفر لديهما من معلومات لم ترد عند ابن القلانسي .

(١) ولد بن الأثير بجزيرة ابن عمر ونشأ بها . وأبوه موظف كبير بالموصل ، انتقل مؤرخنا إلي الموصل حيث درس علي الفضل بن الخطيب الطوسي ، ثم سار إلي بغداد مراراً ، وانتقل إلي بيت المقدس والشام كثيراً . ووضع إلي جانب " الكامل " كتاب " التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل " عن أتابكة الموصل وعلي رأسهم عماد الدين زنكي . ومات ابن الأثير في عام ١٢٣٣م / ٦٣٠ هـ عن خمسة وسبعين عاماً . وينتهي كتابه الذي ألم بكل تاريخ الإسلام بذكر أحداث عام ٦٢٨ هـ / ١٢٢٦م . انظر : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٠٣ ؛ السيد الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ ؛ عباس العزاوي : التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ، بغداد ، ١٩٥٧م ، ص ٣٥ ومابعدها .

(٢) ابن العديم : ولد بحلب في عام ١١٩٢ م / ٥٨٨ هـ . تولي أبوه الخطبة بحلب أيام نور الدين محمود . ثم تولي الخزانة أيام ابنه الصالح إسماعيل . ثم تولي فيها القضاء حتي عام ١١٨٣م . زار كمال الدين بيت المقدس ودمشق . ونال ثقة الظاهر غازي ملك حلب (ابن صلاح الدين الأيوبي) . وقام بمهام سياسية كرسول للأيوبيين لدي الخليفة العباسي المستعصم في عام ١٢٥٦ م / ٦٥٤ هـ والي مصر في عام ١٢٥٩م / ٦٥٧ هـ وصحب الناصر يوسف إلي مصر بعد استيلاء التتار علي حلب . وبقي في مصر حتي تم طرد التتار من حلب ، ثم عاد إليها ومات بها في عام ١٢٦٢ م / ٦٦٠ هـ . لخص كتابه "بغية الطلب في تاريخ حلب " بناء علي طلب الملك العزيز فأخرج لنا "زبدة الحلب" الذي ينتهي بأحداث عام ١٢٤٣م / ٦٤١ هـ . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ جـ ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١م ، جـ ١ (مقدمة المحقق) ص ١٣ ومابعدها.

وهكذا ، تفوقت الكتابة اللاتينية على مثيلتيها البيزنطية والعربية ، حتي يأتي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، لتتغير الأوضاع ، ولا يتوفر لنا من مصادر المعلومات علي الجانب اللاتيني سوي كتاب " تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ماوراء البحر " Gesta rerum in Partibus transmarinus Gestarum" الذي وضعه أهم مؤرخي الحروب الصليبية قاطبة وليم رئيس أساقفة صور [1] والذي يغطي الفترة حتي عام ١١٨٤م . بينما زخر الجانب الإسلامي بالعديد من المؤرخين المعاصرين ، الذين ارتبطت كتاباتهم بقيام الدولة الأيوبية في مصر ، ودخول مصر في الصف الإسلامي بانتهاء النزعة الشيعية فيها ، الأمر الذي كان له أثر كبير في تفوق الكتابة التاريخية العربية علي نظيرتها اللاتينية . ففي الوقت الذي نجد فيه من يؤرخ لشخص صلاح الدين أو لجزء من تاريخ دولته أو لتاريخها كاملاً مثل ابن شداد ، والعماد الأصفهاني ، وأبي شامة ،

---

(١) ولد وليم الصوري في مدينة بيت المقدس في عام ١١٣٠م / ٥٢٤ هـ . وأمضي عشرين عاماً من حياته (١١٤٥ - ١١٦٥م) مسافراً في فرنسا وإيطاليا طلباً للعلم . فدرس علم اللاهوت والفلسفة والرياضيات في باريس وشارتر ، كما درس الكلاسيكيات في أوليانز ، والقانون في بولونيا . وعاد إلي الشرق في عام ١١٦٥م حيث تقلد عدة مناصب دينية كان آخرها رئيساً لأساقفة صور . وفي عام ١١٧٠م أصبح مربياً لبولدوين الرابع ملك بيت المقدس ، ابن الملك عموري الأول . ومنذ عام ١١٧٤م صار مستشاراً للمملكة الصليبية إلي جانب رئاسته لأساقفة صور . وكلفه بولدوين بمهام رسمية إلي القسطنطينية والي مجلس اللاتيران الثالث . وفي ١١٨٠م تولي هرقل بطريركية بيت المقدس الأمر الذي كان يحلم به وليم لنفسه . ومات وليم حوالي عام ١١٨٦م . ويبدأ كتابه بالحديث عن فتوح المسلمين لبلاد الشام وينتهي بأحداث عام ١١٨٤م . انظر :
R. B. C. Huygens, Guillaume de Tyre un chapitre (XIX2) de son Histoire retrouvé, in Latamus, 21, 1962, pp. 811 - 819; R. H. C. Davis, William of Tyre, in Relation between East and West in the Middle Ages, ed. by D.Baker, Edinburgh, 1973, pp. 64 - 76 ; P. W. Edbury and J. G. Rowe, William of Tyre and the Patriarchal election of 1180, in E. H. R., vol. 366, 1978, pp. 1 - 25 .

وابن واصل ، وأبي الفدا ، لا نكاد نجد من المؤرخين اللاتين أمام هذه الوفرة من مؤرخي الجانب الإسلامي سوي مؤرخ أو اثنين علي الأكثر من الذين أكملوا عمل وليم الصوري . وهكذا كان للحملة الصليبية الأولي إنجازاً أدبياً إلي جانب إنجازها السياسي ، والإنجازان معاً لم يتحققا لأي من الحملات الصليبية اللاحقة [١] .

توديبود وتاريخه :

كان طبيعياً بعد أن تحدثنا عن تطور الكتابة التاريخية لدي كل من اللاتين والمسلمين ، ومكان توديبود من هذا التطور ، أن تتناول بشئ من التفصيل والتحليل مؤرخنا توديبود وكتابه " تاريخ الرحلة إلي بيت المقدس " .

فبينما لم يخبرنا توديبود بأي شئ عن نفسه ، انشغل المترجمان الأمريكيان - في مقدمتهما للترجمة الإنجليزية - في الدفاع عنه ، ومحاولة إثبات أصلية تاريخه . ومن هنا ، لم يتبق أمامنا - للتعرف علي شخصية توديبود - سوي تاريخه في حد ذاته . فقرب نهاية عمله ، وبالتحديد عند الحديث عن الموكب الديني الذي طاف الصليبيون خلاله حول أسوار مدينة بيت المقدس في ٨ يوليو ١٠٩٩م ، نجد اسم المؤرخ متبوعاً ، في ثلاثة من مخطوطات كتابه (B,C,D) بصفته من مواطني مدينة كيفراي Sivracensis [٢] . وهي مدينة أبرشية بواتييه Poitiers بفرنسا . كما تظهر أمامنا هذه الصفة عند حديث المؤرخ عن جنازة أحد من يحملون لقبه في ثلاثة أيضاً من مخطوطا كتابة (A,B,C) [٣] . وبذلك يكون

---

(١) ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٩ .

(٢) Todebudus, Historia de Hierosolymitano itinere, R. H. C. - H.Occ.; vol. III, p. 106.

راجع أيضاً مايتقدم هامش رقم (١٩) من الفصل الحادي عشر .

(٣) Tudebodus, Historia, p. II.

المؤرخ من مواطني بواتييه بفرنسا ، وربما رحل إلي الشرق بصحبة مواطنيه الذين كان يقودهم جاستون دي بيرن Gaston de Béarn (١) . وهؤلاء استمروا في تشكيل جزء من قوات ستيفن كونت بلوا وشارتر ، وأصبحوا جميعاً في صلب جيش هيو فيرماندوا شقيق ملك فرنسا (٢) . ولايخبرنا مؤرخنا بشيء من هذا . وبطريقة أو بأخري فقد رحل إلي إيطاليا ، ومن المحتمل أنه كان في أمالفي بجنوب إيطاليا تحت إمرة كونت بلوا وروبرت النورماندي حين حمل بوهيمند الصليب ، فترك توديبود رئيسه الأول ليلحق بقوات بوهيمند (٣) . وهذا مانستشعره من كتابته منذ رحيل بوهيمند شرقاً ، حيث يظهر الأمير النورماندي في تاريخ توديبود كعامل رئيسي في أغلب الأحداث (٤) . ويصحب المؤرخ بوهيمند في رحلته خلال أراضي الإمبراطورية البيزنطية ، ويبقي ضمن قواته في حصار نيقية ، وظل مرتبطاً به حتي انقسم الصليبيون إلي ثلاثة جيوش بعد سقوط نيقية (٥) . وفي معركة دوريليوم ، حيث كان بوهيمند وفرقته عرضة لخطر الإبادة بواسطة السلاجقة وقلج أرسلان (٦) . ثم شارك المؤرخ - وهو ضمن قوات بوهيمند أيضاً - في

---

(١) La Chanson d'Antioche, ed. Paulin Paris , 2 vols, Paris, 1848, vol. 1, p.XXIX.

(٢) Tudebodus, Historia, p. III.

(٣) هذا مافعله كل من فولشر أوف شارتر حين ترك سيده كونت بلوا وشارتر وانضم إلي بولدوين، ومافعله مؤلف الجستا المجهول تابع بوهيمند الذي ترك سيده في أنطاكية وتبع كونت صنجيل في الطريق إلي بيت المقدس . (انظر ماسبق ص) .

(٤) انظر ما يتقدم ، ص ٧٧ ومابعدها .

(٥) انظر مايتقدم ، ص ١١٣ .

(٦) تدل الرواية التي سردها توديبود في هذا الصدد عن وجوده ضمن قوات بوهيمند : " وفي اليوم الثالث ، هاجم الترك بوهيمند وفرقته ، وحين رآنا الترك .... " . (انظر مايتقدم، ص ١١٣ .

أخطار ومتاعب الحصار الطويل لأنطاكية ، ثم في معاناة الفرنج أثناء حصار كربوغا لهم لمدة ستة وعشرين يوماً وهم داخل المدينة ، وفي إحدي الهجمات التي قام بها الفرنج من داخل المدينة يفقد المؤرخ أحد إخوته [١] . ثم شارك المؤرخ في الانتصار علي قوات كربوغا (٢٨ يونيو ١٠٩٨م / ٢٦ رجب ٤٩٢ هـ) [٢] . وبقي المؤرخ ضمن قوات بوهيمند ، حتي أراد الأخير الاستئثار بأنطاكية لنفسه ، وأظهر حرصه علي ذلك أكثر من حرصه علي مواصلة الرحلة إلي بيت المقدس ، فنري المؤرخ يغير البطل ويغير الراية ، فيترك بوهيمند ليلحق بقوات كونت صنجيل الذي قاد بقية الفرنج لتحقيق هدف الحملة المنشود وهو الاستيلاء علي مدينة بيت المقدس [٣] . وفي معسكر هذا الأخير بدأ توديبود في تدوين تاريخه[٤] وشارك مع كونت صنجيل في كل أعمال الحملة حتي استيلاء الفرنج علي المدينة المقدسة [٥] .

---

(١) انظر مايتقدم ، ص ٢٠٥ ، هامش رقم ٢٢ من الفصل السابع .

(٢) وهنا أيضاً كان المؤرخ ضمن القوات النورماندية التابعة لبوهيمند ، حيث يذكر أن الصليبيين من بواتييه مع جاستون دي بيرن كانوا ضمن القوات التي تضمها الفرقة الخامسة التي كان يقدوها تنكريد ، من بين الفرق الست التي كونها الجيش الصليبي في تشكيل القتال الذي خاضوا به المعركة ضد كربوغا . انظر مايتقدم ، ص ٢٣٠ ، هامش رقم (٣٣) من الفصل الثامن .

(٣) نلمس ذلك من استعمال المؤرخ لضمير المتكلم قبل الوصول إلي عرقة بقوله : " وبعد رحلينا عن هذا الوادي الخصيب ، وصل الصليبيون إلي قلعة تسمي عرقة " . انظر مايتقدم ، ص ٢٩٢ من الفصل العاشر .

(٤) Tudebodus, Historia, p. IV.

(٥) حيث نراه يشارك في الموكب الديني الذي طاف خلاله الفرنج حول أسوار بيت المقدس قبل هجومهم علي المدينة ، ويؤكد مشاركته في الموكب . انظر مايتقدم ، ص ٣١٥ .

ولايتبقي لنا شئ آخر عن حياة المؤرخ سوي ما أخبرنا به من وجود فارسين من بين الصليبيين ، ربما كانا شقيقين له . الأول وهو أرفيدوس توديبود Arvidus Tudebodus ، وهذا ، لقي حتفه أثر ضربة حجر تلقاها تحت أسوار أنطاكية ، ويصفه المؤرخ بأنه كان فارساً رفيع الشأن (١) . أما الثاني فهو أرنولد توديبود Arnoldus Tudebodus ، الذي لقي حتفه هو الآخر أثناء حملة الاستطلاع التي قادها ريموند بيليه بالقرب من معرة النعمان (يوليو ١٠٩٨م) ، ويصفه المؤرخ بأنه فارس عظيم (٢) . والصفات التي يمنحها المؤرخ لهذين الفارسين تكشف لنا أن المؤرخ كان ينحدر من أسرة نبيلة . ولايسمح لنا ما سجله توديبود في تاريخه بأن نحصل علي مزيد من المعلومات عن شخصيته وبقي لنا أن نتكلم عن تاريخه .

يبدأ توديبود تاريخه بالحديث عن دعوة البابا أوربان الثاني لسكان غرب أوربا للإشتراك في الحملة الصليبية الأولي ، ثم استعداد أمراء الغرب للرحيل إلي الشرق ، وكل هذا يأخذ شكل مقدمة سريعة لاتشتمل إلا علي الضروري والمختصر المفيد من المعلومات . ولم يبدأ المؤلف تاريخه بصورة حقيقية إلا بحديثه عن وصول الأمراء الصليبيين إلي القسطنطينية (٣) . وينهي المؤلف تاريخه بالحديث عن معركة عسقلان (١٢ أغسطس ١٠٩٩م / ١٤ رمضان ٤٩٣ هـ) التي انتصر فيها الصليبيون علي قوات الوزير الفاطمي الأفضل (٤) .

---

(١) انظر مايتقدم ، ص ٢٠٥ ، وهامش رقم ٢٢ من الفصل السابع .
(٢) انظر مايتقدم ، ص ٢٥٧ ، وهامش رقم (١١) من الفصل التاسع .
(٣) انظر مايتقدم ، ص ٧٦ ومابعدها .
(٤) انظر مايتقدم ، ص ٣٣٦ ومابعدها .

وتاريخ الرحلة إلي بيت المقدس هو الإنتاج الوحيد الذي أخرجه لنا توديبود . ويحمل في طياته كل صفات الكتابة التاريخية الأصيلة والصادقة [١] . فقد كان مشاركاً في كل الأحداث التي رواها ، وشاهد عيان لكل ماسجله في كتابه تقريباً . ويبدو أنه رأي ماكتبه في الأماكن نفسها . وهو متأكد - علي الأقل - أنه ما أن أمسك بريشته كي يحقق هدفه ، لم يكن يعرف أحداً غيره يقوم بنفس المهمة ، وهذا ما أعطاه الثقة في أن يجعل نفسه أول من عالج هذا الموضوع (qui primus scripist) ، كما يذكر في الإشارة البسيطة التي تحدث فيها عن نفسه [٢] .

وإذا افترضنا أنه غادر فلسطين بعد معركة عسقلان مثل الكثيرين غيره من الصليبيين ، الذين رأوا أنهم قد أوفوا بنذرهم الصليبي آنذاك ، فيكون بذلك قد دوّن مؤلفه قبل أن يعود إلي موطنه الأصلي [٣] .

وقد قسم المؤلف كتابه إلي عدة موضوعات - عمد المترجمان الأمريكيان إلي تقسيمها إلي فصول تسهيلاً لتوضيحها - تناول فيها الأحداث بأسلوب خال من الزخرفة [٤] ، ربما لأنه كان يكتب مايراه تحت تأثير الإنفعال الأول لشاهد عيان

---

(١) Todebodus, Historia , p. vii, n. 3.

(٢) Ibid, p. V.

راجع أيضاً مايتقدم ، ص ٣١٥ وهامش ١٩ من الفصل الحادي عشر .

(٣) Tudebodus, Historia, p. V.

(٤) حاول توديبود سرد رواياته في أسلوب مبسط علي عكس ريموندا جيل الذي اتسم أسلوبه بالزخرفة رغم أن لاتينيته لا ترقي إلي لاتينية كل من جيبرت دي نوجنت ووليم الصوري . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٤٤ - ٤٥ .

يحكي مارآه أو سمعه لتوه (١) ويريد أن ينقل كل أحاسيسه إلي مسيحيي الغرب الأوربي . فجاءت موضوعاته في شبه رسائل يريد لها أن تقرأ في كنائس الغرب ، وكأنه خصّص عمله لنشر أخبار انتصارات الصليبيين في كل أنحاء الغرب الأوربي . ومايدفعنا إلي الأخذ بذلك قوله " ونبتهل أن يقدم ، كل من يقرأون هذا ، ومن يستمعون إليهم ، الصدقات وأن يؤدوا الصلوات من أجل روح أرفيدوس توديبود .." وذلك عند الحديث عن موت ذلك الفارس (٢) . وكرجل دين ، ينهي توديبود موضوعاته وأحياناً يبدأها - غالباً مايملأ رواياتها - بعبارات مقتبسة من الإنجيل، وكتب القداس والصلوات ، حتي يتناسب مايسجله من روايات عند قراءته في كنائس الغرب (٣) ، وتمشياً مع غيره من كتّاب الغرب في عصر عرف بعصر الإيمان أو بالأحري عصر سيطرة الكنيسة اللاتينية علي مقدرات الأفراد وعلي حياتهم العامة والخاصة .

وقد سجل توديبود كل أحداث الحملة الصليبية الأولي ، وأورد ما شاهده بنفسه منها بالتفصيل . ومالم يشارك فيه ، فقد أشار إليه في إيجاز مفيد . ولايدّعي المؤلف الإلمام بكل حقائق الأمور ، إلا إذا كان متأكداً من ذلك . فحين الحديث عن إتفاق بوهيمند وفيروز حول تسليم أنطاكية للفرنج ، يقرر المؤرخ أنه لم يكن في مقدوره - ولا مقدور أحد غيره أيضاً - الوقوف علي حقيقة ماجري (٤) . وهذا يتفق وواقع الأمر ، حيث أخفي بوهيمند حقيقة علاقته بفيروز وماتم الإتفاق

---

(١) وهذا ينطبق علي ماسجله من أحداث بعد أن انضم إلي قوات كونت تولوز بعد سقوط أنطاكية واستئناف الفرنج الرحلة إلي بيت المقدس بقيادة الكونت ، حيث بدأ المؤرخ في تدوين كتابه . انظر : مايتقدم ص ١٣٩ ، وهامش رقم (٢١) من الفصل الرابع .

(٢) انظر مايتقدم ، ص ٢٠٥ من الفصل السابع .

(٣) Tudebodus, Historia, pp. vi - vii.

(٤) انظر مايتقدم ، ص ٦٢ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ٣١٨ ، ٣٤١ .

بينهما عليه ليكون ذلك ورقته الرابحة في الضغط علي أقرانه من قادة الحملة للإعتراف بحقه في ملكية أنطاكية والتنازل له عنها والتغاضي عن حق الإمبراطور البيزنطي فيها [١] . وعلي العكس من ذلك ، فحين يروي لنا توديبود أشمل رواية عن الموكب الديني حول أسوار بيت المقدس ، فإنه يؤكد حقيقة ماحدث لأنه شارك بنفسه في هذا الموكب [٢] . وهذا يدفع القارئ إلي الأخذ بما يرويه توديبود من أحداث باطمئنان تام .

وقد أثرت ظروف توديبود الشخصية منذ التحق بقوات الحملة ، وحتي نهايتها ، علي كتابته التاريخية . فقد انضم المؤرخ في بداية الحملة إلي قوات فرنسية، ثم انضم بعد ذلك إلي القوات النورماندية ، وبعد سقوط أنطاكية واصل الرحلة إلي بيت المقدس في صحبة البروفنساليين . ومن هنا لم يكن إرتباطه بقادة كل هذه القوات ارتباط تابع بسيده ، ومن هنا أيضاً لم يأخذ الرجل جانباً دون الآخر. فلم يكن منحازاً إلي صف بوهيمند - في المنافسة التي نشأت بين الأخير وبين كونت صنجيل - كما كان مؤلف الجستا ، تابع بوهيمند . كما لم يأخذ جانب كونت صنجيل بنفس الدرجة التي كان عليها مؤرخه وراهبه الخاص ريموندأجيل. ومن هنا كانت روايات توديبود عن أعمال كل من القائدين المتنافسين ، علي حد سواء ، محايدة ، ومقنعة ، فأعطي كل ذي حق حقه ، من المآثر والمثالب في نفس

---

(١) F. Chalandon, Histoire la Premiére Croisade, Paris, 1925 , pp. 200 - 201.

راجع أيضاً : حسين عطية : إمارة أنطاكية ، ص ١١١ .

(٢) انظر مايتقدم ، ص ٣١٥ .

الوقت (١) . كما لم يكرّس توديبود تاريخه لإبراز دور أمة من الأمم الفرنجية التي شاركت في الحملة دون الأمم الأخري ، أو دور قائد بعينه من قادة الفرنج دون أقرانه من قادة الحملة كما فعل كل من ريموندا جيل أو فولشر أوف شارتر أو مؤلف الجستا أو رادولف أوف كان (٢) . ويبدو ذلك واضحاً ، حين كان يسجل رواياته عن أعمال

---

(١) كانت المنافسة بين بوهيمند وكونت صنجيل محكاً رئيسياً لتحديد موقف توديبود من كل منهما ، ولتأكيد حيدته بينهما ، الأمر الذي كان يحسب له كمؤرخ دون قرينيه مؤلف الجستا تابع بوهيمند ، وريموندا جيل كاهن كونت صنجيل الخاص ، وكل منهما بالتبعية كان ينتصر لسيده هو ، فكانت روايات توديبود - بالنسبة للمؤرخين الحديثين - هي الفيصل ، حين الأخذ برواية أحدهما دون رواية الآخر . ونقدم مثالاً واحداً لذلك ، حين ذكر توديبود أن بوهيمند قام بطرد رجال كونت صنجيل من أنطاكية حتي يستأثر بها لنفسه ، حين كان الكونت في المعرة . الأمر الذي أغفله مؤلف الجستا حتي لايدين سيده بوهيمند ، في الوقت الذي يقرر فيه ريموندا جيل حدوث ذلك .

انظر : مايتقدم ، ص ٢٦٤ ، هامش ٤٧ من الفصل التاسع ص ٢٩٤ ، هامش ٢٨ من الفصل العاشر .

(٢) بينما أعلن لنا ريموندا جيل - صراحة - في بداية تاريخه أنه سيركز اهتمامه لإبراز دور البروفنساليين ، وعلي رأسهم كونت صنجيل ، في الحملة الصليبية الأولي ، نجد فولشر أوف شارتر يكرّس تاريخه - في المقام الأول - لإبراز دور بولدوين الأول وتسجيل أعماله في الشرق . هذا ، في الوقت الذي جعل رادولف أوف كان كتابه - وأيضاً عنوان كتابه - سجلاً لأعمال تنكريد ومن بعده النورمان في شمال الشام . بينما نلحظ - بسهولة - أن بوهيمند هو بطل مؤلف الجستا الأثير ، ومعه قواته من النورمان . في حين لم يغفل توديبود أية أمة من الأمم الفرنجية ، وتعرض لكل ماقام به الفرنج جميعاً من أعمال في خلال مراحل الحملة المختلفة . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٥٤ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١ ، راجع أيضاً :

Fulcher of Chartres, pp. 48 - 92 . Cf. also, Harold Fink, Fulcher of Chartres, pp. 53 - FF; Jean Richard ; Raymond d'Aguilers, p. 206; Henri Glaesener, Raoul de Caen, p. 7.

كونت صنجيل ، وهو في رفقة بوهيمند ، أو يخبرنا عن أعمال بوهيمند وهو في رفقة كونت صنجيل ، ولم ينس في الحالتين أبداً بقية القادة الفرنج وقواتهم.

إلا أنه كلاتيني ، فقد شارك بقية المؤرخين اللاتين استياءهم من تصرفات الإمبراطور البيزنطي ألكسيس كومنين تجاه فرنج الحملة ، مع أنه لم يحكم عليه بنفس القسوة التي حكم بها عليه كل من ريموندا جيل ومؤلف الجستا (١) .

وكرجل دين أيضاً ، ومتشبع بأفكار البابوية عن المسلمين ، فقد جاهد ، مثل بقية المؤرخين اللاتين ، لجعل كل ما أتي به الفرنج من أعمال ضد المسلمين وأماكنهم المقدسة ، عملاً من أعمال الرب (٢) . وقد أحاط رواياته عن ذلك بإطار ديني بما أورده من اقتباسات دينية حتي يكون لرواياته تأثير علي قارئيه في غرب أوربا في عصر الإيمان ، أو بالأحري عصر تسلط الكنيسة علي مقدرات وحياة سكان غرب أوربا (٣) . وكان ذلك سبباً في أن ينظر إلي المسلمين علي أنهم أعداءاً للرب (٤) . فوصفهم في مواضع كثيرة بأنهم وثنيون مبدياً جهله بتعاليم

---

(١) انظر مايتقدم ، ص ٦٣ ، ٢٢٦ .

(٢) ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٣١ ، راجع أيضاً : جوزيف نسيم : الإسلام والمسيحية وصراع القوي بينهما في العصور الوسطي ، الأسكندرية ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٧ .

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي ، جزءان ، (الطبعة الثالثة) ، القاهرة ١٩٥٧م ، جـ ١ ، ص ٣٢ ؛ جوزيف نسيم : الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الأسكندرية ، جـ ١٦ ، الأسكندرية ١٩٦٢ ، ص ١٨٣ .

(٤) هذا ماردده البابا أوربان الثاني ومن خلفه من بابوات روما علي مسامع الفرنج في غرب أوربا . انظر : Robert Monachus, Historia Hierosolimitana, in R. H. C. - H.Occ., vol. 3, pp. 727 - 330 .

راجع أيضاً : هامش رقم ٣٤ من الفصل السادس .

وأركان الدين الإسلامي الحنيف ، مشاركاً في ذلك كل أقرانه من مؤرخي الحملة[1].

ومما يميز تاريخ توديبود ، أنه في غمار حديثه عن الأحداث المتلاحقة للحملة، وأعمال قادتها ، لم ينس المؤلف بسطاء الفرنج وعامتهم . فحدثنا كثيراً عن متاعبهم خلال ماصادف الحملة من أزمات اقتصادية ومانتج عنها من مجاعات عند أنطاكية والمعرة وخارج أسوار بيت المقدس [2] . إلا أنه من خلال ذلك ، يعكس لنا بعضاً من حقيقة طبائع الفرنج ، من سلوك متهور ، إلي إيمان بالسحر والخزعبلات ، إلي سذاجة دينية مفرطة [3] .

وهكذا ، ألقي تاريخ توديبود الضوء علي جوانب كثيرة من جوانب تاريخ الحملة الصليبية ، وحياة الصليبيين في بلاد الشام ، زمن هذه الحملة . ولم يغفل أحوال طبقة من طبقات الفرنج ، فحين يتكلم عن القادة وكبار النبلاء الصليبيين وأعمالهم ، وعلاقاتهم ببعضهم البعض ، وعلاقاتهم بالقوي المختلفة في المناطق التي مرت بها الحملة ، من بيزنطيين وأرمن ومسلمين ، نجده يلمس عن قرب أحوال بسطاء الصليبيين وسلوكياتهم في حياتهم اليومية ، الأمر الذي أوضح بجلاء أن كتاب توديبود قد أبرز الكثير مما يتعلق بظروف الحملة الصليبية الأولي ، وألقي الضوء علي ماأكتنفه الغموض في كتابات أقرانه من مؤرخيها المعاصرين ، وشاهدي العيان لأحداثها . وبذلك يكون تاريخ توديبود قد ألقي الضوء علي كثير من

---

(١) انظر مايتقدم ، هوامش رقم (١) ورقم (٣٦) من الفصل السابع ، وهامش رقم (٨) من الفصل الثامن .

(٢) انظر مايتقدم ، ص .١٤ - ١٤١ ، ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٢٦٣ - ٢٦٤ ، ٣١٣ - ٣١٤ والهوامش .

(٣) انظر مايتقدم ، هامش رقم (٣٦) من الفصل السابع .

جوانب غامضة من تاريخ الحملة الصليبية الأولي ، بما أضافه من معلومات تاريخية لم ترد عند غيره من مؤرخي الحملة ، وشاهدي العيان لأحداثها ، الأمر الذي يضفي علي تاريخه أهمية بالغة ، ويدفع المشتغلين بتاريخ الحروب الصليبية إلي النظر إليه بعين الإعتبار (١) .

توديبود بين مؤرخي الحملة الصليبية الأولي :

ونحن نحاول أن نجد مكاناً لتوديبود - يستحقه - بين مؤرخي الحملة الأولي، فلن نكرر ماجاء في تقديم الكتاب أو في مقدمة الترجمة الإنجليزية . وسيكون مانورده هنا مجرد محاولة لإضافة بعض النقاط إلي ماقدمه المترجمان الأمريكيان من حُجج تدفع إلي الأخذ بأهمية تاريخ توديبود كواحد من مؤرخي الحملة الصليبية الأولي .

ونبدأ معالجتنا لهذه القضية بالتأكيد علي حقيقتين . الأولي هي أن هناك أربعة مؤرخين من شهود العيان ، سجلوا تاريخ الحملة الأولي وهم - حسبما أسلفنا - مؤلف الجستا وريموندا جيل وفولشر أوف شارتر ثم بطرس توديبود . أما الحقيقة الثانية ، فهي أن بعض المؤرخين الحديثين قد ذهبوا إلي أن توديبود قد نقل عن مؤلف الجستا المجهول دون أن يكون له تاريخاً خاصاً به .

وفيما يخص الحقيقة الأولي ، فمن المعروف أن فولشر لم يشاهد أيا مما كتبه عن الحملة منذ انفصل بولدوين البولوني عن الجيش الصليبي الرئيسي ، وقبل أن تجتاز الحملة جبال طوروس إلي أنطاكية ، وحتي إنتهاء أعمال الحملة بانتصار الفرنج في موقعة عسقلان (٢) . وبالتالي يكون اعتمادنا للوقوف علي طبيعة

---

(١) Oliver, Tatcher, Critical Work, p. 508 .

راجع أيضاً ، مايتقدم ، ص ٤٧ ومابعدها .

(٢) Fulcher of Chartres , p. 89 . Cf. also, Harold Fink, op .cit., p. 53.

ماحدث خلال هذه الفترة علي أعمال المؤرخين الثلاثة الباقين ، وهم ريموندا جيل ، ومؤلف الجستا المجهول ، و توديبود .

وبالنسبة للأول ، فقد كان ملازماً لكونت صنجيل منذ بداية الحملة وحتي نهايتها . وبالمثل ، كان الثاني ملازماً لبوهيمند النورماندي . أما بالنسبة لتوديبود ، فقد بقي ضمن قوات بوهيمند حتي سقوط أنطاكية وبقاء بوهيمند بها ، والتحق بقوات كونت صنجيل منذ تحركت بقية القوات الصليبية من معرة النعمان (١٣ يناير ١٠٩٩م) وحتي نهاية الحملة . ومن هنا ، اهتم ريموندا جيل ، كما أخبرنا بنفسه ، فقط سرد الروايات التي تتعلق بأعمال البروفنساليين [(١)] . كما لم يقدم مؤلف الجستا المعلومات الكافية عن بقية الجيوش الصليبية ، وسط إنشغاله بسرد أعمال الجيش النورماندي بقيادة بوهيمند . أما توديبود ، فحين كان برفقة أحد الجانبين ، فقد اهتم بأحوال الجانب الآخر [(٢)] . كما أنه أورد عن الجانب الذي ينضم إليه معلومات لم ترد عند مؤرخ هذا الجانب سواء كان هذا ريموندا جيل ، بما يورده عن البروفنساليين ، أو مؤلف الجستا ، بما يورده عن النورمان [(٣)] . هذا ، إلي جانب إهتمام توديبود بأحوال بقية الصليبيين . ومن هنا يتصف تاريخ توديبود بالشمولية ، وغزارة المعلومات .

---

(١) في مقدمة تاريخه يقرر ريموندا جيل أنه من الصعب الحديث عن أعمال كل الجيوش الصليبية، ويقرر أن يحدثنا فقط عن رحلة البروفنساليين إلي بيزنطة عبر أوربا " دون القلق بشأن الآخرين " . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٥٤ .

(٢) انظر مايتقدم ، ص ٨٠ ومابعدها ، حيث يتابع أحوال البروفنسال وهو ضمن القوات النورماندية .

(٣) انظر مايتقدم ، ص ٨١ ، ٢٢٦ ، هامش رقم ٤٥ ، ٤٧ من الفصل الثاني ، هامش رقم ١٢ من الفصل الثامن .

وبالنسبة للحقيقة الثانية ، فإذا كان هناك من المؤرخين الحديثين ، من اتهم توديبود بانتحال التأليف ، وخاصة بالنقل عن مؤلف الجستا المجهول ، فإن هناك من دافع عنه ، وذهب إلي عكس ذلك [١] . وإذا أخذنا برأي الأولين ، فلابد وأن يكون مؤلف الجستا قد انتهي من تدوين مؤلفه قبل عام ١٠٩٩م ، حتي يتسني لتوديبود نسخه أو النقل عنه . إلا أنه لم يتم حتي الآن تحديد التاريخ الذي بدأ فيه مؤلف الجستا تدوين تاريخه ، أو الإنتهاء منه [٢] . وإذا أخذنا بما ذهب إليه البعض من أن توديبود قد نقل عن ريموندا جيل بعض رواياته ، فلابد إذن ، أن يكون الأخير قد أنهي تدوين تاريخه أيضاً فور معركة عسقلان . وهذا ، أيضاً، لم يتم تحديده بصورة قاطعة [٣] .

إلي جانب ذلك ، فإن إيكهارد أوف أورا الذي جاء إلي الشرق في عام ١١٠١م إذا سلمنا بأنه وجد كتاباً صغيراً Libellus في مدينة بيت المقدس، وأن هذا الكتاب ، كما يذهب بعض المؤرخين ، هو كتاب الجستا ، الذي اتخذه إيكهارد أساساً للتاريخ الذي وضعه هو [٤] - وإذا سلمنا بذلك ، فإنه من الثابت أن إيكهارد قد قام بنقل روايات كاملة عن توديبود ، وعن ريموندا جيل [٥] . ومن هنا ، لابد وأن يكون كل من مؤلف الجستا وريموندا جيل وتوديبود ، قد انتهوا من

---

(١) انظر مايتقدم ، ص ٤٢ ومابعدها .

(٢) مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٣ ، (مقدمة المترجم) .

(٣) Claud Cahen , La Syric, pp. 708 .

راجع أيضاً : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٣٧ .

(٤) Steven Runciman, A History of the Crusades, 3 vols, Cambridge, 1968 , vol. 1, p. 329 .

(٥) انظر مايتقدم ، ص ٥٢ - ٥٣ .

تدوين أعمالهم قبل أن يصل إيكهارد إلي بيت المقدس ، أي قبل عام ١١٠١م . وهذا لايمنح توديبود الفرصة كي ينقل عن مؤلف الجستا ، أو ريموندا جيل ، أي يتعارض مع رأي من يميلون إلي الأخذ بأن توديبود قد دون تاريخه في عام ١١١١م [١] .

وإذا كانت هذه القضية ستبقي دون حل ، وإذا كان ماوصل إليه المترجمان الأمريكيان ، من وجود مصدر مشترك نقل عنه كل من مؤلف الجستا وتوديبود وريموندا جيل وإيكهارد ، و أضاف إليه كل منهم معلوماته التاريخية الخاصة، هو الإستنتاج الأقرب إلي الدقة ؛ نقول ، إذا كانت هذه القضية ستبقي دون حل ، فيكفي أن نقرر أن توديبود قد أضاف الكثير مما لم يرد عند غيره من مؤرخي الحملة الأولي ، وشهود العيان لأحداثها ، ونقل عنه من كتبوا تاريخها بعد ذلك من مؤرخي غرب أوربا ، في وقت لم يكن إنتحال التآليف ، أو النقل عن الغير سوي أمراً معتاداً ، ويكفي أن توديبود قد أضاف إلي النص روحاً جديدة ، وقدم لنا موقفاً جديداً ، يختلف في نواح كثيرة عما قدمه غيره من مؤرخي الحملة ، وساعد هذا الموقف ، وهذه الروح ، علي إماطة اللثام عما اكتنفه الغموض من جوانب هذه الحملة ، وعلي الوقوف علي الحقيقة التاريخية الكاملة ، وعلي التعرف - في الوقت نفسه - علي مؤرخ نعرف جنسيته ، ووظيفته ، وإسمه ، في الوقت الذي بقي فيه منافسه مؤلف الجستا المجهول ، مجهولاً .

---

(١) ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٣٧ .

مقدمة الترجمة الإنجليزية

ونحن إذ نقدم هذه الترجمة النقدية لكتاب بطرس توديبود ، Historia de Hierosolymitano itinere ، فإننا نتبع مانأخذ به من أن هناك جديد يمكن الوقوف عليه من وراء التقويم المتأني للنصوص ، وأن مثل هذه المعلومات يمكن أن تساهم بالكثير في قضية قديمة بصفة خاصة ، وفي تاريخ الحروب الصليبية بشكل عام .

ومع أن بعض النقاد قد تناولوا مسألة مطابقة الدراسات الصليبية للقرن العشرين بالنقد ، تبقي حقيقة أن الدارسين مستمرين في اهتمامهم بتاريخ الحروب الصليبية ، وأن الحملة الصليبية الأولي، إلي حد بعيد أكثر الحملات الصليبية خضوعاً للدراسة ، لازالت تشد الإنتباه [١] . وربما تفسح ندرة مصادرها والغموض الذي يكتنف هذه المصادر اللاتينية المجال لأفكار وتأويلات جديدة ، ومن ثم تجعل البحث في هذا المجال مثيراً للإهتمام حقاً .

وفي مجال البحث عن أفكار وتأويلات جديدة بين مصادر دراسة الحملة الصليبية الأولي ، محدودة العدد ، بذل المؤرخون جهداً كبيراً لتحديد قيمة مصدرين منهم ، كتاب الجستا للمؤرخ المجهول ، والدراسة التي بين أيدينا الآن ، تاريخ بطرس توديبود . وقد برزت المشكلة في القرن السابع عشر عندما قام چون بسلي Gohn Besly ، وهو مواطن من بواتو ، مستنداً إلي مخطوط يرجع إلي القرن الثاني عشر ، قدمه له بارون لاكريسونييه ، بالتصدي لرواية مبكرة نشرها چاك بونجار Jacques Bongars في مجموعته أعمال الرب التي تمت بأيدي الفرنجة Gesta Dei per Farncos [٢].

وقد سُمي نص بونجار ، الذي يأتي في مقدمة مجموعته والذي يحمل عنوان "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس Gesta Francorum et Aliorum Hiersoloymitanorum ، بالمجهول ، للإفتقار إلي مؤلف معروف ، وكان في رأي بونجار

إيطاليا في أسلوبه وميالاً إلي بوهيمند . واعتمد بونجار علي مصدرين ، الأول قدمه المؤرخ الإنجليزي Camden والآخر قدمه بول بيتو Paul Petau . ولما لم يتسني التعرف علي هذين المخطوطين بشكل أكيد ، فهناك إتجاه لمنح طبعة بونجار صفة شبه المخطوط ، بالتعامل مع طبعته إلي جانب الطبعات التي ظهرت فيما بعد معتمدة علي مخطوطات معروفة .

ولأن طبعة بونجار كانت نتاج دراسة لمخطوط ، فقد ضاع كل دليل كان علي المخطوطات الفردية أن تقدمه (٣) .

وكان تحدي بيسلي لنص بونجار يستند أساساً إلي مخطوط لاتيني رقم ٤٨٩٢ ، محفوظ الآن في المكتبة الأهلية بباريس (والمخطوط الذي اعتمدنا عليه هو MSB) . وبدليل داخلي من المخطوط نفسه ، قرر أن المؤلف كان قسيساً يدعي Petrus Tudebodus واعتقد أن Sivracensis ، التي يشير إليها المؤلف ، هي Sivracum ، وأن الكاتب بذلك يكون من مواطني بواتو . وتعرف Sivracum الآن بصفة عامة بكيفراي Civray ، وتقع علي مسافة خمسين كيلومتراً من بواتييه . واعتقد بيسلي أيضاً أن المخطوطات التي اعتمد عليها بونجار قد شُطب منها اسم توديبود وعُمد إلي إظهار إسهامات الصليبيين ، من غير أتباع بوهيمند، قليلة القيمة (٤) .

ولم يعارض أحد نص بيسلي ، ولا اقتناعه بأن بطرس توديبود كان المؤلف الحقيقي Bona Fide لتاريخ الحملة الصليبية وبأن نص بونجار قد اقتبس منه ، حتي منتصف القرن التاسع عشر . وقد أكد هنري ڤون سيبل ، في ألمانيا ، في مجموعته Geschichte des ersten kreuzzuges أن توديبود قد انتحل كتابات مؤلف الجستا المجهول وكتابات ريمونداجيل ، الذي وضع بدوره حولية عن الحملة الصليبية الأولي (٥). وقد أضعف من حججه ، بالنظر إلي الماضي ، ميوله التي لايركن إليها نحو المشاعر القومية وافتقاره إلي فهم مخطوطات توديبود والجستا .

وعلي أية حال ، فقد أصر علي أن مؤلف الجستا كان فارساً وأن تاريخه هو النص الحقيقي (٦) ، وفي فرنسا ، أعاقت النصوص الناقصة سولسي F. de Saulcy أيضاً، فوصل إلي ماوصل إليه سيبل من نتائج بأساليب مموهة (٧) .

ورداً علي هذه الاتهامات ، تحدث بولان باريس Paulin Paris في مقدمته لنص أنشودة أنطاكية عن كتاب توديبود كما نشر ثلاث مرات ، الأولي في سنة ١٦١١م بواسطة بونجار ، الذي لم يعثر علي اسم توديبود في مخطوطاته التي اعتمد عليها ، وفي ١٦٤١ م حين نشره بيسلي ، الذي وجد اسم وموطن توديبود وتحقق من أنه كان واعظاً ، ومرة أخري حين نشره دوم مابيلون Dom Mabillon في عام ١٦٨٧م . وجاء نص مابيلون متأخراً ومتكتلاً ، لكنه أيد ماأخذ به بيسلي من أن توديبود كان فرنسياً ، وليس إيطالياً . وذهب بولان باريس إلي أن تاريخ توديبود جاء في شكل تقارير رسمية ، وبالأحري غير شخصية .

> وكان ثناء سيبل علي مؤلف الجستا وأيضاً جهده في إخضاع القومية النورماندية للمناقشة ، ماهو إلا رومانسية القرن التاسع عشر البحتة .

وكي ينعش كتابته الواقعية ، اعتقد أن توديبود قد اقتبس من كتابات ريتشارد الحاج (٨).

وبالمثل ، دافع هنري والون Henri Wallon وأدولف رينيه Adolph Régnier ، حين نشرا تاريخ توديبود في سجل مؤرخي الحروب الصليبية Recueil des Historiens des Croisades ، عن عمل توديبود ، مع أنهما قد احتجا علي بولان باريس في ذهابه إلي أن تاريخ توديبود كان سلسلة من التقارير الرسمية . كما أنهما اختلفا مع سولسي لتأثره بنص بونجار وتجاهله لنص Duchesne ، الذي نشر عمل بيسلي (٩) .

وهكذا ، بقيت مشكلة أصلية تاريخ توديبود دون حل بعد مضي أكثر من قرنين من الزمان . وعلي أية حال ، قام المؤرخ الألماني هـ . هاجنمير-H. Hagen-meyer ، في عام ١٨٩٠م ، بنشر نص بعنوان :

"Anonymi gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum"

وعلي الفور أوقفت الملاحظات الضخمة والمنطق المقنع والمنهج العلمي وهم الدارسين ، وقذفت برجاحة الرأي ضد أصلية تاريخ توديبود (١٠) . وبالرغم من حقيقة أن هاجنمير قد اعتمد بدرجة كبيرة علي نص بونجار المطبوع ، وأن طبعته (الجستا) قد حلت محلها طبعة بريبه ، فقد بقي توديبود بصفة عامة يُسمي منتحلاً .

وربما يكون بريبه أكثر دارسي القرن العشرين نيلاً من سمعة توديبود . ومن المؤكد أنه قام بطبع أفضل نصوص الجستا ، لكنه ، بالإضافة إلي ذلك ، فقد قدم حججاً مقنعة ، نوعاً ما ، ضد أصلية تاريخ توديبود . كما جازف أيضاً بإعادة ترتيب بعض مايسمي إقحامات ووضعها في ملحق كما جازف بإغفال التورطات الأدبية لهذه الإقحامات . وفي الحال ، أصبح من الملاحظ أن بريبه قد جاهد ليجعل من الجستا تاريخاً دقيقاً بمقاييس القرن العشرين (١١) .

ولقد تقبل دارسو القرن العشرين آراء بريبه ، مع أن البعض قد اختلفوا معه حول إحتمالية التأليف المشترك للجستا ، واستعان البعض بدراسة في النحو لإثبات النسب النورماندي للمؤلف المجهول (١٢) .

وكان إقتناع A. C. Krey بأن بوهيمند قد استخدم الجستا من أجل الدعاية النورماندية وبأن الكتاب يبين الإقحام في النص الذي عضد إدعاءات بوهيمند ، كان ذلك فكرة جديدة تماماً (١٣) .

وارتفع صوت هام يتصدي لصراخ دارسي القرن العشرين . فقد لاحظ

نيقولاس يورجا أنه ليس هناك مايمنع أن يكون توديبود هو مؤلف أول تاريخ مجهول وأنه أضاف مادة تاريخية فيما بعد . ومن الممكن أيضاً ، كما يأخذ يورجا ، أن يكون راهب آخر قد طور النص الأولي لتوديبود . ولم يهتم يورجا بمسألة إنتحال التأليف لأنه كان يعرف أنها أمر شائع وتسلية لقطع وقت الفراغ في العصور الوسطي . واهتم يورجا بنقل المخطوطات ونسخها وبالأحري كان يعتقد بأن الجستا وتاريخ توديبود قد جاءا من مصدر تاريخي واحد (١٤) .

ونحن إذ نتبع بصفة عامة ماتم الأخذ به من أفكار القرن العشرين فقد كتبنا في تقديمنا للترجمة التي قمنا بها لكتاب ريموندا جيل : " مامن شك أنه من الحقيقي أن توديبود كان مشاركاً في الرحلة إلي بيت المقدس ، ولكن المؤرخين الحديثين قد اعتبروا كتابه إنتحالاً للتأليف ، مبدئياً ، من التاريخ المجهول الذي يحمل عنوان الجستا، مع الإقتباس من ريموندا جيل ". (١٥) ثم اتبعنا الجستا وفقاً لنقد القرن العشرين .

ومهما يكن من أمر ، فخلال السنوات التي قضيناها في دراسة مصادر الحملة الصليبية الأولي ، وبصفة خاصة دراسة شكل المخطوط ، خلصنا إلي أنه يجب القيام بدراسة مكثفة جداً لتوديبود ، ليس بهدف تبرأته من الإتهام بإنتحال التأليف ، وهي التهمة التي يمكن توجيهها تقريباً إلي أي من مؤرخي العصور الوسطي ، ولكن بهدف تحديد مكانه في علم تدوين تاريخ الحروب الصليبية والإشارة إلي إسهاماته فيه بمزيد من التفاصيل . كما أن دراستنا لمخطوطات كتاب توديبود ، التي أوجبت طبع النص اللاتيني لكتاب ريموندا جيل ، لم تكن دائماً تدعم الروايات النقدية المتعلقة بعمل توديبود . وأكثر من ذلك ، وبينما كنا نقوم بدراسة ريموندا جيل ، وفولشر ، والمؤلف المجهول ، وتوديبود ، أصبحنا علي إقتناع بأنهم جميعاً قد أخذوا عن مصدر مشترك . وأدركنا ، أن هذا المصدر قد فقد من زمن بعيد ، ويقي فقط كما ينعكس أمامنا في تذييلاته ، التي كان توديبود

واحداً منها .

وأدركنا ، من دراستنا لتوديبود إذن كشاهد علي مصدر تاريخي مشترك ، أننا لانستطيع العمل من خلال النسخ المطبوعة . فقد تلاعب كل من بولجار وبيسلي بنصوصهما ، إلي حد أننا يمكن أن نحكم من خلال المخطوطات المتبقية أمامنا . وبشهادة بولان باريس ، فقد نشر مابيلون خليطاً من أعمال عدة مؤلفين ؛ وأحياناً يظهر بولجار وهو يخلط قراءات توديبود بقراءات الجستا ، وبعض هذه القراءات الحدت في أعمال متأخرة مثل طبعة هاجنمير للجستا وفي أعمال مكملية. أما طبعة سجل مؤرخي الحروب الصليبية لكتاب توديبود فقد استخدمت المخطوط MS Latin 5135 A ، وهو مخطوط يعرفه بولان باريس كأساس لوضع نص بمساعدة مخطوطين آخرين ، وهو ينشر المخطوط MS 4892 في أسفل كل صفحة ويلاحظ قراءات بيسسلي حيث تختلف عن هذا المخطوط . وللجستا أيضاً نسخة مطبوعة تقوم علي سعي الناشرين لوضع النص الحقيقي . والاستثناء الأساسي هو عمل روزالين هيل ، التي نشرت مخطوط الفاتيكان للجستا مع قليل من الإختلافات .

وهكذا ، أصبحت مهمتنا هي فرز النصوص من الرأي التحريري ، وهكذا أيضاً إتجهنا إلي مخطوطات كلا العملين . وهي :

MS A, MS Latin 5135 A, Bibliothèque National, Paris, Twelfth Century;

MS B, MS Latin 4892 , Bibliothèque National , Paris , Twelfth Century;

MSC, MS Harley Latin 3904 , British Museum , Lodon , Twelfth Century;

MSD, MS Latin 142, Faculté de Médecine de Monte pellier,

Thirteenth Century.

Vatican 641 , MS Reginae Latin 641 , Biblioteca Apostolica. Vaticana, Vatican City, Twelfth Century;

Varican 572, MS Reginae Latin 572, Biblioteca Apostolica. Vaticana, Vatican City, Twelfth Century;

El Escorial, MS Latin iii D II , Biblioteca de San Lorenzo de El Escorial, Twelfth Century;

Madrid, MS Latin 9783, Biblioteca Nacional, Madrid, Thirteenth Century;

Cambridge, MS Latin 162, Gonville and Caius College, Cambridge, Fourteenth Century;

Berlin, MS Latin qu 503 , Staatsbibliothek, Berlin, Thirteenth Century.

ومن دراسة ومقارنة هذه المخطوطات خلصنا إلي أنه لايمكن الإضطلاع بحل المشاكل المتعلقة بتوديبود دون تحرير وترجمة حرفيين ، وهي مهمة مزدوجة شرعنا في القيام بها ، وللجزء الذي بين أيدينا الآن . وقد استخدمنا المخطوط MS Latin 5135 A ، وهو الرقيقة التي ترجع إلي القرن الثاني عشر الميلادي والموجودة في المكتبة الأهلية بباريس ، لإتمام الترجمة ، وقد وقفنا علي الإختلافات ، أينما وجدت في المخطوط . وهذه الدراسة ، كلمة بكلمة ، لتاريخ توديبود ، والمقارنة المتأنية بمخطوطات الجستا ، وبعملنا السابق لكتاب ريموندا جيل ، جعلتنا في اعتقاد راسخ بأنه لدينا بعض الروايات التي قدمها توديبود في أفضل صورة ، وأن بعض المادة التاريخية المشابهة تماماً ، والمعلومات التي قدمها توديبود لم تتوفر لدي ريموندا جيل أو الجستا . كما عثرنا علي اختلافات لم تكن لتوضحها أفكار من نسخوا كتابه .

وشعرنا بأن توديبود قد قدم لنا أفضل أو أكمل الروايات عن محاكمة القسطنطينية (١٦) ، وقائمة الفارين عند أنطاكية (١٧) ، وإعداد الجلود الجافة للإستهلاك خلال المجاعة التي حلت بالصليبيين في أنطاكية بسبب حصار كربوغا(١٨) . كما أنه ، يلقي بمزيد من الضوء علي مشكلة عرقة بتقديمه أكمل رواية عن اتفاقية أمير جبلة مع الصليبيين (١٩) . بالإضافة إلي ذلك ، فقد قدم لنا وصفاً موجزاً لهذا الحصن (٢٠) . وفي بيت المقدس بعد ذلك ، كتب توديبود أكمل وأكثر الروايات التي يمكن تصديقها عن الموكب الديني الذي سار فيه الصليبيون ، وعن الطريق الذي سلكوه (٢١) . كما قدم لنا أيضاً الرواية الأكثر قبولاً عن نشاطات ريموند كونت صنجيل لحظة الهجوم النهائي علي المدينة (٢٢) .

ومن ناحية أخري ، نجد نقاط تشابه عديدة مع ريموندا جيل والجستا . فثلاثتهما أظهروا تشابهاً ملحوظاً في النص الذي أوردوه لقَسَمْ ريموند كونت صنجيل أمام ألكسيوس (٢٣) . وتكشف الدراسة المتأنية للروايات الخاصة بالرؤي في التواريخ الثلاثة عن تركيب اللفظ المتطابق في أجزاء من حديث وتعليمات القديسين (٢٤) . ومع أن تسلسل أحداث ظهور القديسين جاء مختلفاً ، فمن الملاحظ أن المؤرخين الثلاثة يستخدمون مادة تاريخية متشابهة . فبينما يبجلهم ريموندا جيل ، نجد أن كلا من الجستا وتوديبود يحبكان الرواية حولهم . كما انتحب المؤرخون الثلاثة علي فشل الرب في حماية شعبه (٢٥) . كما اتجه ثلاثتهم إلي إستخدام عبارات من القداس ، بعضها متشابهة مثل هوذا الملوك اجتمعوا Con-gregati sunt وتسابيح الشكر (٢٦) . وبالإضافة إلي هذه الملاحظات فكما تبين ، فإن الأعمال الثلاثة جاءت كثيرة الزخرفة بالألفاظ والعبارات القداسية . وأخيراً ،

فكما لاحظنا من قبل ، باختصار، بناء علي مخطوطات الأعمال الثلاثة ، فحيث يتشابه النص ، نجده في بعض الأحيان متطابقاً(٢٧) .

أما عن المعلومات التي لم يمدنا بها كل من ريموندا جيل أو مؤلف الجستا ، فقد نوه توديبود إلي حضور أماتوس أوف بوردو مع أوربان حين قام البابا برحلته في أنحاء فرنسا (٢٨) . وعند أنطاكية أمدنا بأسماء أولئك الذين كانوا علي حراسة قلعة المسجد (٢٩) ، وسرد رواية مقتل بورشيه (٣٠) ، وأمدنا بقائمة بأسماء ملوك أنطاكية الأسطوريين (٣١) ، وذكر حضور الكونت يوستاس في كاتدرائية القديس بطرس (٣٢) ، وأطلعنا علي الدور الذي لعبه جاستون بيرن في القتال ضد كربوغا(٣٣). كما لاحظ توديبود أيضاً موت كل من أرنولد وأرڤيدوس توديبود مع أنه فشل في تعريفهما كأخوين له (٣٤) . إلي جانب ذلك ، فقد أخبرنا عن مرض بوهيمند ، الأمر الذي جعل النورمان يعودون متأخرين عن موعد الإجتماع الذي عقد في يوم كل القديسين (٣٥) . كما أمدنا برواية أكثر وضوحاً عن حصار الفرنج لمدينة معرة النعمان ، حتي أنه أمدنا بعدد الرجال الموجودين في البرج المتحرك هناك (٣٦). كما أورد توديبود أيضاً رواية أسر جاسوس مسلم أثناء حصار بيت المقدس والعقاب المريع للرجل (٣٧) .

أما عن إختلاف توديبود عن ريموندا جيل ، فنجده يقدم رواية عن خسائر البروڤنساليين في دلماشيا (٣٨) ، بقوله أن كونت صنجيل قد أمر بمهاجمة مدينة روسا (٣٩) ، وقد أمدنا بقائمة بعدد الرجال الذين قتلوا والجياد التي تم الإستيلاء عليها عند رودوستو (٤٠) . كما كانت عبارة توديبود مميزة حين روي أن كونت صنجيل قد علم بطرد بوهيمند لرجال الكونت من الأماكن التي تحت يديه في أنطاكية قبل أن يرحل عن معرة النعمان (٤١) .

كما يناقض توديبود أيضاً الجستا في عدة مواضع ، فهو يحذف المادة التاريخية التي تصف الدعاية النورماندية ، وتقدم لنا عنعنة تحريرية . فيقرر أنه كان هناك أسقفاً واحداً في زيريجوردون علي خلاف ماورد في الجستا من أنه كان هناك عديد من الأساقفة (٤٢) . ويعرّف لنا شقيق كونت روسيجنولو كأسقف(٤٣) . وعلي أية حال ، فإن أعظم الإختلافات وأكثرها إقناعاً بين المؤرخيْن هو معالجتهما لشخص بوهيمند . فقد دفع تمجيد بوهيمند في مخطوطات الجستا ، الموجودة حالياً ، مؤرخاً مثل أوسجت كري ، كما لاحظنا من قبل ، إلي الأخذ بأن هناك إقحاماً لبعض النصوص في الجستا وأنه حدث لها إعادة تحرير متعجلة لغرض الدعاية . وبمقارنة تاريخ توديبود بالنسخ المتوفرة من الجستا ، وجدنا دليلاً آخراً يدعم رأي كري . فتوديبود يحذف إقحامات كثيرة واضحة ، ولايخطي تلك الأخطاء الواضحة التي سجلها نسّاخ الجستا (٤٤) . ولايتمتع أسلوب التفضيل بأهمية كبيرة في الأعمال التي عالجت تاريخ الحملة الصليبية الأولي ، ولكن بوجه عام ، نجد توديبود يستخدم هذا الأسلوب بشكل أقل مما يستعمله مؤلف الجستا في مدح بوهيمند(٤٥) . فلم يدرج توديبود في تاريخه تلك الإشارة التي توحي بأنه كان هناك بعض الترتيبات بين بوهيمند والإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين قبل حضور بوهيمند إلي القسطنطينية (٤٦) . كما أنه بالمثل ، لايقدم لنا أمثلة تفيد بأن بوهيمند قد منع قواته من القيام بأعمال النهب والسلب في الأراضي البيزنطية(٤٧) . ولايضخّم توديبود من حجم الأحاديث الحماسية الجريئة التي وجهها بوهيمند للصليبيين ، بينما نجده يؤكد علي أهمية دور المجالس التي عقدها قادة الفرنج للتشاور (٤٨) كما أنه يلقي بتبعية التصرفات المتطرفة التي قام بها الفرنج في المسجد الأقصي علي تنكريد ، النورماندي ، بينما ينفي مؤلف الجستا هذه التهمة عن ابن أخت بوهيمند (٤٩) . يضاف إلي ذلك أنه هناك بعض الإختلافات

اللفظية بين توديبود ومؤلف الجستا . فقد استعمل الإثنان كثيراً من المفردات المختلفة والتي تحمل معني واحداً . فنجد مدينة توديبود Civitas تختلف عن مدينة مؤلف الجستا Urbs . ويكتب توديبود اسم مدينة يافا Iaci أو Iafa أحياناً، بينما يكتبه مؤلف الجستا Japhie ، وهكذا (٥٠).

وتقدم لنا مثل هذه الإختلافات والتشابهات مسحاً جزئياً للمشاكل - كما أشرنا - التي قدمتها لنا هذه الأعمال التاريخية وتحدد لنا مكان تاريخ توديبود وسط هذه الصعوبات . وإذا لم يكن علينا أن نوضح سبب هذه التشابهات وهذه الإختلافات بآراء سديدة عمن نقل عن من ، فكيف يمكننا تفسيرها ؟ ويمكننا تفسير سبب وجود هذه التشابهات والإختلافات بالإلتفات إلي الدليل الضمني والمقرر للمؤرخين وشهادة المعاصرين (٥١) .

وتقودنا دراساتنا إلي أن نخلص إلي أن توديبود ، ومؤلف أو مؤلفي الجستا ، وريموندا جيل ، قد توفرت لديهم جميعاً قطع فريدة ومعلومات مختلفة من شأنها أن تجعلهم محل ثقة وشهود عيان . ولهذا السبب بالتحديد نعتقد أن توديبود لايجب أن يكون مستبعداً أو منبوذاً ، بل يجب أن يكون له مكاناً هاماً في مجال تأريخ الحروب الصليبية . وبالإضافة إلي ذلك ، نعتقد أن المؤرخين الثلاثة توديبود ، ومؤلف الجستا ، وريموندا جيل ، قد توصلوا إلي مصدر تاريخي مشترك أو مصادر معلومات استخدموها أحياناً لسد النقص في معلوماتهم المحدودة ، ودراسة توديبود تساعد علي تأكيد هذا الجدل (٥٢) .

وربما كان خير دليل يشير إلي مصدر معلومات مشترك يأتي من الرواية التي تعالج الحملة الشعبية . فمن المؤكد أن مؤلف الجستا لم يكن مشتركاً فيها ، لكنه يقدم لنا رواية واقعية واضحة للحدث ، مبيناً أنه لم يكن مجرد فارس نورماندي بسيط يكتب مذكرات يومية . فقد توصل إلي مصدر تاريخي مشترك ، ويدّعم توديبود هذا الرأي عندما يطابق الجستا في بعض المواضع إلا أنه يمدنا

بمعلومات إضافية . ولايدخل ريموندا جيل إلي الرواية المسهبة التي أوردها توديبود والجستا ، ولكن روايته الأقصر تبين أنه قد توصل بالفعل إلي نفس القصة . ويقرر توديبود صراحة أنه لم يكن بإمكان أي شخص أن يري أو يعرف كل شئ. ويخبرنا ريموندا جيل بأنه لن يضايقنا بالأحاديث عن بقية الصليبيين (من غير البرفنساليين) مع أنه يملأ تاريخه ببعض نشاطاتهم التي لابد أنه قد اقتبسها من مصدر تاريخي مجهول . وكما أشرنا من قبل ، فأحد الدلائل الأكثر إقناعاً والتي تشير إلي وجود مصدر تاريخي مشترك هو التشابه الدقيق للرواية التي عالجت يمين الولاء في الأعمال التاريخية الثلاثة ، وأيضاً الحديث عن المعجزات .

وبالإضافة إلي دليل المؤلفين ، نجد أن شهادة أقرب المعاصرين تقدم لنا إثباتاً آخراً لوجود مصدر مشترك . ويدفعنا البرت دكس ، باستخدامه للمادة التاريخية من توديبود والجستا وريموندا جيل ، إلي الإعتقاد بأنه ربما قد توصل هو أيضاً إلي مصادر كانت متوفرة لدي المؤرخين الثلاثة (٥٣) .

ويؤكد إيكهارد ، الذي اشترك في حملة سنة ١١٠١ م الصليبية ، وجود كتاب صغير Libellus في بيت المقدس كان مصدراً لمعلوماته . وقد اتفق المؤرخون الحديثون من قبل علي أن إيكهارد كان يقصد الجستا بشكلها الحالي .

ويبين التحقيق الأكثر دقة لهذا الإفتراض ، كما أشرنا من قبل ، أن كتاباً صغيراً Libellus ليس في حاجة إلي أن يكون كتاباً صغيراً يمكن مقارنته بالنصوص الحديثة للجستا (٥٤) . وبالإضافة إلي ذلك ، فإن تاريخ إيكهارد مشابه في كثير من نصوصه لتاريخ ريموندا جيل ومطابق تقريباً في التركيب اللفظي لخطاب دايمبرت وآخرين إلي البابا . وعلي أية حال ، فقد أورد إيكهارد معلومات تاريخية لم ترد في تواريخ كل من ريموندا جيل أو توديبود أو في الجستا ولكنها وردت في خطاب دايمبرت (٥٥) . إلي جانب ذلك ، فإن إيكهارد يورد رواية معجزة الماشية التي سارت إلي جانب الصليبيين بالقرب من عسقلان تماماً كما يرويها

توديبود وريموندا جيل . ويجب ملاحظة أن مؤلف الجستا لم يرو هذه الحادثة (٥٦). وفي رأينا أن مسألة قراءة إيكهارد لكتاب صغير يمثل الجستا الحالية هي أمر لايحتمل التصديق . وليس لدينا دليل قاطع بأن ريموندا جيل أو توديبود أو مؤلف الجستا قد أكملوا تواريخهم بحلول عام ١١٠١م ، وأن التواريخ المختلفة التي حددها لنا المؤرخون الحديثون بهذا الخصوص تبين عدم التأكد الذي يحيط بمثل هذه التخمينات . وبالتالي ، فبم أن التركيب اللفظي لخطاب دايمبرت وتاريخ إيكهارد متطابقان ، فيبدو لنا أن الإثنين قد استخدما كتابا Libellus (ليس بالضرورة كتاباً صغيراً) مفقوداً .

ولابد أن هذا الكتاب Libellus قد احتوي علي روايات حقيقية عن تجمع الجيش عند القسطنطينية ورحلته خلال بلاد المسلمين حتي موقعة عسقلان . ولابد أن القصد منه كان للقراءة جهرة مرتبطاً بصلوات الكنيسة إلي حد وضعه في مصاف التراتيل والتلبيات والأسفار القصيرة وتسبيحات الشكر . وربما كان يحتوي علي بعض الشرود الديني في الأهمية الروحية للحملة الصليبية . فلابد أن هناك ، بالإضافة إلي ذلك ، قصصاً وروايات استطرادية عن الطبيعة الواقعية أو الأخلاقية التي يمكن إقتباسها أو حذفها حسب الرغبة . والعمل كله سيخضع للإضافات أو الحذف حسب رغبة مكمله ، الذي ، سيوصف بالطبع كمؤلف .

وهذا سينفي أن توديبود ومؤلف أو مؤلفي الجستا وريموندا جيل كانوا مشاركين في الحملة وقدموا معلومات غير واردة في الكتاب الصغير Libellus . وقليل من المؤرخين الحديثين قد شغلوا أنفسهم بحقيقة أنه ليس هناك رواية شاهد عيان قدمت لنا شخصاً حضر مجالس قادة الصليبيين واطلع علي خططهم . ومن المؤكد ، فلابد أن هناك مصدراً مفقوداً أو مصادر مفقودة عن الحملة الصليبية الأولي ، لها الأفضلية والصفة الأكثر رسمية . فليس من المعقول أن أول من يسجل تاريخ بعثة في حجم الحملة الصليبية يكون فارساً نورماندياً بسيطاً ، أو كاهناً

مجهولاً ، أو قسيساً مغموراً ، وقلة من كتبة الرسائل دون الإنتفاع من الكتاب الرسميين من البيوتات العسكرية المتعددة .

وهكذا نعتقد أنه من الضروري - في هذه الترجمة وفي نصنا اللاتيني التالي لتوديبود - أن نعيد بعناية دراسة الروايات الكاملة لشاهدي العيان الثلاثة لأحداث الحملة الصليبية الأولي علي أن نتناسي مسألة إنتحال التآليف وعلي أمل في أن تقدم لنا المصادر الثلاثة إدراكاً وشمولاً لواحدة من أهم أحداث التاريخ والتي سجلت بأكثر الأساليب ركاكة.

هوامش مقدمة الترجمة الإنجليزية

(١) Mayer, 1960 .

(٢) Peter Tudebude, ed. Besly, 1641.

(٣) Bongars, Gesta.

(٤) Tud ebude, ed. Besly, 1641, pp. 773 - 6 .

وربما يوجد أفضل موجز لنص توديبود والجستا في رسالة لم تنشر بعد . انظر :
Duke, 1967.

(٥) H.Von Sybel, 1881; pp. 22 - 23.

(٦) H. Von Sybel, 1881 , p. 31.

(٧) Thurot, 1876, p. 67 .

أورد ثوروت موجزاً لدراسة القرن التاسع عشر حول قضية توديبود والجستا . انظر:
F. de Saulcy, 1842 , pp. 302 - 303 .

(٨) La Chanson d'Antioche, 1, pp. xxii - xl.

(٩) R. H. C. Occ. , pp. i - x.

(١٠) Hagenmeyer, Gesta .

وهناك ترجمة إنجليزية للجستا . انظر : Rosalind Hill, 1962. The Latin text, MS Vatican 372. Gesta Francorum, et aliorum Hierosolymitanorum.

وأيضاً : Krey, 1958.

(١١) Bréhier, Gesta.

(١٢) Gavigan , 1943.

(١٣) Krey, 1928.

(١٤) Iorga, 1928.

(١٥) Raymond d'Aguilers, p. 4.

(١٦) سنحيل القارئ إلي الهوامش التي تتضمن مزيداً من المناقشات .

(١٧) Chap. VII. fn. 26 .

(١٨) Chap. VIII. fn. 13.

(١٩) Chap. X . fn. 20.

(٢٠) Chap. X . fn. 13.

(٢١) Chap. XI. fn. 15.

(٢٢) Chap. XI. fn. 25.

(٢٣) Chap. II. fn. 54.

(٢٤) Chap. VII.fn. 36.

(٢٥) Chap. V. fn. 5; Raymond d'Aguilers, p. 42.

(٢٦) يزخر عملا توديبود ومؤلف الجستا بتسبيحات الشكر مع أنها تتنوع إلي حد ما . ويستخدم ريموندا جيل هذه التسبيحات في مرات تقل عن المرات التي يستخدمها فيها توديبود ومؤلف الجستا . وفي حالة واحدة تطابق ريموندا جيل مع توديبود والجستا . انظر :

وقد استخدمت تسبيحة " هوذا الملوك اجتمعوا " Congregati sunt لإخبارنا بتعليمات القديسين.

(٢٧) Chap. I. fn. 34; Chap. II, fn. 15 ; Raymond d'Aguilers, p. 11 ; Bréhier, Gesta, pp. 2 , 120 et passim see Liber, p. 28, Fn. 2 , p. 39 , fn. 4 , p. 42 , Fn. 4.

(٢٨) Chap. I. fn. 6.

(٢٩) Chap. V. fns.15,16.

(٣٠) Chap. V. fn. 19 .

(٣١) Chap. IX. fn. 26 .

(٣٢) Chap. IX. fn. 20 .

(٣٣) Chap. VIII. fn. 33 .

(٣٤) Chap. VII. fn. 22 .

ويدل توديبود على أن أرفيدوس كان شقيقاً له ، لكنه لا يقدم رواية محددة لتلك النتيجة .

(٣٥) Chap. IX. fn. 17 .

(٣٦) Chap. IX. fn. 35 .

(٣٧) Chap. XI. fn. 20 .

(٣٨) Chap. II. fn. 40 .

(٣٩) Chap. II. fn. 45 .

(٤٠) Chap. II. fn. 47 .

(٤١) Chap. IX. fn. 47 .

(٤٢) Chap. I. fn. 33 .

(٤٣) Chap. II. fn. 33 .

(٤٤) انظر ماسبق هامش رقم ١٣ ، وأيضاً : Chap. 11, fn. 6., Chap. IV, fn. 41 .

(٤٥) Chap. II. fn. 22 .

(٤٦) Chap. II. fn. 37 .

(٤٧) Ibid .

(٤٨) Chap. IV. fn. 41 .

(٤٩) Chap. XI. fn. 28 .

(٥٠) Chap. VIII. fn. 2; Chap. XI, Fn. 10 .

(٥١) Chap. I. fn. 33 .

وهناك عدة اختلافات في تركيب اللفظ في رواية تدمير جيش العامة . وتشير هذه الاختلافات إلي أن المؤلفين كانا يتبعان رواية مشتركة وقد حاكاها بما يتناسب مع أفكارهما .

(٥٢) Raymond d'Aguilers, p. 27 .

(٥٣) Albert d'Aix, pp. 394, 471 .

من المجازفة أن نقرر أن ألبرت دكس قد نسخ أعمال ريموندا جيل أو توديبود أو الجستا كما نعفرها نحن . إلا أن معلوماته ، أحياناً ما تتطابق مع أعمال ثلاثتهم . وقد تضمن تاريخ ألبرت معلومات من كتاب توديبود لم ترد في الجستا أو في تاريخ ريموندا جيل . فقد أورد أسماء قادة أتراك تشير إلي وجود قائمة معروفة للملوك والقادة . كما أورد وصفاً للموكب الديني حول =

= بيت المقدس وسلوك المسلمين كان متطابقاً مع رواية توديبود في هذا الصدد. وبالنسبة لنا ، فمن المحتمل جداً أنه قد توصل إلي معلومات معروفة ، وقد أضاف إليها ألبرت تفاصيل ألم بها بعد أن وضع المؤرخين شاهدو العيان الثلاثة أعمالهم .

(٥٤) Liber, p. 23, fn. 1; p. 50, fn. 2; p. 150, fn. 2; p. 153, fn.r.

(٥٥) Ekkehard, pp. 135 - 179; Hagenmeyer, 1901, p. 170 .

(٥٦) Ekkehard, pp. 179 - 181 ; see Chap. XII , fn. 12.

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعملا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً »

صدق الله العظيم

(الكهف ١٠٣ - ١٠٤)

الفصل الأول

دعوة البابا أوربان والحملة الشعبية

في عام (١٠٩٥م) (١) دنت اللحظة المحتومة التي حددها المسيح للمؤمنين به والتي أكدّها في الإنجيل بقوله : " إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني " . (٢) ومن ثمّ ، إجتاحت موجة من الحماسة كل إقليم غالة ، فلم يتردد كل ذي قلب طاهر (٣) وعقل سليم رغب بحماسة في اتباع المسيح وفي حمل صليبه بإخلاص ، بل سارع بالتطوع للذهاب إلي القبر المقدس . حتي أن البابا أوربان (٤) قد عبر جبال الألب (٥) بسرعة ، يصحبه كبار الأساقفة ورؤساء الأساقفة ومجموعة من القساوسة إلي جانب عدد من الشخصيات المرموقة من غير رجال الدين . كما كان في معيّته المندوب البابوي أماتوس رئيس أساقفة بوردو (٦) .

وعلي الفور بدأ البابا - في حضور رجال الإكليروس - يتحدث ويدعو ببلاغة قائلاً (٧) : " علي كل من يرغب في خلاص روحه ، أن لايتردد في أن يسلك طريق السيد في تواضع ، وإذا كان في عوز من المال ، فستتكفل الرحمة الإلهية بسد الحاجة " . وأضاف البابا قائلاً : " من الضروري أن نعاني بشدة من أجل المسيح ؛ وهذا يعني صراحة ، أن نعاني سوء الحظ ، والفقر ، والإضطهاد ، والفاقة ، والمرض ، والحفاء ، والجوع ، والعطش ، وغير ذلك من الشدائد (٨) . فكذلك نبه المسيح حوارييه : " يجب أن تعانوا بشدة من أجل إسمي ولا تخجلوا أن تعلنوا إيمانكم بي أمام الرجال (٩) ، لأنني سوف أعطيكم فماً وحكمة (١٠) ، وأخيراً ، فسوف تناولون جزاء الميراث " . (١١) وعندما انتشرت أخبار هذا الحديث بانتظام خلال أقاليم غالة ، تأثر الفرنج كثيراً ، حتي أنهم بادروا بإحاكة الصلبان

علي أكتافهم اليمني [١٢] ، قائلين أنهم تجمعهم إرادة واحدة علي خطي المسيح[١٣] التي من خلالها تخلصوا من مخالب الجحيم [١٤] .

وعلي الفور ترك الفرنج ديارهم وكونوا جيشين. [١٥] تكون جزء من بطرس الناسك [١٦] ، والدوق جودفري [١٧] ، وأخيه بلدوين [١٨] ، ذلك الفارس المسيحي الأريب [١٩] ودخلوا بهداية الرب وحمايته بلاد المجر . ثم سلك هؤلاء الفرسان المقتدرون وآخرون لا أعرفهم ، دون قيادة موحدة ، الطريق - الذي سلكه شارلمان ملك الفرنجة العظيم - إلي القسطنطينية . [٢٠] وكان بطرس الناسك هو أول من وصل إلي القسطنطينية في ٣٠ يوليو ١٠٩٦ م ، مع جمع كبير من الألمان . [٢١] وهناك وجد صليبيين من شمال وجنوب إيطاليا ، كما وجد جموعاً أخري [٢٢] . وقدم لهم الإمبراطور ألكسيوس كومنين [٢٣] المؤن بقدر ماتسمح به طاقة المدينة ، ثم نصح الصليبيين قائلاً : " لاتعبروا [مضيق] البسفور [٢٤] حتي يصل الجزء الأكبر من الجيش المسيحي لأنكم لستم بالقوة التي تمكنكم من إيقاع الهزيمة بالأتراك " . وتجاهل المسيحيون نصائح الإمبراطور وسلكوا سلوكاً مشيناً ، فنهبوا وأحرقوا المباني ، وسرقوا الرصاص الذي كانت تغطي به أسقف الكنائس ، حتي أنهم باعوه لليونانيين . وأثارت هذه الأفعال سخط الإمبراطور لدرجة أنه بادر بإصدار أوامره إلي الصليبيين بعبور البسفور . ومهما يكن من أمر ، فبعد عبورهم البسفور ، واصلوا القيام بأعمالهم الشريرة ، بإحراق ونهب المنازل والكنائس . ووصلوا أخيراً إلي نيقوميديا [٢٥] حيث انفصل اللمبارديون والنورمان والألمان عن الفرنسيين بسبب غطرسة الأخيرين [٢٦] .

اختارت الفرق الإيطالية قائداً يدعي رينالد ، وتبعهم الألمان . [٢٧] ثم دخلوا إقليم رومانيا [٢٨] وساروا لمدة أربعة أيام متجاوزين مدينة نيقية [٢٩] ،

وعندما صادفوا قلعة زيريجوردون Xerigordon (٣٠) المهجورة ، احتلوها ، ووجدوا بها كميات وفيرة من الحبوب والنبيذ واللحوم وأنواع أخري من المؤن (٣١). وفور سماع الترك بأنباء احتلال الصليبيين لهذه القلعة ، قاموا بضرب الحصار حولها. وكانت هناك بئر قبالة بوابة القلعة ، وعند سفحها كانت عين مياه حيث كمن رينالد للأتراك . وعلي أية حال ، اكتشف الأتراك الذين وصلوا في عيد القديس ميخائيل (٣٢) ، موقع الكمين الذي نصبه لهم رينالد ورجاله وقتلوا منهم مقتلة عظيمة .

وسرعان ماوجد بقية الفارين إلي القلعة أنفسهم محاصرين من قبل الأتراك ، ومحرومين من المياه . لذلك ، سرعان ماعانوا العطش ، ففصدوا خيولهم وحميرهم وقاموا بشرب دمائها . وقام آخرون بإسدال ثيابهم في مجاري المراحيض وعصروا ماعلق بها من مياه في أفواههم . حقيقة ، كان البعض يتبول في كفيّ زميله ليشرب الإثنان . ودفع الظمأ ، الذي لايطفأ ، آخرين إلي حفر خنادق في الأرض المبتلة والنزول إليها ، لتغطية صدورهم وأجسادهم بالرطب من القاذورات .

وأخذ أحد الأساقفة (٣٣) وبعض القساوسة الموجودين في شد أزر الصليبيين المحاصرين وحثّهم علي الصمود قائلين : " كونوا في كل الأوقات راسخين في الإيمان (٣٤) ، ولا تخشوا أولئك الذين يقتلون الجسد ، ولكنهم لايستطيعون قتل الروح . " (٣٥) . واستمر الحصار الشديد لمدة ثمانية أيام ، ولم ينه هذا الحصار سوي قائد الألمان ، الذي عقد اتفاقاً مع الترك يقضي بتسليم الحامية (٣٦) . وتظاهر هو وكثيرون من رفاقه بالتقدم لملاقاة المحاصرين ، وسرعان ما ارتد مدبراً إلي الأتراك . ولقي كل الذين بقوا علي قيد الحياة ، والذين أبوا خيانة ربهم حتفهم. واعتقل الترك آخرين وتقاسموهم كما لو كانوا أنعاماً ، واتخذوا البعض هدفاً لرياضة الرمي بالسهام . وباعوا البعض ، وتبادلوا إهداء البعض فيما بينهم

كما لو كانوا حيوانات . وأخذوا البقية الباقية من الصليبيين إلي بلادهم في فــارس[٣٧] و أنطاكية [٣٨] وحلب [٣٩] أو إلي أماكن سكناهم في أنحاء أخري . وهناك ، كان أول الصليبيين الذين استشهدوا بسعادة من أجل اسم المسيح.

وبعد هذه الكارثة ، وصلت الأنباء إلي الأتراك بأن بطرس الناسك والتر المعدم قد استولوا علي كيفيتوت [٤١] وهي قلعة تقع فيما وراء مدينة نيقية . وجاء الترك إلي هناك تملأهم الغبطة لمقتل الصليبيين ، وسرعان ماقتلوا والتر المعدم ورجاله . وفي هذه الأثناء ، كان بطرس الناسك قد عاد إلي القسطنطينية لعدم قدرته علي التوفيق بين جماعات الفرنج المتنازعة ، التي لن تنصاع لأوامره أو تأخذ بنصائحه [٤١] . وفي أثناء غياب بطرس الناسك ، اندفع الترك بدون رحمة ، وقتلوا رعاع بطرس بينما كان بعضهم نائماً ، وآخرين يرقدون مرضي ، بينما كان البعض منهما عارياً من ثيابه ، وعلي سبيل المثال ، كان هناك قسيس يتلو القداس علي مذبح الكنيسة [٤٢] . ومن تمكن من النجاة ، لجأ إلي كيفيتوت والأقل حظاً منهم ألقي بنفسه إلي البحر أو اختبأ في التلال التي تكسوها الأشجار . فتعقبهم الترك إلي القلعة وكدسوا أكواماً من الأغصان قبالة أسوار الحصن لحرقه بمن فيه . وعلي أية حال ، فقد أشعل المحاصرون النيران في الأخشاب ، ودفع الرب الذي لم يشأ التخلي عنهم ، بريح جهة الترك فهبت النيران نحوهم وأخذ الترك بقية الصليبيين وبعثوا بهم إلي شتي بلادهم ، البعض إلي خراسان والبعض الآخر إلي فارس . وقد وقعت كل هذه الأحداث في شهر أكتوبر . وقد أوقعت أنباء دحر الترك للصليبيين البهجة في نفس الإمبراطور ألكسيوس ، الذي أمر بنقل بقية الصليبيين المبعثرين في آسيا الصغري عبر البسفور إلي بلاده . وفور عودتهم ، جمع كل أسلحة الصليبيين المهزومين .

هوامش الفصل الأول

(١) يخطئ المخطوط A ، وهو الأساس الذي تعتمد عليه هذه الترجمة ، في وضع خطبة البابا أوربان الثاني في عام ١٠٩٧ م . وقد أعلن أوربان دعوته في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م ، وقد صححنا التاريخ في ترجمتنا . ولا تضع المخطوطات الأخري لكتاب توديبود أي تاريخ لهذه الوقعة .

(٢) هذا الإقتباس (متي ، ١٦ : ٢٤) نجده في كتاب القداس اليومي في قداس الشهيد . وفي كتاب الصلوات يقرأ هذا الإقتباس في صلاة الليل الثالثة من قداس الشهيد . ونعتقد أن كلا من ريموندا جيل وتوديبود يعرفون ويستخدمون كتب الصلوات للإقتباس منها .

(٣) كانت لاتينية الكنيسة مألوفة لتوديبود ، وتكرر إستعماله لها .

انظر : Troper, p. 126

(٤) البابا أوربان الثاني (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) هو أودو دي لاجني Odo de lagny . وكان من رهبان دير كلوني ، وكاردينالاً أسقفاً لأوستيا ، وخلفاً للبابا فيكتور الثالث ، انظر: Ruinart, 1881; Krey, 1948, Munro, 1906

- للمزيد عن حاية أوربان الأولي ونشاطاته الدينية والسياسية حتي دعوته للحملة الصليبية الأولي انظر : Runciman, pp. 101 ff.

الترجمة العربية

(٥) أجهد المؤرخون أنفسهم - في محاولتهم لإثبات الأصل النورماندي للجستا - كي يوضحوا أن عبارة Ultra montaneas عَبْرَ جبال الألب التي استخدمها مؤلف الجستا أيضاً ، هي الدليل علي أن المؤلف كان إيطاليا . ومهما يكن من أمر ، فإن كلمة Ultra عَبْرَ أو فيما وراء ، كما استخدمت في الحوليات =

= الفرنسية والوثائق القانونية الصادرة في جنوب فرنسا ، هي اصطلاح عام . ومن المحتمل أن يكون رأي بولان باريس صحيحاً عندما قرر أن هذه العبارة يستخدمها الفرنسيون كما يستخدمها الإيطاليون أيضاً .

انظر : La chanson d'Antioche I : p. XXXI; Bréhier, Gesta, p. ii; HGL 5 : C. 441 , 454.

(٦) أماتوس أوف بوردو Amatus of Bordeaux هو رئيس أساقفة بوردو والمندوب البابوي . وقد أغفل ذكره مؤلف الجستا . انظر : HGL 5: C.5 ; Crégut, 1895.

(٧) كلمة أن يدعو أويبشر Predicare شائعة في الكتابة الكنسية . انظر : Actus Apostolorum, 10, 42.

(٨) أكدت الكنيسة علي أهمية المعاناة في حياة المسيحي . انظر : Epistola ad Romanos 8 : 35.

- وقد ورد ذلك في مواضع عدة في العهد الجديد . انظر : أعمال الرسل ٩ : ١٦ ورسالة بولس إلي أهل رومية ٨ : ٣٥ . (الترجمة العربية) .

(٩) متي ، ١٠ : ٣٢ ؛ رسالة بطرس الأولي ، ٤ : ١ .

هناك عدة أسباب جعلت رجال الكنيسة يدمجون أو يغيرون ويبدلون الإقتباسات إلي حد ما . فربما كانوا يحللون نصاً ويستخدمون مرادفات . وربما كانوا يبنون اقتباساتهم علي أساس أحد الأسفار ، أو التلبيات التي تؤدي خلف القس ، أو سفر صغير ، أو صيغ لاتتطابق بدقة مع المصدر المأخوذ عنه . وربما كانوا يتبعون حديثاً أو رواية مأخوذة من كتاب مقدس يرجع إلي فترة ماقبل نسخة جيروم . ومثل هذه الممارسات ، تدل علي =

= إستخدام مادة أو عبارات تستخدم في القداس ، أكثر مما تدل علي كتابة مؤلف علماني ، كما تري روزالين هيل . ومثالاً لذلك انظر: ,Hill and Hill 1960: p. 75,fn.7

(١٠) لوقا ، ٣١ : ١٥ .

(١١) الرسالة إلي أهل كولوسي ٣ : ٢٤ .

(١٢) تخبرنا الروايات الخاصة بالدعوة لقيام الحملة الصليبية الأولي عن قيام المشاركين فيها بحياكة الصلبان علي أكتاف العباءات . انظر : Fulcher of Chartres, ed. Hagenmeyer, 1913 , p. 4 ; ed. Fink , 1969 : p. 68 , Blaise, p. 472.

(١٣) خطي المسيح . رسالة بطرس الأولي ٢ : ٢١ .

(١٤) تشير كلمة Tartharea إلي الجحيم أو إمبراطورية الشيطان .

- أخذت هذه الكلمة شكلاً آخر في نسخة الجستا التي قامت بترجمتها روزالين هيل وهو Tartarea .

انظر : .Gesta, ed. Rosalind Hill, 1962, p.2 (الترجمة العربية) .

(١٥) يذكر مؤلف الجستا ثلاثة جيوش . ويصحح توديبود معلوماته فيما بعد .

(١٦) كان بطرس الناسك في وقت من الأوقات يعتبر مفجر فكرة الحملة الصليبية الأولي وقد صحح هاجنمير هذه الفكرة الخاطئة انظر : ,Hagenmeyer 1879, Duncalf, 1921 : p. 440 - 453.

- توحي رواية كل من توديبود ومؤلف الجستا أن بطرس الناسك قد خرج من أوربا بصحبة جيش جودفري دوق اللورين السفلي . إلا أنهما - بعد قليل - سيفردان رواية حملة بطرس الشعبية وحدها . وقد بدأ بطرس مسيرته إلي الشرق من مدينة كلونيا الألمانية في أبريل ١٠٩٦م . وللمزيد عن حياة =

= بطرس الأولي حتي إشتراكه في الحملة الصليبية ، انظر : جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ١٥٧ ومابعدها . (الترجمة العربية).

(١٧) جودفري دي بويون (١٠٦٠ - ١١٠٠م) هو دوق اللورين السفلي (١٠٨٩م) ، وكان البطل المفضل لدي المؤرخ اللاتيني البرت دكس . وكانت سمعته فيما بعد تفوق إنجازاته في الحملة الصليبية الأولي . انظر : Andershon, 1947.

(١٨) بولدوين هو الأخ الأصغر لجودفري وربما كان أكثر ثقافة من أخيه . وقد أسس كونتية الرها الصليبية ، أول إمارة صليبية في الشرق . وأصبح فيما بعد ملكاً لمملكة بيت المقدس الصليبية (١١٠٠ - ١١١٨م) . ويقدم لنا فولشر أفضل رواية عنه .

- يعتبر جودفري صورة كاملة للفارس الإقطاعي في الغرب الأوروبي في العصور الوسطي ، الذي يتميز بالشجاعة ، ويفتقر إلي الثقافة . وقد اختلف المؤرخون الحديثون حول شخصيته . فيري بعضهم أنه كان ضعيف الشخصية إذا ماقورن بأقرانه من قادة الحملة الأولي مثل شقيقه بولدوين وكونت صنجيل وبوهيمند النورماندي وربما تم إنتخابه ملكاً لبيت المقدس حتي لايثير النزاع بين باقي رؤساء الفرنج . بينما يري البعض الآخر أن اعتدال هذا الرجل ودعة أخلاقه كانا عاملين هامين في تقريب وجهات النظر المختلفة المتضاربة بين رؤساء الجيوش الصليبية . هذا ، بينما كان بولدوين يتميز بالطموح وقوة الشخصية ، إلي جانب صفاته كفارس بارز . وللمزيد عن الشخصيتين انظر : جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ١٧٩ - ١٨١. (الترجمة العربية).

(١٩) عبّرت قصص مصارعي المسيح عن النموذج المسيحي للكفاح . وقد مُجّدت كفاحات هؤلاء المصارعين في التسبيحات والعظات . انظر : Britt, 1936, p. 252.

(٢٠) الطريق الذي يتبع الدانوب وموارفا وماريتزا Maritza . وتعتبر أسطورة شارلمان واهتمامه بالأراضي المقدسة أسطورة عريقة . انظر : Ekkehard; R. H.C. O. C. V., p. 19; Brehier Gesta, p. 5 , Fn. 11; G. Paris, 1880.

- عن هذه الأسطورة وعدم صحتها انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٨ ، هامش رقم (٤) . (الترجمة العربية).

(٢١) يحدد برييه ٣٠ يوليو تاريخاً لوصول بطرس الناسك إلي القسطنطينية . بينما يحدده هاجنمير بالأول من أغسطس ١٠٩٦م . انظر : Bréhier, Gesta, p. 6, Fn. 1; H. Chr, 59.

وقد أصابت الحيرة النُسّاخ والناشرين بخصوص تاريخ وصول بطرس إلي القسطنطينية . فقد اكتفي بونجارز بكلمة Kalendis "أول" التي سبقت كلمة أغسطس Augusti متملصاً بذلك من تفسير وجود الأحرف الصغيرة السابقة عليها . انظر Bongars, Gesta, p. 1 . واعتبر برييه قراءات المخطوط مختلطة . فيقرأها أحياناً iii وأحياناً in . وكانت مخطوطات توديبود أوضح . فنحن نقرأ في المخطوط MSA . iii . وعبارة iii kal. Augusti تعني بالطبع ٣٠ يوليو .

- تضع روزالين هيل أول أغسطس تاريخاً لوصول بطرس الناسك إلي القسطنطينية. وهي بذلك تتبع رأي بونجار وهاجنمير . وأخذ الدكتور حسن حبشي برأي برييه الذي حدد ٣٠ يوليو كتاريخ أدق ، ولكن في هامش وليس في المتن . أما المؤرخون مثل رنسيمان وجروسيه فقد حددوا أول أغسطس - أيضاً - كتاريخ لوصول بطرس كما جاء في المخطوط المنشور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٩. راجع أيضا . S. Runciman, A History of the Crusades, 3 vol. s. Cambridge, 1968, vol. 1, p. 127 ; R. Grousset, =

= Histoire des Croisades, 3 toms., Paris, tom. 1, p.6. (الترجمة العربية).

(٢٢) يتحدث كل من توديبود والجستا عن إيطاليين شماليين lumbardos وإيطاليين جنوبيين langobardos . ويفضل بريبه استعمال كلمة Longobardos فقط حسب المخطوط Ms Vatican 641 (الذي يذكر "وجدوا إيطاليين شماليين وآخرين كثيرين invenit langobardos et alios plures " . أما بقية مخطوطات الجستا فتذكر lombardos et longobardos والمخطوط BCD يذكر فقط longobardos . انظر : Bréhier, Gesta, p. 6 and Fn. 2.

(٢٣) الكسيوس كومنين هو الإمبراطور البيزنطي القدير (١٠٨١ - ١١١٨م) الذي واجه جموع الصليبيين . انظر : Comnena, 1937 - 1945.

٢٤) كتب الحوليون عن عبور ذراع القديس چورج .

- " وعندما تم ذلك عبرنا البحر المسمي ذراع القديس چورج . " انظر : Flcher. of . Chartres, p. 80 (الترجمة العربية).

(٢٥) سلك الصليبيون الطريق المجاور لبحر مرمرة . واليوم يعبر المسافرون هذا البحر وفي إمكانهم رؤية التلال التي اخترقتها الجيوش الصليبية . ونيقوميديا هي إزميت الحالية . وقد وصل بطرس إلي نيقوميديا في ١ أغسطس ١٠٩٦ م . انظر : H. Chr. 62.

(٢٦) في محاولة منهم لإثبات أن مؤلف الجستا كان إيطالياً ، أكد المؤرخون علي أهمية استعمال عبارة "عجرفة شديدة" tumida superbia . ونجد أن F.de Saulcy مقتنع بأن مثل هذا التعبير لايستعمله الرجل الفرنسي ليصف به الفرنسيين . وقد لاحظ بولان باريس ، علي أية حال ، أن أهل الجنوب Midi لايميلون إلي الفرنسيين الشماليين ، وأن مثل هذه الإشارة كانت عادية =

= بالنسبة لهم . وربما يجوز لنا أن نذكر أيضاً أن كلمة " عجرفة " Superbia كانت بصفة عامة تحمل معني يندد به رجال الكنيسة ومذموم بالنسبة لهم مثل أي خطيئة شنيعة ، وأن أي سوء حظ تقريباً يمكن أن يكون سببه هو العجرفة والتكبر . انظر : De Saulcy , 1842; Thurot, 1876; La Chanson d'Antioche I : p. xxxi ; Liber Proverbiorum 8 : 13, 11 : 2.

(٢٧) ثار جدل حول شخصية ريتالد . فيري هاجنمير أنه ألمانياً ، لكن برييه يعتقد أنه قد أخطأ في ذلك . انظر : Bréhier, Gesta, pp. 8 , 9, Fn. 1; Hagenmeyer, Gesta, p. 116

(٢٨) رومانيا والمقصود بها هنا الأناضول . وكانت آسيا الصغري بالنسبة للأتراك هي سلطنة سلاجقة الروم . كما يشير هذا التعبير أيضاً إلي الإمبراطورية البيزنطية .

- إستخدم كل من ريموندا جيل وفولشر أوف شارتر نفس الإسم أيضاً . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٧٩ . راجع أيضاً : Fulcher of Chartres, p. 83. (الترجمة العربية) .

(٢٩) نيقية مدينة قديمة يرجع إنشاؤها إلي عام ٣١٦ ق.م. وتقع علي بحيرة أسكانيوس Ascanius (بحيرة إزنيق Iznik الآن) ، في واد محاط بجبال قليلة الإرتفاع . وتسمي الآن إزنيق . ولازالت بعض أجزاء من أسوارها القديمة باقية بالرغم من أعمال الترميم البسيطة التي تمت فيها . وقد حكم السلاجقة بقيادة قلج أرسلان المنطقة زمن الحملة الصليبية الأولي .

(٣٠) لم يتم التعرف علي زيريجوردون Xerigordon . ويذكر كل من توديبود ومؤلف الجستا أنها كانت تبعد عن نيقية بمسيرة أربعة أيام . ويقرر البرت =

= دكس أنها كانت تبعد عن نيقية بمسافة ثلاثة أميال . انظر : Albert d'Aix, p. 285.

(٣١) احتل الصليبيون زيريجوردون في ٢٤ سبتمبر ١٠٩٦م . انظر : H. Chr., 74.

(٣٢) ٢٩ سبتمبر ١٠٩٦ م . انظر : H. Chr., 76.

(٣٣) يذكر توديبود أسقفاً واحداً ، بينما تذكر الجستا عدة أساقفة .

- انظر : أعمال الفرنجة ، ص ٢ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, p. 4

حيث نجد عدة أساقفة وقساوسة (الترجمة العربية) .

(٣٤) رسالة بطرس الأولي ، ٥ : ٩ ؛ الرسالة إلي أهل إفسوس ، ٦ : ١٠ .

(٣٥) متي ، ١٠ : ٢٨ ؛ كتاب القداس ، ٢٨ يونيو .

(٣٦) استمر حصار الصليبيين للموقع من ٢٩ سبتمبر إلي ٧ أكتوبر ١٠٩٦م .
انظر : H. Chr. 76, 79 .

(٣٧) خراسان Corozan تعبير مبهم استخدمه المؤرخون المعاصرون لوصف بلاد الوثنيين إلي جهة الشرق . وفي وقت من الأوقات كان هذا الإقليم يعتبر الجزء الشمالي من إيران .

- والمقصود بكوروزان هو إقليم الموصل من العراق . وربما استخدم المؤرخ هذه الكلمة ليصف بلاد الوثنيين كما جاء في الإنجيل . متي ، ١١ : ٢١ .
انظر: ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٠٣ ، ص ١١١ ، هامش رقم (١) . (الترجمة العربية) .

(٣٨) ومدينة أنطاكية مدينة قديمة يوفر لها نهر العاصي وجبل سيلبيوس (حبيب النجار) مناعة طبيعية كبيرة . ويرجع تاريخ الدفاعات التي صنعها الإنسان =

= إلي عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان . وقد احتلها السلاجقة في عام ١٠٨٥ م . انظر : . G. Downey, 1961

- كان يطلق علي مدينة أنطاكية في العصور القديمة اسم ربلاتا Reblala . ثم جاء أنطيوخوس أحد خلفاء الاسكندر المقدوني وأقام حولها سوراً وجعلها عاصمة له ، وأطلق عليها اسم أنطاكية نسبة إليه . وأكمل سليوقس بناءها وبني اللاذقية وحلب وأفامية . ودخلها المسلمون لأول مرة عندما فتحها أبو عبيدة ابن الجراح في عام ٦٣٨م/٣٢ هـ أثناء فتح الشام . وبقيت أنطاكية فى أيدي المسلمين حتي استولي عليها الإمبراطور البيزنطي نقفور فوقاس في عام ٩٦٩ م / ٣٥٨ هـ . ثم عادت إلي أيدي المسلمين عندما فتحها سليمان بن قتلمش السلجوقي في عام ١٠٨٥م / ٤٧٧هـ . وبقيت في أيدي السلاجقة حتي قدوم الفرنج إلي بلاد الشام . انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٨٢ - ٨٣ . (الترجمة العربية).

(٣٩) تقع مدينة حلب في الجزء الداخلي من بلاد الشام إلي الشرق من أنطاكية . وكان يحكمها زمن الحملة الصليبية الأولي سياسي ماهر هو رضوان .

- تقع حلب علي مسافة مسيرة يومين من أنطاكية شرقاً . وكان يحكمها رضوان ابن تُتُش السلجوقي . بينما كان يحكم في دمشق شقيقه دقاق بن تُتُش . وهما ولدا تاج الدولة تتش عم السلطان السلجوقي بركياروق . وكان الأخوان في صراع دائم ، يعتبر هو لب الموقف في بلاد الشام عند قدوم الصليبيين إلي المنطقة ، ونجاحهم في اجتياحها دون مقاومة إسلامية فعالة . وفي صراعهما بحث كل منهما عن حلفاء ، وكان ياغي سيان حاكم أنطاكية حليفاً لدقاق . وعندما تخلص رضوان من أتابكه جناح الدولة صاحب حمص وعدو =

= ياغي سيان ، انضم الأخير إلي رضوان وأقام نفسه أتابكا له ، وساعده في الهجوم علي أملاك أخيه . وعند قدوم الفرنج عاد رضوان إلي حلب تاركاً ياغي سيان ليواجه وحده جيوش الحملة الأولي . وكان رضوان قد تلاعب بجمهور الشيعة القوي والعصبة الفاطمية ، فتحالف مع الفواطم ضد أخيه دقاق . وأقام الخطبة للخليفة الفاطمي المستعلي في حلب في عام ١٠٩٦م / ٤٩٢هـ. انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ م ، ص ١٣٣ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٢ جـ ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١م ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ . راجع أيضاً : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص ١١٢ .

(الترجمة العربية) .

(٤٠) والتر المفلس (San Avoir, Sensarehor, Sinehabere) كان فارساً فطناً حاول السيطرة علي الحشود المتمردة من الفرنج . ولم يكن قادراً علي السيطرة علي جودفري بوريل والمتهورين من الفرنج أثناء تغيب بطرس الناسك في القسطنطينية . وقد وصل بطرس إلي كيفيتوت في ١١ أغسطس ١٠٩٦م . انظر : H. Chr. 63 . وكيفيتوت هي سيبوتوس Cibotus القديمة . وهي ميناء علي خليج نيقوميديا بناه الإمبراطور الكسيوس . وهو مهجور الآن .

(٤١) عاد بطرس الناسك إلي القسطنطينية في بداية أكتوبر ١٠٩٦ م . انظر : H. Chr. 77.

(٤٢) وقع هذا الهجوم في ٢١ أكتوبر ١٠٩٦م . انظر : H. Chr. 84.

الفصل الثاني

رحلة الجيش الرئيسي إلي القسطنطينية

أما الجيش الثاني من الصليبيين ، فقد دخل دلماشيا [١] بصحبة ريموند كونت صنجيل [٢] وأسقف لي بويه المبجل أدهيمار [٣] . وإجتازت فرقة ثالثة تضم كلا من روبرت كونت الفلاندر [٤] وربرت كونت نورماندي [٥] ، وهيو العظيم [٦] ، وكثيرين غيرهم ، اجتازت الطريق الروماني القديم [٧] ووصلت إلي مواني برنديزي ، وباري ، وأوترانتو [٨] . وسرعان ما أبحر هيو العظيم ووليم ابن المركيز [٩] من ميناء باري ورست السفن التي تقلهم في دورازو [١٠] . وفور تواتر الأخبار بوصول هذين المحاربين المحنكين إلي أسماع حاكم دورازو دبر الأخير خطة خسيسة ، فأمر باعتقالهما ومراقبتهما حتي يصلا إلي الإمبراطور كي يعلنا له بإخلاص ولاءهما وطاعتهما [١١] .

وكان الدوق جودفري هو أول من وصل إلي القسطنطينية مع جيشه الكبير قبل عيد الميلاد بيومين ، وضرب معسكره خارج المدينة [١٢] . وبقي في مكانه حتي أمر ألكسيوس الشرير بالسماح له بالإقامة داخل المدينة بحفاوة . وكان الدوق، وقد استقر داخل المدينة ، يبعث محاربيه يومياً إلي خارج المدينة دونما حذر للبحث عن الكلأ وغيره من الضروريات ، وهم بدورهم اعتقدوا أن في استطاعتهم الذهاب أينما شاءوا باطمئنان تام ؛ ولكن سرعان ما حرض الإمبراطور الشرير الحراس من التركبولية [١٣] والبجناكية [١٤] ، ضد الصليبيين وأمر المرتزقة لديه بالإنقضاض علي اللاتين وقتلهم .

وعندما علم بلدوين شقيق الدوق ، بالأوامر التي أصدرها الإمبراطور الخائن، سارع باتخاذ الإجراءات الصارمة للعثور علي رجال الإمبراطور . وفي النهاية

صادف المرتزقة يهاجمون رجاله ، فهاجمهم بعنف (١٥) ، وبعون الرب تمكن من دحر رجال الإمبراطور . وأسر أربعين من المرتزقة ، فقتل بعضهم واقتاد الآخرين إلي معسكر أخيه(١٦) .

استشاط الإمبراطور غضباً بسبب هذا الصدام ، عندما علم به، (١٧)ودفع سخط الإمبراطور الدوق جودفري إلي ترك القسطنطينية ليقيم معسكره في موقعه السابق خارج أسوارها(١٨) وفي المساء أصدر الإمبراطور الخسيس أوامره إلي قواته بالإسراع بمهاجمة الدوق ومن معه من الصليبيين . حدث بعد ذلك أن قتل جودفري الذي لايُقهَر ، بمساعدة فرسان المسيح (١٩) ، سبعة من رجال الإمبراطور وطارد الباقين حتي باب القسطنطينية (٢٠) . وعاد جودفري إلي معسكره حيث بقي فيه لمدة خمسة أيام حتي عقد اتفاقية مع ألكسيوس (٢١) . وطلب الإمبراطور أن يعبر جودفري البسفور ، ووعد هو (الإمبراطور) ، بدوره ، أن يقدم للفرنج المؤن كما قدمها لهم في القسطنطينية ، كما وعد بتقديم الصدقات لإعانة الفقراء منهم .

وفي تلك الأثناء ، علم بوهيمند (٢٢) ذلك المحارب القدير ، أثناء حصاره لمدينة أمالفي (٢٣) المعروفة بجسر سكافارد ، بوصول حشد كبير من الفرنجة ، وسرعان ماعرف خطتهم للاستيلاء علي الطريق المؤدي إلي القبر المقدس وتحريره من أيدي المسلمين وتوفير سهولة عبوره لكل المسيحيين . ولذلك وجه إليهم بوهيمند عدة أسئلة تخص حملتهم الصليبية ، وبالتحديد ، عن أنواع الأسلحة التي يحملها الفرنج ، وعن طبيعة الشعار المسيحي الذي يحملونه ، وعن صيحة القتال التي يستخدمونها . ورداً علي استفساراته تلقي الإجابات التالية : " بالتأكيد ، دائماً ما يحمل الفرنج أكثر الأسلحة موائمة لخوض المعارك . ويحملون شعار الصليب إما فوق الكتف الأيمن أو بين الكتفين (٢٤) . ويصيحون معاً صيحة القتال : " إنها إرادة الله ؛ إنها إرادة الله ؛ إنها إرادة الله . " (٢٥) .

عندئذ ، طلب بوهيمند ، وقد حثه الروح القدس بتمزيق عباءته الثمينة إلي قطع صغيرة ، وعلي الفور صنعت منها صلباناً (٢٦) . وانضم غالبية الفرسان تحت لواء بوهيمند ، وفجأة ، ترك الكونت روجر لمواصلة الحصار - تقريباً - دون جندي واحد معه . وعاد روجر ، علي مضض ، إلي صقلية حزيناً يلوم نفسه علي فقدانه لجيشه . وأثناء ذلك ، عاد بوهيمند إلي أملاكه وكرس جهده للإستعداد للرحلة إلي القبر المقدس .

وأخيراً ، عبر البحر مع قواته وبصحبة تنكريد الصنديد (٢٧) ، إبن المركيز ، وغيره كثيرين . وبعد عبورهم البحر ، وصلوا إلي بلغاريا ، ووجدوا وفرة من الحبوب والنبيذ ، وغير ذلك من المؤن (٢٨) . بعد ذلك ، إنحدروا إلي وادي أندرونوبوليس وأقاموا معسكراً إنتظاراً لرسو بقية الجيش (٢٩) . وغادروا أندرونوبوليس ، مسافرين عبر المناطق الريفية الغنية من قرية إلي قرية ، ومن حصن إلي حصن ، ومن بلدة إلي بلدة ، حتي وصلوا إلي مدينة كستوريا (٣٠) . ومن هناك دخلوا إقليم بيلاجونيا حيث توجد إحدي قلاع الملاحدة . وحاصرنا تلك القلعة التي شيدت بجوار بحيرة ، وسرعان ماسقطت في أيدينا (٣١) . وأشعلوا فيها النيران و أحرقوها بسكانها بداخلها . بعد ذلك ، وصل الصليبيون إلي نهر الوردار ، حيث عبره السيد بوهيمند بصحبة بعض قواته (٣٢) . وعلي أية حال، بقي الكونت روسينولو وأخوه الأسقف (٣٣) .

ووصل جيش الإمبراطور البغيض حيث مكان روسينولو وانقض عليه وعلي أخيه ورجاله . وفي نفس الوقت وصلت الأنباء عن مأزق قوات الكونت إلي أسماع الفارس الشجاع تنكريد ، الذي سارع بالعودة عابراً النهر غوصاً وسباحة إلي اللاتين المحصورين . وتبعه ألفان من قواته وعبروا النهر سباحة للإنضمام إليه . وبمجرد أن صادفوا التركبولية والبجناك مشتبكين مع زملائهم في القتال ، انقضوا عليهم

بشجاعة ودحروهم ببراعة . وأسروا منهم جماعة واقتادوهم إلي السيد بوهيمند ، ذلك النورماندي الحكيم ، الذي خاطبهم قائلاً : " أيها التعساء ، لماذا تريدون قتل المسيحيين وقتلي ؟ إنني لم أناوئ إمبراطوركم " . ورد الأسري علي هذا التساؤل بقولهم : " ليس لنا في الأمر حيلة ، لأننا ملزمين بتنفيذ أوامر ألكسيوس الدنس ، وعلينا أن ننفذ ما يأمرنا به " (٣٤) .

وبناء علي ذلك ، أطلق بوهيمند سراحهم دون أذي . وقد وقعت هذه المناوشة في رابع أيام الأسبوع ، وهو بداية الصوم الكبير ، وبالتحديد يوم أربعاء الرمـــاد (٣٥) .

مبارك هو الرب دائماً . آمين .

بعث الإمبراطور الدنئ بأحد كبار موظفيه ، المعروف رسمياً بالكيروبالات Curopalate (٣٦) ، كدليل يقود مبعوثينا بأمان في بلاد الإمبراطور حتي نصل إلي القسطنطينية . وعند إقترابنا من مدنهم ، كان الكيروبالات يأمر سكانها بتقديم المؤن إلينا كما قدموها للجماعات الصليبية الأخري . ولاشك أن السكان كانوا يخشون قوات بوهيمند الجبارة كثيراً ، حتي أنهم لم يسمحوا بدنو أحد منا إلي أسوار مدنهم (٣٧) .

وفي النهاية ، وصلنا إلي مدينة تسمي روسا حيث أقمنا معسكرنا (٣٨) . وهنا ، ترك بوهيمند اللمّاح رجاله وسارع بالتوجه إلي القسطنطينية للتفاوض مع ألكسيوس . وحذرنا بوهيمند ، قبل رحيله بصحبة شرذمة من قواته ، قائلاً : "إجتازوا المدن بحذر لأنني سوف أسبقكم " .

وعندما علم ألكسيوس بوصول بوهيمند العظيم ، أمر بأن يستقبل بحفاوة، وأن ينزل خارج المدينة . وعندما استقر به المقام سعيداً ، دعاه الإمبراطور للإجتماع به سراً (٣٩) .

وفي تلك الأثناء ، كان كونت صنجيل ، بصحبة أدهيمار ، أسقف لي بويه ، وخلال عبورهم دلماشيا ، وهي بلاد لم يكن له أن يواجه فيها صعوبة ، فقد فعلاً كثيرين من فرسانه ، وعاني الكثير من أجل المسيح ومن أجل الوصول إلي القبر المقدس (٤٠) وبعد إجتيازه دلماشيا ، وصل ريموند إلي دورازو ، مدينة الإمبراطور، بحذر شديد لكونه يسير في بلاد يونانية ، لأنه قد كابد الكثير من أعدائه . ولكن سرعان ماهاجمه الجنس اليوناني الخبيث وأوقعوا الضرر بأكثر فرسان ريموند المسيحيين خبرة في كل مكان صادفوهم فيه ، ولم يكفّوا عن الترصد لهم ليلاً ونهاراً . وتعهد دوق دورازو بضمان الأمان لهؤلاء الذين دخلوا إلي مناطق نفوذه . ولكن اليونانيين - متسترين وراء هذا العهد بالأمان الذي منحوه للبروفنساليين - قتلوا الفارس الشهير بونتيوس رينو وأثخنوا شقيقه بالجراح (٤١) .

في أثناء ذلك ، بينما هم يضايقون ريموند طوال الطريق ، كانت رسائل السلام والأخوة تصل تباعاً من ألكسيوس مع عبارات يشمل بها ريموند بعواطف البنوة، وبينما كانت هذه الخطابات تقرأ علي مسمع من الجميع ، كان الأتراك والبجناك والكومان والسلاف والغز وغيرهم من الأجناس الشرسة تكمن للفرنج في كل جانب ، علي أمل النيل من البروفنساليين في أنسب مكان (٤٢) .

وفي أحد الأيام ، وبعد أن ضرب أسقف لي بويه معسكره ، حاصره بعض البجناك . ودونما تردد ، أسقطوه من فوق بغلته ، ووثقوه بالحبال ، وضربوه فوق أم رأسه . وعلي أية حال ، ولأن هذا الكنسي العظيم لم يكن عنه غني لعدالة الرب ، فقد نجا برحمة من الرب . فعندما سُمع الهرج في المعسكر ، اندفع رفاقه إليه وأنقذوه بسرعة من أيدي البجناك (٤٣) .

وفور ذلك ، وعند الوصول إلي قلعة بوسينات (٤٤) ، تواترت الأخبار إلي ريموند بأن البجناك قد كمنوا في مضايق جبل قريب . فسار الكونت بصحبة العديد من فرسانه ، وبعد أن عثر علي البجناك ، قتل بعضهم ودحر الباقين . وحينئذ

بعث الإمبراطور برسائل الاسترضاء إلي ريموند ، في الوقت الذي أخذ المرتزقة من رجاله في مراقبة الصليبيين . بعد ذلك ، بلغ الفرنج مدينة تسمي روسا ، وهنا ، أوقع السكان الأذي بالبروفنساليين جهاراً . وعندما أدرك ريموند هذا العداء ، استشاط غضباً وأمر رجاله بحمل السلاح وأطلق صيحة القتال الخاصة به ؛ فما كان منهم إلا أن باغتوا المدينة بالهجوم ، واستولوا عليها (٤٥) .

ثم رحل البروفنساليون إلي مدينة أخري ، وهي رودستو (٤٦) ؛ وفور وصولهم إليها هاجمتهم قوات الإمبراطور . وهاجم الكونت مؤخرة قوات الإمبراطور وتمكن من قتل ثلاثين من المرتزقة واستولي علي أربعين حصاناً (٤٧) . وحضر مبعوثونا - الذين كانوا في القسطنطينية - إلي رودستو وأخبروا ريموند بأن ألكسيوس قد وعد بتعويض كل خسائر الصليبيين بعد وصولهم إلي القسطنطينية(٤٨) كما أخبروه أيضاً بأن كلا من الدوق جودفري ، وبوهيمند ، والكونت روبرت كونت الفلاندر ، وكل الأمراء الآخرين ، يرجونه ترك قواته الرئيسية ، وأن يصطحب معه قليلاً من فرسانه ويسرع بالتوجه إلي القسطنطينية. ولأن الإمبراطور قد حمل الصليب ، وقال بأنه سيرحل إلي بيت المقدس كقائد للحملة الصليبية ورئيس لها . وبوصول هذه الأخبار ، ترك ريموند جيشه وأسرع متجهاً إلي القسطنطينية حيث بدأ المفاوضات (٤٩) .

وأخبره الإمبراطور بأن عليه أن يقسم له يمين الولاء والطاعة ، كما فعل بوهيمند وغيره من الأمراء . ورد الكونت : " معاذ الله ! (٥٠) " وأضاف قائلاً : " قطعاً، إنني لن أتعهد بالولاء في هذه الرحلة لغير الذي قطعت كل هذا الطريق إلي القسطنطينية ، من أجله . ولكن ، إذا خرجت أنت في الحملة الصليبية بحماسة ، وذهبت معنا إلي بيت المقدس ، فإنني وكل رجالي، وكل ما أملك برحمة الرب ، سنكون طوع يديك طوعاً واختياراً " .

وأثناء وجود الكونت ريموند في القسطنطينية ، وصل جيش الإمبراطور سراً وعثر علي قوات ريموند دون قائد ، فانقض علي البروفنساليين بقسوة وأوقع بهم ضرراً بالغاً . وعندما علم ريموند بأن جيش الإمبراطور قد باغت جنوده ، حزن وتكدر كثيراً (٥١) . واستدعي علي الفور بوهيمند وغيره من الأمراء وسأل ألكسيوس إن كان قد دعاه للحضور إلي القسطنطينية لحبك مؤامرته ، وإن كان قد أصدر أوامره شخصياً بالهجوم علي رجاله .

واعترف ألكسيوس صراحة بالهجوم قائلاً : " ومع ذلك ، فإن ذلك لم يحدث بأمر مني ، ولم يكن لي علم بالضرر الذي وقع برجالك . إلا أنني علي علم تام بأن جيشك قد أوقع بي ضرراً كبيراً وباغت القلاع والمدن الواقعة في إمبراطوريتي . إلا أنني سأقوّم الأمور بإخلاص ، وإنني أقدم لك السيد بوهيمند كضماني " .

وعندما وصلا إلي اتفاق ، أطلق الكونت رهينته ؛ وبعد أن أطلق سراح بوهيمند ، وصل الجيش البروفنسالي إلي القسطنطينية (٥٢) . وكما أسلفنا من قبل ، فقد طلب ألكسيوس أن يقسم له ريموند يمين الولاء والطاعة كما فعل غيره . وبينما كان الإمبراطور يملي هذه الأوامر ، كان الكونت يفكر كيف يثأر من جيش الإمبراطور . وعلي أية حال ، فقد أقر الدوق جودفري وكونت الفلاندر والقادة الآخرون بأنه ليس من العدل أن يقاتل ريموند مسيحيين مثله (٥٣) . إلي جانب ذلك ، فقد أعلن بوهيمند أنه إذا ظلم ريموند الإمبراطور ، وإن لم يقسم له يمين الولاء والطاعة ، فإنه (أي بوهيمند) سيقف إلي جانب ألكسيوس . وبعد أن أخذ ريموند بنصيحة رجاله ، فقد أقسم بأنه لن - بيده أو بيد غيره - يهدد حياة الإمبراطور أو أملاكه . وعندما سُئل عن الولاء والطاعة ، رد بأنه لن يقسم يمين الولاء والطاعة لأن في ذلك خطر علي حقوقه (٥٤) .

وأخبر ألكسيوس - الذي كان يخشي بوهيمند كثيراً بسبب دحر الأخير لقواته دوماً - بوهيمند ، ذلك النورماندي الصنديد ، بأنه إذا أقسم له بوهيمند يمين

الولاء بإخلاص ، فإن الإمبراطور بدوره سيمنحه من الأراضي مايساوي مسيرة خمسة عشر يوماً طولاً ومسيرة ثمانية أيام عرضاً من أراضي أنطاكية . وبنفس الطريقة أقسم ألكسيوس بأنه بدوره لن ينقض عهده لبوهيمند ، إذا ما بقي الأخير علي إخلاصه له (٥٥) . ثم وصل جيش بوهيمند إلي القسطنطينية وكذلك وصلت إليها كل جموع اللاتين (٥٦) .

هوامش الفصل الثاني

(١) سكلاڤونيا هو الاسم الذي يطلقه المؤرخ علي دلماشيا موطن السلاف . ويقرر ريموندا جيل أنهم مكثوا هناك لمدة أربعين يوماً . ويري هاجنمير أن البروفنساليين كانوا هناك من ٢٠ ديسمبر ١٠٩٦م إلي ٣١ يناير ١٠٩٧م .
انظر : H. Chr. 106.

- كان ريموندا جيل أقل اهتماماً بتحديد الطريق الذي سلكته سائر الجيوش الصليبية بقوله : " ... لأن بعض الصليبيين قد عبروا دلماشيا . وعبر آخرون بلاد المجر ، ولومبارديا ، أو ذهبوا بحراً " واكتفي ريموندا جيل بمتابعة قوات سيده كونت صنجيل بقوله : " ولكن يبدو أنه أمر شاق جداً أن نكتب عن كل رحلة ... لذلك ، فقد كان محل اهتمامنا هو الكتابة عن كونت سانجيل وأسقف لي بويه وجيشهما ، دون القلق بشأن الآخرين " .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٥٤ . (الترجمة العربية) .

(٢) ريموند كونت سانجيل ، هو ريموند الرابع كونت تولوز . ويفضل المؤرخون المعاصرون أن يطلقوا عليه لقب كونت سانجيل . وكان أكبر الصليبيين سناً ، وربما كان أغناهم . وقد أمضي بقية حياته في الشرق حيث مات في عام ١١٠٥م في طرابلس . انظر : Hill and Hill, Raymond IV.

وأيضاً الطبعة الفرنسية : Hill and Hill, 1959.

(٣) كان أدهيمار أسقفاً إصلاحياً لكنيسة لي بويه . وكان وثيق الصلة بالبابا أوربان الثاني ، وكان ذا تأثير مهدئ علي الصليبيين . انظر : Hill and Hill, 1955; Brundage , 1959; Mayer, Deutches Archiv, 1960; Richard, 1960 - 1961; Journal des Savants.

= وقد عيّنه البابا أوربان الثاني رئيساً دينياً للحملة الصليبية الأولي إلي جانب رئيسها العلماني ريموند كونت تولوز . انظر : Runciman , op. cit., vol. 1, pp. 109 - 110.

(٤) روبرت كونت الفلاندر (ت ١١١١م) هو ابن روبرت الفريزي . وقام بدور فعال في عديد من المعارك التي خاضها فرنج الحملة الأولي . انظر : Knappen, 1928 : 79 - 100.

(٥) روبرت النورماندي ، هو دوق نورماندیا (١٠٥٤ - ١١٣٤م) وكان مشهوراً باسم روبرت كورثوس Curthose . وهو ابن وليم الفاتح وقد حجب عنه إخوته الضوء في الأمور السياسية . وكان يتمتع بروح لاتعرف الكلل، وقد استأثرت مآثره بخيال المؤرخين المعاصرين . انظر : David, 1920.

(٦) هيو العظيم . هو ابن هنري الأول ملك فرنسا وكان يعرف أيضاً بكونت فيرماندوا . ومن المفترض أنه مات بطرسوس في عام ١١٠١م نتيجة لجرح قاتل بعد إصابته بسهم . ونعته بهيو العظيم هو مجرد تشويه ، كما يري بريبه لكلمة Moins ne "الإبن الأصغر" . ويفسر بريبه في طبعته للجستا ، ص ١٤ ، هامش ٣ ، كلمة Mgnus الكبير أو العظيم بكلمة (mainsne (moins ne) أو cadet الأصغر مُعتمداً علي كلمة mains التي هي أحد أشكال كلمة magnus . وخطأ هذا الرأي يرجع إلي أن كلمة magnus قد دخلت إلي اللغة الفرنسية القديمة كشكل مستعار، يظهر في القرن الثاني عشر الميلادي في شكل magnes .

انظر : Schwan Behrens, # 78, Remark 2.

وكلمة Mains (أو moins المشتقة من الكلمة اللاتينية minus صغير) قد ظهرت في بعض نصوص القرن الثاني عشر ، مثل كلمة nez و net المولود المشتقة =

= من الكلمة اللاتينية (natus sum) . انظر : Bartsch, pp. 348, 453.
ومن غير المحتمل أنه يقع خلط في بداية القرن الثاني عشر الميلادي بين كلمة magnes ، وهي شكل مستعار - وبين الصيغ التاريخية لكلمة magnus و natus . وكلمة magnus كبير أو عظيم كلقب لهيو كان بشكل عام من قبلْ المؤرخين المعاصرين ومكملي أعمالهم . انظر : Ambroise, ed. G. Paris, 1897, line 11238 and p. 503.

وكان هيو شقيقاً لفيليب الأول ملك فرنسا .

ويتضمن نص الجستا اسم بوهيمند ، بينما يحذفه توديبود . ولايشرح لنا أصحاب الآراء المتعلقة بأصل الجستا سبب هذا الخطأ . ومن المؤكد أن بوهيمند لم يصحب الجيش الفرنسي عبر الطريق الروماني القديم ، الذي حدث خلط بينه وبين طريق إجناتيا الذي حددته روزالين هيل . ومن ناحية أخري ، أغفل توديبود ذكر أسماء عدد من الفرسان (مثل إفرار أوف بواسيه ، وأكارد أوف مونتمريل وإيزور موزون) التي يذكرها مؤلف الجستا .

- طريق إحناتيا يمتد من دورازو إلي القسطنطينية .

انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 5 Fn. 4.

(الترجمة العربية).

(٧) يمتد الطريق الروماني القديم من مدينة روما إلي برنديزي وموانى الرسو . وكان طريقاً للحج . انظر : Bédier, 1908 - 13 : 2 : p. 142.

(٨) كانت برنديزي وباري وأوترانتوهي موانى الرسو للصليبيين .

(٩) وليم ، ابن المركيز ، هو ابن إيود Eude وإما Emma ، شقيقة روبرت جويسكارد . وقد مات في معركة دوريليوم .

(١٠) دورازو Durazzo هي المدينة القديمة ديراخيوم Dyrrachium وكانت ميناء دخول من إيطاليا وتتصدر طريق إجناتيا إلي القسطنطينية .

= - ودورازو هي إحدي المدن البيزنطية التي تقع علي الساحل الشرقي للأدرياتي جنوب سكوتاري . وقد وصلت إليها قوات بوهيمند في نوفمبر ١٠٩٦م ، بينما وصل إليها كونت تولوز وجيشه في أوائل فبراير ١٠٩٧م.

انظر: Runciman, The First Crusader's Jouney Across the Balkan Peninsula, in A.B., 19, 1949, pp. 207, 221; J. W. Nesbitt, The rate of march of Crusading Armies in Eurpoe, in Traditio, 19, 1963, p. 176.

(الترجمة العربية).

(١١) كان حاكم دورازو حناكومنين ابن شقيقة الإمبراطور ألكسيس ، وكان يقظاً في مراقبته للفرنج .

- أكسبت تجربة التعامل مع قوات الحملة الشعبية ، بقيادة بطرس الناسك ووالتر المفلس - الإمبراطور الكسيس بالخبرة في التعامل مع قوات حملة الأمراء . فاتخذ تدابير لتلافي الضرر الذي قد يوقعه صليبيوها ببلاده . فبعث بقادته ويجند من المرتزقة ومترجمين من اللاتين إلي ولاته في نيش وأقلونا ودورازو، بأوامره بحسن استقبال الفرنج ، وإمدادهم بالمؤن ، ومراقبتهم والضغط عليهم لإعادتهم إلي جادة الصواب إذا ماخرجوا عن الطريق المحدد في تنفيذ تلك السياسة إلي حد بعيد مع قوات كل من جودفري وبوهيمند وكونت تولوز . انظر : Runciman, I, pp. 210 EE.

راجع أيضاً : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ص ١٨٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٠.

(١٢) رحل جودفري في ١٥ أغسطس ١٠٩٦م . ووصل إلي القسطنطينية في ٢٣ ديسمبر ١٠٩٦م . انظر : : H. Chr. 67, 107. see Nesbitt, 1963 : pp. 167 - 181.

(١٣) التركبولية مرتزقة بيزنطيون ، استخدموا بشكل كبير كفرسان . ويقرر ريموندا جيل أنهم إما كانوا من نسل أم يونانية وأب تركي ، أو رياهم الترك.
انظر : Raymond d'Aguilers, p. 37.

- والتركبلي كلمة يونانية معناها أبناء أو سلالة الترك . وهو مصطلح كان يطلقه البيزنطيون علي فرقة من فرق جيشهم ، تلي في أهميتها فرقة الفرسان . وينحدر أفرادها من أب تركي (أو عربي) وأم يونانية . ويذهب الدكتور الشيال إلي أن تكوين هذه الفرقة قد تم بعد إتصال البيزنطيين بالسلاجقة بعد وقعة ملاذكرد . وكان فرسان هذه الفرقة يتميزون بطريقة قتال تعتمد علي الكر والفر والحرب السريعة . وقد أشار إليهم البرت دكس ووليم الصوري ، وابن الأثير وأسامة بن منقذ والعماد الأصفهاني . وقد كون المسلمون فرقاً في جيوشهم تحمل نفس الاسم والصفات . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٣ جـ ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٠. ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ ، حاشية رقم (١) التي تنتهي في ص ١٥٠ . وأول ذكر للتركبولية في جيوش المسلمين يأتي في رواية ابن واصل عن شروط صلاح الدين لعقد الصلح مع الفرنج في عام ١١٩٢م / ٥٨٨ هـ بعد أخذ صلاح الدين لربض يافا أثناء وجود ريتشارد قلب الأسد في فلسطين .

انظر : ابن واصل ، جـ ٢ ، ص ٣٩٥ . راجع أيضاً : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٩٨ ، حاشية رقم (١٧) .

(الترجمة العربية) .

(١٤) البتشنجز Pechenegs مرتزقة استخدمهم البيزنطيون في جيوشهم . استقروا بجوار نهري الدانوب والدون ، وعرفوا أيضاً بالبجناك Patzinaks .

- دأب أباطرة بيزنطة - ومن بينهم الكسيس الأول كومنين - إلي استخدام الجند =

= المرتزقة في جيوشهم من عدة أجناس مختلفة ، حتي لايتيسر توحيد كلمة هذه الأجناس المتباينة الديانات واللغات والتقاليد تحت إمرة رجل واحد ربما يطيح بالإمبراطور ، كما حدث في أخريات عهد الإمبراطورية الرومانية علي أيدي الجرمان في غرب أوربا . لذلك نجد إلي جانب كتائب الجرمان ، كتائب من الفرنجة والنورمان والمجريين والروس ، وعناصر من الأتراك كالبجناكية والغز والكومان وغيرهم. و للمزيد عن المرتزقة في الجيوش البيزنطية .

انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ص ٢٠٧ ، حاشية (١) .

(الترجمة العربية) .

(١٥) هاجم بولدوين المرتزقة بعنف (tolo corde) . هذا وصف كنسي .

انظر : كتاب القداس ، درس أربعاء الرماد . وأيضاً . Prophetia : Joel 2 : 12.

(١٦) أربعون : رقم تكرر استخدامه في الحوليات . ويستند إلي الأربعين يوماً في التيه . وربما كانت له أهمية ضئيلة . وفي غياب الإحصاءات الرئيسية المحسوبة ، يترك المؤرخون الكثير مما ترغب فيه فيما يتعلق بالإحصاءات الحيوية .

- استخدم ريموندا جيل نفس الرقم (أربعون يوماً) في وصف رحلة قوات كونت صنجيل في دلماشيا بشكل رمزي ، حيث وجدها ريموندا جيل أرضاً مهجورة. وكان ريموندا جيل يشعر فيها بالتيه ، وهو علي علم بمغزاه في الأدب المتعلق بالعهد القديم . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٥٩ ، ٦٣، حاشية (١٢) .

وقد حدّد مؤلف الجستا عدد من أسرهم بولدوين من مرتزقة الإمبراطور بستين رجلاً. وللأسف لم يتعرض فولشر أوف شارتر لوصف هذه الأحداث ، وإنما تعجل ونقلنا إلي ماحدث بين الإمبراطور الكسيس وأمراء الفرنج داخل =

= القسطنطينية فور وصولهم إليها . فحرمنا بذلك من فرصة الفصل بين حسابات كل من توديبود ومؤلف الجستا .

انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 6; Fulcher of Chartres, p. 79.

راجع أيضاً :مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٢٤ .

(الترجمة العربية) .

(١٧) استخدم توديبود فعل يري (vidisset) بينما استخدم مؤلف الجستا فعل يسمع (audisset) . انظر : Bréhier , Gesta, p. 16.

(١٨) غادر جودفري سواد المدينة في ١٣ يناير ١٠٩٧م . انظر : Bréhier, Gesta, p. 16.

(١٩) كانت الحوليات الصليبية غالباً ماتستخدم التعبير الوصفي ، فرسان المسيح، وهو تعبير يمجّد القتال من أجل المسيح . وكان هذا التعبير يجد القبول لدي المحاربين أكثر مما تجده فكرة مصارعي المسيح . وتعبير invichtus (invincble) الذي أطلق علي جودفري غالباً ماكان يستخدم لوصف الشهداء.

(٢٠) يعرّف بريبه البوابة باسم بوابة البلاشرن Blachernes .

انظر : Bréhier, Gesta, p. 17, Fn. 5.

– وهي البوابة المواجهة لقصر بلاشيرنا Blachernae الذي أقيم في عهد آل كومنين واتخذوه مقراً لهم بدلاً من القصر الكبير الذي كان يقع عند الركن الجنوبي الشرقي للقسطنطينية . وتقع هذه البوابة عند نهاية القرن الذهبي .

= انظر : A.A. Vasiliev, History of the Byzantine Empire, 324-1453, 2

vols, Wisconsin, 1971, vol. 2, p. 503. =

(الترجمة العربية).

(٢١) مكث جودفري في معسكره من ١٣ حتي ١٨ يناير ١٠٩٧م . وقد عقد جودفري والإمبراطور الكسيس معاهدة في ٢٠ يناير ١٠٩٧م .

انظر : Bréhier, Gesta, p. 17, Fn. 6; H. Chr. 113.

- في الحقيقة كان ما اتفق عليه الإمبراطور مع جودفري هو نفس ماتم الإتفاق بينه (الإمبراطور) وبين كل قادة الحملة الأولي كل علي حده حين حضر كل منهم إلي القسطنطينية .

وقد كان هيو فيرماندوا شقيق فيليب ملك فرنسا هو أول من عقد اتفاقاً مع الإمبراطور ، وتبعه كل من جودفردي ، بعد تردد ، ثم روبرت النورماندي وستيفن كونت بلواوشارتر ، ومن بعدهم روبرت كونت الفلاندرز ، بينما أبدي بوهيمند رغبته منذ البداية في الإتفاق مع الإمبراطور ، ولم يتردد في ذلك حتي يحافظ علي حُسن العلاقات مع ألكسيس ليحقق مصالحه في الشرق . ولم يرتبط تنكريد ابن أخت بوهيمند بأي اتفاق مع الإمبراطور ، وبذلك لم يرتبط أبداً باتفاقية القسطنطينية التي عقدت بين قادة الحملة والإمبراطور التي قامت أساساً علي أن يؤدي جميع قادة الحملة يمين الولاء والتبعية للإمبراطور ، الذي أصر علي ذلك حتي يلزم قادة الحملة بطاعته حتي يحافظ علي بلاده من عبثهم وليستخدمهم لصالحه . أما عن ريموند كونت تولوز ، فقد رفض أداء يمين الولاء للإمبراطور ، بل أقسم علي أنه لن يسلب من الإمبراطور حياته أو ممتلكاته . وقد أضطر كونت تولوز إلي الإتفاق مع الإمبراطور بعد ضغط من بقية قادة الحملة لدفعه إلي ذلك . وقد نص الإتفاق بصفة عامة علي أن يرد الفرنج إلي الإمبراطور كل مايفتحونه من أملاك بيزنطة التي استولي عليها السلاجقة من قبل . وفي نظير ذلك =

= تعهد الإمبراطور بأن يقدم المساعدة للفرنج في مهمتهم في الاستيلاء علي الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين ، وأن يحافظ علي سلامتهم خلال مرورهم بأراضي دولته . كما تعهد بإمدادهم بالمؤن وبفرقة عسكرية بيزنطية تكون تحت تصرفهم .

انظر : Anne Comnene, The Alexiad, pp. 257 - 267; Albert d'Aix, pp. 304 - 313; Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 5 - 7.

راجع أيضاً : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٧١ - ٧٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ . مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٢٤ - ٢٥ ، ٣٠ - ٣٣ .

ويقدم الدكتور جوزيف نسيم يوسف بحثاً وافياً عن هذه الإتفاقية وسياسة الإمبراطور حيال قادة الحملة الصليبية الأولي . انظر : جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ٢١٩ - ٢٢٨ .

(الترجمة العربية) .

(٣٢) بوهيمند (١٠٥٠ - ١١١١ م) هو ابن روبرت جويسكارد وألبيرادا Alberada . وقد شارك أباه الحرب ضد بيزنطة خلال الفترة من ١٠٨١ م إلي ١٠٨٤م ، لكنه لم يتمكن من إقامة دولة . وذهب ميراث أبيه إلي أخيه غير الشقيق روجر بورسا Roger Borsa . ومن المحتمل أن يكون روبرت جويسكارد قد خطط لإقامة مملكة في الأراضي البيزنطية ليحكمها ابنه بوهيمند الأمر الذي فشل في جعله واقعاً ملموساً . وقدمت الحملة الصليبية الأولي الفرصة لبوهيمند ليحقق حلمه . انظر : Yewdale, 1917.

ولا يستخدم توديبود من المحسنات البديعية التي يصف بها بوهيمند بقدر مايستخدمها مؤلف الجستا .

- وربما يرجع ذلك إلي عدم تحيز توديبود لبوهيمند علي عكس ماكان عليه مؤلف =

= الجستا تابع بوهيمند انوفي. انظر : مقدمة الترجمة العربية ، ص .

(الترجمة العربية) .

(٢٣) كانت أمالفي تعرف باسم بونت سكافار Pont-Scaphard . انظر : Hagen-meyer, Gesta, p. 149, Fn. 3 . وكان يساعد بوهيمند في هذا الحصار كل من شقيقه روجر بورسا وعمه روجر ملك صقلية . ويدّعي كل من مؤلف الجستا وتوديبود أن بوهيمند قد علم بأمر الحملة الصليبية الأولي من الفرنسيين القادمين للإبحار إلي دورازو . ومن الغريب أن بوهيمند لم يكن قد سمع عن الحملة الصليبية خلال الشهور التي مرت منذ أعلن البابا أوربان دعوته لقيام الحملة في مؤتمر كليرمونت . ويبدو لنا أن مؤلف الجستا وتوديبود لم تتوفر لديهما المعلومات الكافية عن هذا الأمر . وقد تخلي بوهيمند عن حصار أمالفي في سبتمبر ١٠٩٦م . انظر : H. Chr. 68.

- انتهت جلسات مؤتمر كليرمونت في ٢٨ نوفمبر ١٠٩٥م . وفي ٢ ديسمبر من نفس السنة غادر البابا كليرمونت بادءاً رحلته في أنحاء فرنسا . وفي أغسطس ١٠٩٦م عبر جبال الألب عائداً إلي إيطاليا . وكانت أنباء الحملة الصليبية قد انتشرت في سائر أرجاء غرب أوربا بما في ذلك إيطاليا . وهذا يؤديد الرأي الذي ذهب إليه المترجمان من أن بوهيمند لم يفاجأ بوصول الصليبيين إلي جنوب إيطاليا . ولم يكن بوهيمند ليقدم علي القيام بعمل دون التخطيط له . ولم يكن ليسارع بالإشتراك في الحملة إلي الشرق دون الوقوف علي الفوائد التي قد تعود عليه من جراء ذلك . ودون وضع أهداف محددة يحققها من وراء هذا المشروع . وهذا مادلت عليه سياسته وأعماله منذ مقابلته مع عدوه القديم ألكسيس كومنين ، ثم خطته للاستئثار بمدينة أنطاكية فيما بعد . انظر : مايتقدم ، ص .

(الترجمة العربية) .

(٢٤) يعتقد بريه أن هذه رواية شاهد عيان . ونحن لانتفق معه . فهي تطابق في نواح كثيرة المشهد الذي حدث في كليرمونت وتحتوي علي لغة الكنيسة. انظر : Bréhier, Gesta, p. 19. Fn. 6.

- يذكر فولشر أوف شارتر أنه قد شعر بالسعادة لرؤية من استمعوا إلي خطبة البابا أوربان في كليرمونت وقد حاكوا الصلبان علي أكتاف أرديتهم حسب أوامر البابا لهم . ومبعث سعادته ، إلي جانب استجابة هؤلاء لدعوة البابا ، هو أن الصليب سيحدد هوية الصليبين . كما ذكر بالدريك رواية مشابهة. وأضاف أن هذه أصلاً هي تعاليم المسيح الذي حذّر بأن من لايحمل صليبه ويتبعه لن يكون من أتباعه . ومن المعروف أن كلا من المؤرخين قد حضر مؤتمر كليرمونت (١٠٩٥م) ، وروي مارآه . انظر: Fulcher of Chartres,: p. 68; Baldric of Bourgueil, Historia Jerosolimitana, in R.H.C. - H. Occ. , vol. 4, p. 16.

وقد رجعنا إلي الترجمة العربية لرواية بالدريك . انظر : - Louise and J. Riley Smith, The Crusades, Idea and Reality, 1095 - 1274, London, 1981, pp. 49 - 53.

(الترجمة العربية) .

(٢٥) كانت عبارة " إنها إرادة الله " هي صيحة الحرب التي ظهرت في كليرمونت. وأشكالها متعددة . فيكتبها توديبود lo vult و hoc vult .

وكان للبروفنساليين صيحتهم الخاصة "تولوز" Tolosa . وعند كفيتوت كانت صيحة الحرب هي " القبر المقدس" Holy Sepulcre . ولم نقف علي صيحة حرب خاصة بالنورمان . انظر : La chanson d'Antio - che, 1 : p. 35.

- كتب مؤلف الجستا صيحة الحرب التي استخدمها الذين حضروا مؤتمر كليرمونت بشكل آخر هو : Deus Vult =

= انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 7.

(الترجمة العربية) .

(٢٦) تقديم عباءة بوهيمند أسلوب يطابق القصص الكنسي . انظر ، متي ٥ : ٤ .

وعن فكرة تقسيم العباءة ، انظر : مرقص ، ١٥ : ٢٤ .

(٢٧) كان تنكريد ابن أخت بوهيمند ، وأصغر القادة الصليبيين البارزين سناً . انظر : Nicholson, 1940.

- يعد تنكريد من أهم الشخصيات التي رافقت بوهيمند النورماندي إلي الشرق . وهو ابن أخته إما Emma . التي صاحب ابنها وليم - شقيق تنكريد - الفرنسيين في الحملة الصليبية الأولي أيضاً . وقد خلف تنكريد خاله في حكم إمارة أنطاكية الصليبية كوصي في الفترة التي أسر فيها بوهيمند (١١٠٠ - ١١٠٣م) ثم الفترة (١١٠٤ - ١١١٢م) . وإذا كان تنكريد قد تميز بنفس صفات خاله من الطموح والشجاعة ، فقد اختلف تنكريد عن بوهيمند في سياسته . فبينما كان بوهيمند دبلوماسياً واسع الحيلة ، كان تنكريد قائداً عسكرياً ذا طاقة هائلة ، وغرور يصعب تتبع مداه . وقد كان تنكريد هو بطل المؤرخ رادولف أوف كاين المفضل ، فقد أتي رادولف إلي الشرق في عام ١١٠٨م ولازم تنكريد كراهب خاص به ، ووضع كتاباً عن أعمال تنكريد في الشرق صار تاريخاً لإمارة أنطاكية الصليبية حتي عام ١١١٢م وهو العام الذي مات فيه تنكريد . انظر : Claud Cahen, La Syrie du Nord a L'Epoque des Croisades et la Principaute Franque d'Antioche, Paris, 1940, p. 421; Henri Glaesner, Raoul de Caen, Historien et Ecrivain, in R.H.E., vol. 46 , 1951, pp. 5 - 21 . =

= راجع أيضاً : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية ، صفحات متفرقة .
(الترجمة العربية) .

(٢٨) رسي بوهيمند وقواته مابين أفلونا ودورازو . والمقصود ببلغاريا غرب مقدونيا. وقد غادر بوهيمند مدينة باري في أكتوبر ١٠٩٦م . انظر : H.Chr. 19.

وبقي في أفلونا حتي الأول من نوفمبر ١٠٩٦م . انظر : H.Chr. 96.

- وقد حرص مؤلف الجستا علي ذكر أسماء ثلاثة عشر إسماً للأمراء والقادة الذين صحبوا بوهيمند في رحلته إلي الشرق . بينما لم يذكر توديبود منهم سوي تنكريد فقط مكتفياً بالإشارة إلي كثيرين آخرين دون ذكر أسمائهم . وربما دل ذلك علي أن توديبود لم يكن في صحبة قوات بوهيمند حتي ساعة تجمع قواته في إيطاليا . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٢٦ .

راجع أيضاً : Gesta Francorum, pp. 7 - 8 .
(الترجمة العربية) .

(٢٩) من المحتمل أن تكون أندرونوبوليس هي دروبولي Dropuli التي تبعد لمسافة ستين ميلاً عن أفلونا من جهة الجنوب الشرقي . ويورد مؤلف الجستا حديثاً لبوهيمند يحث فيه النورمان علي الإقلاع عن أعمال السلب والنهب . ولايورد لنا توديبود مثل هذه التعليمات من جانب بوهيمند . انظر : Bréhier, Gesta, pp. 20 , 22 .

- ربما يرجع حثّ بوهيمند لرجاله علي " الطيبة والتواضع والكفّ عن تخريب تلك البلاد التابعة للنصاري" كما يذكر مؤلف الجستا ، إلي ماذهبت إليه روزالين هيل من أنه كان قد حارب ضد الإمبراطور الكسيس من قبل خلال السنوات من ١٠٨٤م إلي ١٠٨٥م أيام احتدام الصراع بين الإمبراطور وروبرت =

= جويسكارد والد بوهيمند ويبدو أن الأمير النورماندي قد حرص علي أن يترك انطباعاً جيداً لدي الإمبراطور قبل مقابلته ، حيث كان يأمل في إقامة إمارة له في أراضي الإمبراطورية البيزنطية .

انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 8, Fn. 3.

(الترجمة العربية) .

(٣٠) كاستوريا Castoria تسمي الآن Kastoria . وكانت حصناً هاماً استولي عليه روبرت جويسكارد في عام ١٠٨٢م واسترده ألكسيوس فيما بعد . وقد احتفل بوهيمند بعيد الميلاد في كاستوريا . انظر : H. Chr. 108 .

(٣١) بيلاجونيا Pelagonia ، وكانت تقع إلي الشمال الغربي من مقدونيا ومن المحتمل أن هذه المنطقة هي سهل موناستير Monastir .

وقد عُرف الهراطقة سكان هذه القرية بعدة أسماء مثل : Manichaean وربما كانوا من البوجموليين أو البيالصة . انظر : Bréhier, Gest, p. 23, Fn. 6.

ويبدأ مؤلف الجستا خلال هذه المسيرة في استعمال ضمير المتكلم . وهناك مخطوط واحد من مخطوطات توديبود نهج نفس المنهج دون بقية المخطوطات وقد أبدي المؤرخون الحديثون الكثير من التأكيد علي ضمير المتكلم ويعتقدون أنه يُعني أن المؤرخ كان حاضراً في هذه الوقعة . ونعتقد نحن أنه يظهر حقيقة أن النسّاخ لم يكونوا في الغالب حريصين في استخدام ضمير المتكلم وضمير الغائب وأن استخدام ضمير المتكلم لم تكن له أهمية . ويبدو أنه يشير إلي مصدر تاريخي مشترك .

- البوجوملية ، مذهب من المذاهب القائلة بالإثنوية ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بنحلة البيالصة ، الذين انتقلت حركتهم من أرمينيا وإقليم الجزيرة إلي تراقيا في القرنين ٨ و ٩ الميلاديين . وظهرت البوجوملية بين الأقوام الصقلبية ولاسيما =

= البلغار زمن بطرس (٩٢٧ - ٩٦٩ م) علي يد مؤسسها بوجومل . وكانت ترمي إلي معارضة الكنيسة ونظام الحكم القائم الذي يستمد التأييد الروحي من الكنيسة . وتقضي هذه النحلة بأن العالم يسيطر عليه مبدآن : مبدأ الخير (الله) ومبدأ الشر (الشيطان) . ومايقع بين هاتين القوتين من صراع هو الذي يقرر كل مايحدث علي سطح الأرض من أمور ويؤثر في حياة الناس . وسلك البوجومليون ، مثل البيالصة ، في حياتهم سبيل التدين والتقشف والزهد الشديدين . وأنكروا كل عبادة ترتبط بالنظام الكنسي . ولقت البوجوملية قبولاً كبيراً في بلغاريا ، وخاصة في مقدونيا . وللمزيد عن هذه النحلة ، انظر : G. Ostrogorsky, History of the Byzantine state, trans. by J. Hussey, Oxford, 1956, pp. 238 - 239.

راجع أيضاً : السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية (٣٢٣ - ١٠٨١) القاهرة، ١٩٦٠ م ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(الترجمة العربية) .

(٣٢) يتقاطع نهر الوردار مع طريق إجناتيا . ويخترق الطريق الذي سلكه بوهيمند أرض مرتفعة وكان طريقاً وعراً للغاية . ويعتقد بريبه أن بوهيمند قد اتجه شمالاً إلي Topchin . انظر : Bréhier, Gesta, p. 23, , Fn. 7.

- ويعتقد رنسيمان أن بوهيمند قد اتخذ الطريق الذي ينفذ إلي داخل الحد الألباني الحالي عند بريمين وكوريستا ، ثم ينحني صوب الشمال قبل اجتياز الحدود ، ثم يهبط صوب الجنوب الشرقي إلي كاستوريا . انظر : Runciman, A History of the Crusade, vol. 156 , Fn. 1.

(الترجمة العربية).

(٣٣) وهذا هو جودفري كونت روسينولو Rossignolo . ويكتب مؤلف الجستا عن الكونت وإخوته . بينما يخبرنا توديبود عن الكونت وأخيه ، وهو راهب. انظر : Bréhier, Gesta , p. 22.

(٣٤) هذا الحوار يتضمن عدة كلمات متطابقة لما جاء عند ريموندا جيل ، ومؤلف الجستا . فقد كتب توديبود : In roga prophani imperatoris

وكتب ريموندا جيل : Milites de roga imperatoris.

وكتب الجستا : In roga imperatoris.

انظر : Bréhier, Gesta, p. 24 , Liber, p. 40.

ويوضح دور قائد المئة أساس هذا الحوار . وهو يكشف عجز وقلة حيلة الجندي المحترف أمام سطوة سيده . انظر : متي ، ٨ : ٩ .

- نفس قوات المرتزقة هي التي صادفت قوات كونت تولوز عند قلعة بوسينات (أوائل إبريل ١٠٩٧م) وقبل وصولهم إلي قلعة روسا ، في إقليم تراقيا . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٦٩ .

(الترجمة العربية) .

(٣٥) وقعت هذه المناوشة في ١٨ فبراير ١٠٩٧م . انظر : H. CHR. 119.

(٣٦) ولقب Curopalate من المفروض أنه لموظف كبير في بلاط الإمبراطور ويبدو أن اللقب هنا قد أطلق علي رسول من قبل الإمبراطور .

- لقب Curopalate أو عميد القصر كان من الألقاب التي يحملها أقارب الإمبراطور البيزنطي وقد احتفظوا بها حتي أيام آل كومنين مثل لقب أنبل النبلاء Nobilissimus . ومع ذلك فإن لقب عميد القصر قد منحه ليو السادس كلقب وراثي للملك أيبيريا . ثم أبيح حمله لأشخاص من غير الدم الملكي في القرن الحادي عشر الميلادي . انظر : ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، ص ٩١.

(الترجمة العربية) .

(٣٧) لم يدرج توديبود في نصه ، الفقرات التي تشير إلي أن بوهيمند قد منع النورمان ، وبصفة خاصة تنكريد ، عن القيام بمهاجمة الحصن . ويستخدم مؤلف الجستا هذه الحادثة كي يجعل بوهيمند يبدو وكأنه مخلص للإمبراطور. انظر : Bréhier, Gesta, p. 26 وموكب السكان الذين يحملون الصلبان (deferentes in manibus cruces) ، هو نموذج لمواكب الكنيسة .

- ذكر مؤلف الجستا أن بوهيمند عندما علم بأن رجاله قد خططوا لمهاجمة أحد الأماكن الحصينة والاستيلاء عليه ، لامتلائه بالمؤن ، لم يسمح لهم بذلك لأنه أراد أن يحافظ علي ولائه للإمبراطور . وفي الصباح ، خرج سكان الحصن يحملون الصلبان في أيديهم وقدموا نحو بوهيمند الذي تلقاهم بسرور وصرفهم فرحين . وكل ذلك لم يذكره توديبود . وربما يرجع ذلك إلي حرصه علي عدم المغالاة في إظهار بوهيمند بنفس الصورة التي أظهره بها مؤلف الجستا ، وحرصه علي عدم إعطائه دوراً رأي أن الأمير النورماندي لايستحقه .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٢٨ . راجع أيضاً : Gesta Francorum ed. Rosalind Hill, p. 10.

(الترجمة العربية).

(٣٨) وتقع روسا Roussa في إقليم تراقيا ، وهي كيشان التركية Keshan ولم يذكر توديبود أن النورمان كانوا قد توجهوا إلي سيرا Serra . وتذهب روزالين هيل إلي أنه لم يتم تحديد موقع روسا . وكانت قوات بوهيمند قد وصلت إلي روسا في الأول من أبريل ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 127 .

ويستغلظ بريبه البروفنساليين علي هجومهم فيما بعد علي روسا ويمدح الجيش النورماندي المنظم . ويتغاضي بريبه عن قيام النورمان بإحراق قلعة الهراطقة =

= وأيضاً قيامهم بأعمال السلب والنهب التي تم الإعتراف بها في معاهدة تم عقدها عند سيرا . ومن التسرع التفكير في وجود جيش منظم منضبط في الحملة الصليبية الأولي . وحتي فريدريك الأول بربروسا ، بقواته المنضبطة المنظمة ، كانت له مشاكله بعد ذلك بسنوات عديدة .

انظر : Bréhier, Gesta, p. 28, Fn. 1.

- عن اتفاقية بوهيمند مع أهالي سيرا يقول مؤلف الجستا : " وبلغنا بعد ذلك بلدة تسمي سيرا ، حيث أقمنا معسكرنا وحصلنا علي مؤن تكفي لعيد الصوم الكبير . وبينما كنا مقيمين هناك ، عقد بوهيمند اتفاقية ، مع إثنين من (عمداء القصر Kyriopalatioi) موظفي الإمبراطور ، وبدافع صداقته معهما ورغبته في التعامل مع هذا البلد بالحق ، فقد أمر بأن ترد كل المواشي التي سرقها رجالنا واحتفظوا بها إلي الأهالي " .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٢٩ .

راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 10.

أما عن هجوم البروفنسال علي مدينة روسا . فقد كان ذلك في ١٢ أبريل ١٠٩٧م. ويذكر ريموندا جيل أن قوات كونت تولوز قد وصلت إلي روسا "وهي مدينة نتج عن الاحتقار السافر الذي أبداه سكانها تجاهنا أن فقدنا صبرنا الذي عرفنا به ، فحملنا السلاح ، وهدمنا الأسوار الخارجية وغنمنا غنائم كثيرة ، واستلمنا المدينة التي استلمت لنا " .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٦٩ .

فربما يرجع هجوم البروفنساليين علي المدينة إلي أن أهلها لم يتوفر لديهم من المؤن مايبيعونه لعساكر ريموند الذين استشعروا الجفاء من قبل السكان ، بينما تم الترحيب بقوات بوهيمند في نفس المكان حين مروا به قبل وصول =

= البروفنساليين إليه بأسبوعين وحصلوا علي ماكان متوفراً بالمدينة من مؤن . ويؤيد ذلك رواية مؤلف الجستا التي أثبتت ترحيب أهل روسا بقوات بوهيمند بقوله : " وأدركنا بعد ذلك روسا فخرج أهلها من الإغريق مقبلين علي سيدي بوهيمند في غبطة وجالبين إلينا الكثير من المؤن ". ونلاحظ في الفقرة التالية أن توديبود لم يظهر هنا الترحيب من قبل أهالي روسا بقوات بوهيمند .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٢٩ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 10 - 11.

(٣٩) تفاصيل رحلة واستقبال بوهيمند تتطابق مع قصة ريموند كونت صنجيل . وقد اجتمع بوهيمند مع ألكسيس في ١٠ أبريل ١٠٩٧م ، وأقام في دير القديس كوزماس St. Cosmas والقديس داميان St. Damian وذلك حسب ماذكره بريبه . انظر : Bréhier, Gesta, p. 29, Fn. 8., Ebersolt, 1921; H. Chr., 134.

- الرواية الوحيدة التي حددت مكان إقامة قوات جودفري ثم بوهيمند خارج أسوار القسطنطينية هي رواية آن وكمنين . وقد حددت مكان ديري القديس كوزماس والقديس داميان بالقرب من بوابة قصر البلاكرن . انظر : Anne Comnener, The Alexiad, pp. 319 , 325.

(الترجمة العربية) .

(٤٠) يبدو أن توديبود يلخص هنا رواية ريموندا جيل . ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن توديبود جاء بالمختصر المفيد أكثر مما جاء به ريموندا جيل . فهو يحذف بعضاً من تشهير ريموندا جيل بالإمبراطور ، وكما حذف توديبود فقد أورد بعض الإضافات التي لم ترد عند ريموندا جيل .

- في الحقيقة ، كان لإرتباط مؤلف الجستا ببوهيمند أثر كبير علي موقفه من كل =

= منافسي سيده ، فبالنسبة لكونت صنجيل لم يتعرض لرحلته حتي وصوله إلي القسطنطينية ومافيها من مصاعب بالمرة وربما كان يعني من ذلك إبراز الدور النورماندي في الحملة الصليبية الأولي دون غيره . وهذا موقف عام نجده لدي كل مؤرخ ارتبط بقائد من قادة الحملات الصليبية بصفة عامة .

(الترجمة العربية) .

(٤١) لايذكر توديبود أن شقيق بونتيوس رينو Pontius Rainaud كان يدعي بطرس Peter . وقد وصل ريموند كونت صنجيل إلي دورازو في بداية فبراير ١٠٩٧م . أنظر : . H. Chr. 117

– وكان دوق دورازو هو حنا كومنين ابن شقيقة الإمبراطور الكسيس كومنين . وقد بعثه الإمبراطور إلي دورازو بتعليمات خاصة باستقبال الصليبيين . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٦١ ، ص ٦٥ ، هامش رقم (١٩).

(الترجمة العربية) .

(٤٢) يضيف توديبود السلاف ويحذف البلغار من رواية ريموندا جيل . وهو يستخدم كلمة Athenasi بدلاً من كلمة Tanaces . وقد ترجمنا هذه الكلمة بمعني الأجناس الشرسة . انظر : ، .Liber, p. 38, Fn. 8

– ذكر ريموندا جيل من هذه الشعوب كلا من الأتراك والكومان والغز والبجناك والبلغار . ويقصد بهؤلاء الجند المرتزقة من هذه الشعوب التي كانت ضمن صفوف القوات البيزنطية . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٦١.

(الترجمة العربية).

(٤٣) لايذكر توديبود أن أدهيمار كان في بيلاجونيا . وقد هوجم أدهيمار في منتصف فبراير ١٠٩٧م . انظر : .H. Chr. 118

– كان المندوب البابوي قد ابتعد عن المعسكر الذي أقامه كونت صنجيل وقواته في =

= بيلاجونيا ، بحثاً عن مكان هادئ ليقيم فيه ، فوقع في أيدي البجناك من مرتزقة الإمبراطور الذين جردوه من ملابسه ، ولم ينقذه من الموت سوي محاولة أحد البجناك الاستئثار به للإستيلاء علي ماكان يتوقع أنه يحتفظ به من ذهب حتي وصل الفرنج وأنقذوه من أيدي البجناك . وهذا مارواه ريموندا جيل عن هذه الحادثة .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٦٩ .

(الترجمة العربية) .

(٤٤) بوسينات Bucinat قلعة لم نقف علي موقعها. وقد وقعت هذه الأحداث في أواخر فبراير ١٠٩٧م . انظر : H.CHR. 124.

(٤٥) يكتب توديبود أن كونت تولوز قد أمر رجاله بالهجوم علي روسا . وهذا مالم يذكره ريموندا جيل . كما لم يذكر توديبود أن صيحة القتال كانت تولوز Tolosa . وقد أخذ البروفنساليون روسا في ١٢ أبريل ١٠٩٧م . انظر :

H. Chr. 136; Raymond D'Aguilers, p. 21.

- في الحقيقة لانتفق هنا مع المترجمين فيما ذهبا إليه . فمن رواية ريموندا جيل نفهم أن جنود كونت تولوز قد قاموا بالهجوم علي روسا بناء علي أوامر قائدهم . ولم يكن لهم - بالطبع - أن يبدأوا بالهجوم دون إصداره الأمر بذلك . فقد ذكر ريموندا جيل أن البروفنسال قد وصلوا - وهو منهم - إلي روسا " وهي مدينة نتج عن الاحتقار السافر الذي أبداه سكانها تجاهنا ، أن فقدنا صبرنا الذي عرفنا به ، فحملنا السلاح ، وهدمنا الأسوار الخارجية ، وغنمنا غنائم كبيرة ، وأستلمنا المدينة التي استسلمت لنا " . وربما فهم توديبود من هذه الرواية مافهمناه . وهو هنا يتصف بالحيدة ، ولم يحاول تبرأة كونت تولوز من الهجوم علي المدينة البيزنطية التي لم يكن لدي سكانها مايقدمونه للبروفنساليين من مؤن بعد أن باعوا ماكان يزيد عن =

= إبراء ساحة سيده كونت تولوز عند الإحتكام بينه وبين البيزنطيين .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٦٩ . راجع أيضاً ماسبق ، ص ، هامش رقم (٣٨).

(الترجمة العربية).

(٤٦) رودوستو هي المدينة التركية تكيرداغ Tekirdagh .

- وهي مدينة بيزنطية تستغرق الرحلة منها إلي القسطنطينية حوالي أربعة أيام .
انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٧٣، حاشية رقم (٤).

(الترجمة العربية) .

(٤٧) يذكر توديبود أن ثلاثين رجلاً قد قتلوا، وتم الإستيلاء علي أربعين حصاناً. وتذكر مخطوطات أخري لتوديبود أن ستين حصاناً قد تم الإستيلاء عليها. ومن المدهش أن ريموندا جيل يحدد أعداد الرجال الذين قتلوا أو الجياد التي تم الإستيلاء عليها .

وقد وقعت هذه الحادثة في ٢٠ أبريل ١٠٩٧م . انظر : Raynond d'Aguilers, p. 21 , 22.

- اقتصرت رواية ريموندا جيل علي ذكر بعض المرتزقة والإستيلاء علي بعض الغنائم " لكننا ذبحنا بعض أولئك المأجورين وأخذنا بعض الغنائم " . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٦٩ .

(الترجمة العربية).

(٤٨) يقرر توديبود أن سفراء ألكسيس سيعوضون كل خسائر الصليبيين. ولم يكن ريموندا جيل بمثل هذا الوضوح والدقة حين أورد نفس الرواية .
انظر: Raymond d'Aguilers, p. 24.

- استخدم توديبود هنا نفس عبارة ريموندا جيل التي تبدأ بضمير المتكلم في صيغة الجمع " وجاء مبعوثونا الذين كانوا في القسطنطينية إلي رودوستو " ولاينبغي أن يدفعنا ذلك إلي الإعتقاد بأن توديبود كان ضمن قوات كونت تولوز في بيزنطة . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٧٠ .

(الترجمة العربية).

(٤٩) وصل ريموند (كونت تولوز) إلي القسطنطينية في٢١ أبريل ١٠٩٧م . انظر : .H. Chr. 139

(٥٠) (حاشا لله) Absit انظر : الرسالة إلي أهل غلاطية ، ٣ : ٢١ .

(٥١) يقرر كل من مؤلف الجستا وريموندا جيل أن كونت تولوز قد فكر في الإنتقام. ويتبع توديبود عبارتيهما . انظر : ;Bréhier, Gesta, p. 32 Raymond d'Aguilers, p. 24.

(٥٢) جاءت رواية توديبود عن حضور الكونت للمحاكمة أكثر وضوحاً من رواية ريموندا جيل . وقد وصل جيش كونت تولوز إلي القسطنطينية في ٢٧ أبريل ١٠٩٧م . انظر : .H. Chr. 143

- بعد رحيل كونت تولوز إلي القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور البيزنطي ، عاودت قواته من البروفنساليين الهجوم علي سكان رودوستو . وفي هذه المرة كانت القوات البيزنطية موجودة . فتصدت للبروفنساليين الذين لم يدركوا أن اللوم يقع عليهم . واعتقد ريموند كونت تولوز كما اعتقد مؤرخ حملته ريموندا جيل وسائر قواته ، أنه استدرج إلي العاصمة البيزنطية حتي يمكن تدمير قواته دون قيادة توجهها ، الأمر الذي جعل كونت تولوز أكثر تشككاً في الإمبراطور البيزنطي ، وأكثر عناداً في تفاوضه معه . ويبدو أن قوات ريموند قد أصابها الهلع من البيزنطيين ، فبقيت في موقعها حتي لحق بها =

= المندوب البابوي أدهيمار الذي قاد هذه القوات حتي القسطنطينية ، وكانت لباقته هي السبيل للتغلب علي كثير من الصعاب التي عاقت حسن العلاقات بين الإمبراطور وكونت تولوز . ولذلك تبدو رواية ريموندا جيل – التي نقلها توديبود – في هذا الموضع شديدة الصرامة ضد البيزنطيين . ولكن من السهل إدراك ماحدث بالفعل . انظر : Runciman, The First Crusaders Journey across the Balkan Peninsula, in B, vol. 18; 1948, p. 218 .

(الترجمة العربية) .

(٥٣) العبارة التي تقول بأنه ليس من العدل أن يقاتل ريموند المسيحيين ، تمثل لغة الكنيسة . انظر : Missall : prefaces to the Canon.

(٥٤) جاءت روايات مؤلف الجستا وريموندا جيل وتوديبود متشابهة جداً فيما يخص القسم الذي أداه ريموند كونت صنجيل . وبما أن المؤرخين الثلاثة لم يحضروا إجتماع ريموند والكسيس ، فلابد أنهم استمدوا معلوماتهم من مصدر تاريخي مشترك ، وإما أن يكونوا قد نسخوا رواية واحد منهم .

والآن . فإن هذا القسم ، هو بالضبط ذلك القسم الذي يؤدي في جنوب فرنسا ، ويجعلنا نشك في أن مؤلف الجستا قد نقل عن ريموندا جيل . فمن غير المحتمل أن يستعمل المؤرخون الثلاثة نفس الألفاظ إلا إذا كانت قد توفر لديهم مصدر تاريخي مشترك . ونري أن أي محاولة لتحديد أي منهم نقل عن الآخر ستكون محاولة عظيمة . انظر مقالنا :

Hill and Hill, 1953 : pp. 322 - 327.

(٥٥) يحذف توديبود معظم المفاوضات التي تمت بين ألكسيس وبوهيمند بينما يورد مؤلف الجستا بعض الفقرات التي اعتبرها كري دعاية نورماندية . ويحذف توديبود جزءاً من رواية الجستا المتناقضة . والمخطوط A لتوديبود =

= يقرر أن الإمبراطور قد وعد (بوهيمند) بأراض بالقرب من أنطاكية . وهذا يطابق نسخة الجستا . وعلي أية حال ، فإن قراءات توديبود أيضاً تقر أن ألكسيس قد وعد بأرض في آسيا الصغري Romania . وتضيف هذه المعلومات بعد ذلك ، والمفاوضات السرية بين بوهيمند وألكسيس . وتستخدم القراءات المختلفة لتوديبود أسلوباً لوصف منحة الأرض يشبه أسلوب ريموندا جيل .

انظر : C. Krey, 1928 . وقد وصل جيش بوهيمند إلي القسطنطينية في ٢٦ أبريل ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 142 . ويقرر ريموندا جيل أن تاتيكيوس قد سلم بوهيمند ثلاث مدن . ربما تكون هي أذنه والمصيصة وطرسوس . وتتفق عبارته مع قراءات توديبود .

انظر : . Roymond d'Aguilers, p. 37

- كانت اتفاقية الإمبراطور التي عقدها مع قادة الحملة الصليبية هي ضمانه الوحيد للحفاظ علي بلاده من عبث الفرنج وسبيله إلي إستخدامهم لتحقيق مصالح دولته . ولم يعقدها معهم إلا بعد أن أدي له الجميع - ماعدا تنكريد ابن أخت بوهيمند - يمين الولاء والتبعية ليلزمهم بطاعته . وقد تعهد الإمبراطور في هذه الاتفاقية بأن يساعد الفرنج في مهمتهم - الإستيلاء علي بيت المقدس - والمحافظة علي سلامتهم خلال مرورهم بأراضيه ، وبإمدادهم بالمؤن وبفرقة عسكرية تكون تحت تصرفهم . وفي المقابل تعهد الفرنج بأن يعيدوا إلي بيزنطة كل ما أستولي عليه السلاجقة من أملاكها . إلا أن بوهيمند قد استخدم الجستا في إثبات حقه في ملكية أنطاكية - آخر المعاقل البيزنطية في بلاد الشام - حين أقحم علي النص كما يري كري ماقد يبدو أن وعده به ألكسيس من أملاك حول أنطاكية وبالمدينة نفسها .

وللمزيد عن اتفاقية الإمبراطور والفرنج انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب =

= والروم، ص ٢١٩ - ٢٢٨ . راجع أيضاً : A. C. Krey, A Neglected Passage in the Gesta and its Bearing on the Literature of the First Crusade, in The Crusades and other Historical Essays, Presented Dana Munro, New York , 1928 , pp. 37 FF.

(الترجمة العربية) .

(٥٦) لايدرج توديبود هنا إحدي روايات الجستا، التي يُعتقد من خلالها أن بوهيمند قد حصل علي الكثير من الإمبراطور . انظر : Bréhier, Gesta,p. 36.

- وهي العبارة التي يُعتقد أنها قد أقحمت علي النص لصالح بوهيمند وبناء علي أوامره . انظر : مجهود : أعمال الفرنجة ، ص ٣١ .

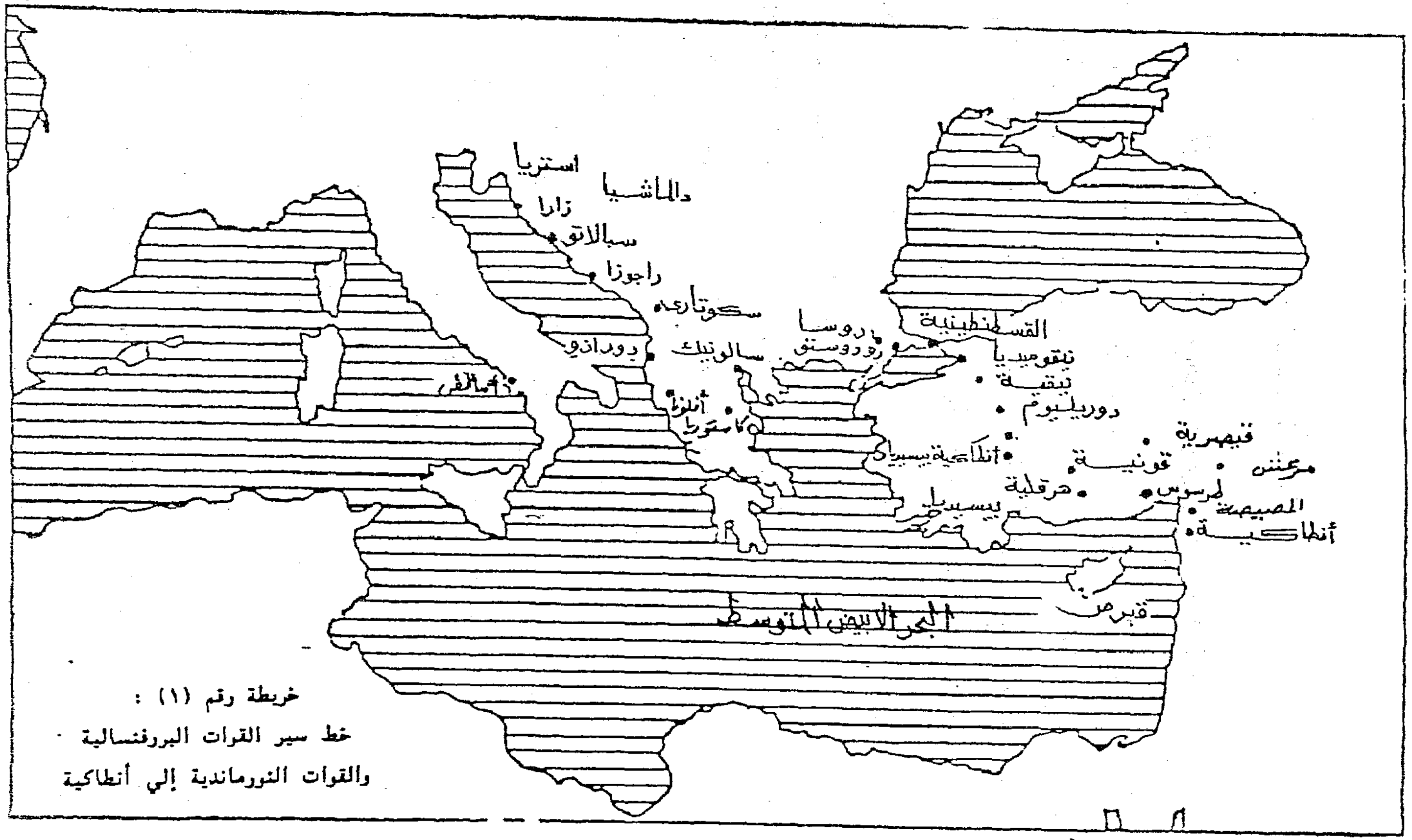

خريطة رقم (١) :
خط سير القوات البروفنسالية .
والقوات النورماندية إلي أنطاكية

الفصل الثالث

الإستيلاء علي نيقية والمسير إلي انطاكية

والآن إحتشد الجميع وتوجهوا إلي الميناء ، حيث عبروا البسفور ، وارتحلوا معاً براً ووصلوا إلي مدينة نيقوميديا . وهناك مكثوا لمدة ثلاثة أيام . وكان أول من ضرب الحصار حول نيقية الدوق جودفري وكنت الفلاندر ، وكانت نيقية عاصمة آسيا الصغري . ووصل في اثرهم ، الرجل المحنك ، بوهيمند بصحبة جيشه لحصار نيقية من الجهة الشمالية وذلك سادس أيام شهر مايو حيث أقام معسكره هناك[1].

ويوم عيد صعود المسيح [2] بدأ الصليبيون في محاصرة المدينة من كل جانب ، وإقامة آلات الحصار الخشبية والأبراج لتقويض أسوارها . وهجموا معاً علي المدينة بعنف وتمكنوا من تقويض أحد الأسوار بعد جهد يومين . وعلي أية حال ، فقد بعث الترك المتبربرين القابعين داخل نيقية الرسل إلي من جاءوا لنجدة المدينة بأن في إمكان الأخيرين الإقتراب دون خوف وبأمان تام ودخول المدينة من البوابة الجنوبية ، لأنه لن يعترض طريقهم أو يضايقهم أحد .

وفي ذلك اليوم اتخذ كل من كونت صنجيل وأسقف لي بويه موقعه بسرعة قبالة تلك البوابة [3] . وتقدم ريموند تظلله العناية الإلهية من الجهة الأخري من نيقية مع جيشه الذي لايقهر ، ليقدم مشهداً بديعاً للسلاح الدنيوي . وهنا رأي الترك مندفعين نحونا فهاجم جنودهم ، متسلحاً بعلامة الصليب من كل جانب ، داحراً وهازماً وقاتلاً الكثيرين منهم في هذه الملحمة . وتجمع الترك مرة أخري وجاءوا بصحبة مبعوثي نيقية مستبشرين ومتباهين بالنصر الأكيد حتي أنهم أحضروا الحبال التي خططوا لوثاقنا بها واقتيادنا إلي خراسان . وأقدموا مستبشرين ، وبدأوا في الهبوط تدريجياً من قمم الجبال . وأطاح الفرنج برؤوس كل الترك الذين هبطوا إلي الوادي . وحملوا الفرنج تلك الرؤوس المفصولة عن أجسادها

بالقرب من المدينة ، ورشقوها بالمقاليع وقذفوا بها إلي داخل المدينة ، وبثوا الذعر في قلوب المدافعين عنها .

وتناقش ريموند كونت صنجيل وأسقف لي بويه حول أفضل السبل لتقويض البرج المواجه لقواتهما (٤) . ومن ثم قسّما العمل ، باختيارهما لبعض الرجال للحفر تحت البرج ، بينما يقوم بحمايتهم القواسين ورماة السهام من كل جانب . ثم نقبّوا السور ، وثبتّوا أعمدة من الخشب وجذوع الأشجار وأشعلوا فيها النيران . ولم ينتهوا من هذه المهمة قبل حلول الظلام . ولأن البرج لم يتصدع وينهار إلا أثناء الليل ، فلم يستطع المسيحيون مهاجمة المدينة . وفي أثناء ذلك ، استيقظ الترك من نومهم ورمّوا السور جيداً وبقوة حتي لم يعد في الإمكان إقتحام المدينة من هذا الموضع .

ولما تيقن الترك من تعذر حصولهم علي المساعدة من زملائهم خارج نيقية ، فقد أرسلوا إلي ألكسيوس بمبعوث يخبره بأنهم علي استعداد لأن يسلموا إليه نيقية شريطة أن يسمح لهم بالرحيل عن المدينة في أمان بصحبة زوجاتهم وأطفالهم وكل مايملكون (٥) . وأمر ألكسيوس ، وقد تسلط عليه تفكير جائر ومضلل ، برحيل الترك آمنين مطمئنين وبإرسالهم إلي القسطنطينية في أمان تام .

بقي الصليبيون علي حصار نيقية طوال سبعة أسابيع (٦) وأسلم العديد من رجالنا ، الذين استشهدوا هناك ، أرواحهم إلي الرب بسعادة وغبطة . ومات الكثيرون من معدمينا جوعاً ، ولحسن الحظ ، فقد بذلوا أرواحهم من أجل المسيح، المبارك والمستحق الثناء إلي الأبد آمين (٧) .

وبعد استسلام نيقية ومسير أهلها إلي القسطنطينية ، كان الإمبراطور فرحاً لإمتلاكه المدينة لدرجة أنه أمر بتوزيع كثير من الصدقات علي الفقراء (٨) . وبعد رحيلنا عن نيقية ، وصلنا في نفس اليوم إلي جسر حيث ضربنا الخيام لمدة

يومين [٩] . وفي اليوم الثالث ، استيقظ رجالنا قبل شروق الشمس ، إلا أن الظلمة لم تمكنهم من أن يسلكوا طريقاً واحداً ؛ ومن ثم ساروا في أقسام منفصلة عن بعضها لمدة يومين . وكان بوهيمند القدير وروبرت النورماندي وتنكريد العظيم وغيرهم كثيرين في فريق واحد . وضمت المجموعة الثانية كلا من ريموند كونت صنجيل والدوق جودفري وأسقف لي بويه وهيو العظيم وكونت الفلاندر وعديدين غيرهم .

وفي اليوم الثالث ، هاجم الترك بوهيمند وفرقته بعنف [١٠] . وحين رآنا الترك ، أعداء المسيحيين وأعداء الرب هؤلاء ، بدأوا في العواء والثرثرة والصراخ والتفوه بكلمات شيطانية بلغة غريبة أجهلها تماماً [١١] وعند رؤية بوهيمند ، ذلك الشجاع ، لعدد كبير من الترك يولولون ويصيحون صيحة واحدة كمن مسه الجنون، سارع بإصدار أوامره لكل الفرسان بالترجل وإعداد معكسر قتال . وبعد القيام بذلك ، خاطب كل الفرسان قائلاً : " سادتي يا أشد الجنود المسيحيين بسالة ! من الواضح أننا محاصرون ونواجه معركة شرسة . لذلك ، سوف تتقدم قوة الفرسان بكاملها نحو العدو ، بينما يقيم الرجالة الدفاعات بسرعة وبمهارة " .

وفور الإنتهاء من هذه الترتيبات ، أحاطت بنا كل جموع الترك مناوشين إيانا ، وراشقينا بالقذائف وطاعنينا بالسيوف ، وراميننا بالسهام من كل اتجاه ومن علي مسافات بعيدة وعجيبة . وبالرغم من أننا لم يكن لدينا أمل في مقاومتهم أو في تحمل ضغط مثل تلك القوة الطاغية ، إلا أننا بقينا علي ثباتنا متحدين . أما النساء اللاتي كن في صحبتنا ، فقد قدمن مساعدات جليلة لقواتنا في ذلك اليوم فقد جلبن مياه الشرب للمحاربين وكن دائماً يصحن بشجاعة لإثارة الحماسة في نفوس أولئك الذين قاتلوا ودافعوا عنهن .

ثم بعث بوهيمند ، ذلك الباسل ، علي الفور برسالة إلي القسم الآخر من الجيش الصليبي ؛ وبالتحديد إلي كونت صنجيل الشهير ، والدوق جودفري

الجلـيل[١٢]، وهيو العظيم ، وأسقف لي بويه المبجل ، وإلي كل الفرسان الآخرين أن لايتوانوا في الإندفاع إلي ميدان القتال . وأضاف قائلاً : " لو رغب أحد في القتال ، فقد حان الوقت كي يثبت شجاعته " . وعلي أية حال ، فقد رفض القادة الطلب تماماً حتي أنهم سخروا من مبعوثي بوهيمند قائلين : " إنها كذبة كبري " . في ذلك اليوم لم نصدق الرسالة لاعتقادنا أن الترك كانوا من الحكمة بحيث لا يورطوا أنفسهم في قتال مكشوف [١٣] .

ولكن الدوق الجرئ الشجاع جودفري ، قاد قوات النجدة ، يصحبه هيو العظيم إلي دوريليوم . وتبعهم أدهيمار بقواته ، وشارك ريموند كونت صنجيل الشجاع في المعركة بقواته الضخمة . واندهش رجالنا من أي مصدر يأتي مثل هذا الجيش من الترك والعرب والمسلمين وآخرين ممن لا أعرف أصلهم . وفي الحقيقة ، فقد كانت كل الجبال والتلال والأودية والسهول داخل وخارج المدينة تعج بهذا الجنس اللعين . ومررت علينا رسالة سرية تمدح وتنصح وتحث : " كونوا راسخين في الإيمان وتحصنوا بنصر لواء الصليب المقدس لأن في ذلك اليوم ، يشاء الرب ، أن تنالوا جزاء أوفي " [١٤] .

وعلي الفور إصطف الصليبيون في تشكيل المعركة ، وكان في الميسرة كل من بوهيمند الحكيم ، وروبرت النورماندي وتنكريد الشجاع والفارس المبجل روبرت أوف آنسا [١٥] والشهير ريتشارد أوف برنسيبات [١٦] . واندفع أدهيمار هابطاً من جبل آخر وحاصر الترك الذين استبد بهم الذعر . وكان في الميمنة كل من ريموند كونت صنجيل ثاقب الفكر ، والدوق جودفري المبجل ، وروبرت كونت الفلاندر الجسور ، وهيو العظيم ، وكثيرين غيرهم ممن لا أعرفهم . وعند اقتراب فرساننا ولي الترك والعرب والقوقازوين وكل الجنس البربري الأدبار في اضطراب ، إلي ممرات الجبال وإلي السهول . وبلغ عدد الترك والشرقيين والبيالصة والفرس والقوقازيين وغيرهم من الوثنيين مايقرب من ثلاثمائة وستين ألف مقاتل ، ويعلم

الله كم كان عدد العرب الموجودين في المعركة[١٧] .

ولم يتمكن الفارون من البقاء طويلاً في معسكرهم ، فقد سارعوا بالهرب مرة أخري ونحن في أثرهم نعمل فيهم القتل طوال اليوم ، وفي النهاية تمكنا من الحصول علي غنائم كثيرة بما في ذلك من الذهب والفضة والخيول والحمير والجمال والأغنام والمواشي وأشياء كثيرة أخري لم نحصها . وعلي أية حال ، لولا وجود الرب معنا في هذه المعركة ، ولولا إرساله فرقة أخري لإنقاذ بوهيمند علي وجه السرعة ، ما تمكن أحد من رجالنا من النجاة ، فقد استمر القتال من الساعة الثالثة حتي الساعة التاسعة . إلا أن الرب العطوف الرحيم [١٨] قد أدركنا بعونه العاجل فأنقذ فرسانه من الموت والوقوع في أسر العدو . وسقط في هذه المعركة قتيلاً كل من جودفري أوف مونت سكاجليوسو ووليم ابن المركيز وشقيق تنكريد ، وهما من الفرسان البارزين ، كما قتل أيضاً عدد من الفرسان والرجّالة الذين لا أعرفهم[١٩] .

كيف يتأتي لأي رجل مهما بلغت به الحكمة والعلم أن يتجرأ ويصف مهارة وشجاعة وقوة الترك ؟ الذين ظنوا أنهم قادرون علي بث الفزع في نفوس الفرنجة بتهديدهم بسهامهم كما أفزعوا من قبل العرب والأرمن والسريان واليونانيين . ولكن ، يشاء الرب ، أن لا يكونوا بقوة رِجالنا من حيث المظهر والفعل والفكر . ومهما يكن من أمر ، فإنهم يدّعون أنهم ينحدرون من أصل فرنجي ، وأن الفرنج والترك هم فقط بالفطرة فرسان [٢٠] . وليس في مقدور أحد أن يكذبني إن قلت:[٢١] " من المؤكد ، أنهم لو كانوا قد آمنوا بالمسيح إيماناً راسخاً ، واعتنقوا المسيحية ، واستوثقوا بالدستور والإيمان المسيحي ؛ أي ، رب واحد في ثالوث ، ولد من أم عذراء ، وصُلِبَ ، ثم قام ، وأخيرا لو أنهم سلّموا ببعث الروح القُدُس التامة كعون ، ولو أنهم اعترفوا بالمثل بحكمه في الأرض وفي السماء ؛ أقول ، لو، أنهم آمنوا بالروح وبالإيمان الحق ، ماكان لأحد أن يكون ماهراً وشجاعاً ومحارباً

باسلاً مثل هؤلاء الأتراك " (٢٢) . وقعت موقعة دوريليوم في أول أيام شهر يوليــو (٢٣) .

وقد هرب أعداء الرب و المسيحية واختلط الحابل بالنابل طيلة أربعة أيام بلياليها بعد هزيمتهم . وحدث أن قابل القائد التركي قلج أرسلان ، ابن سليمـــان(٢٤) ، وهو في طريقه هارباً من نيقية ، عشرة آلاف من العرب الذين خاطبوه متسائلين : " يا أتعس وأشد الوثنيين بؤساً ، لماذا تلوذ بالفرار مذعوراً طوال هذه المسافة ؟ " (٢٥) .

ورد قلج أرسلان مغتماً : " مع أنني في الواقع قد اكتسحت الفرنج كلهم ، وظننت حينئذ أنني آخِذهم أسري ، وفي الحقيقة راودني الأمل في لحظة ما في أن أكبلهم جميعاً بالأغلال ، فإذا بي أري حشداً هائلاً من الفرنج . ولو كنتم ، أو غيركم ، هناك لاعتقدتم أن الجبال والتلال والأودية وكل البقاع قد كستها تلك الجموع . ولم نكد نراهم حتي استبد بنا الرعب ولذنا بالفرار ، ومن شدة الهول أفلتنا من الفرنج بأعجوبة . وهذا يفسر الحالة المفزعة التي نحن عليها الآن . وإذا كنتم علي يقين من صحة روايتي ، فعليكم بالرحيل من هذا المكان ، فلو عثر الفرنج علي جيشكم فلن يتبق أحد منكم علي قيد الحياة " (٢٦) . وفور سماع العرب لروايته ، سارعوا بالانسحاب وتبعثروا في شتي أنحاء آسيا الصغري .

وواصلنا مطاردتنا للترك التعساء الذين دأبوا علي الهرب أمامنا كل يوم . وعندما كانوا يمرون بقلعهة أو بلدة ، كانوا يتحايلون علي سكانها ويخدعونهم بقولهم : " لقد هزمنا كل المسيحيين ودحرناهم تماماً ولن يتجرأ أحدهم علي التصدي لنا . فاسمحوا لنا بالدخول " . وإذ هم دخلوا فإنهم ينهبون الكنائس والمنازل وكل شئ، ويسرقون الخيول والحمير والبغال ، والذهب والفضة ، وكل ماتقع عليه أيديهم. وإلي جانب ذلك ، فقد خطف الترك الأطفال المسيحيين ، واتبعوا سياسة الأرض المحترقة أثناء هروبهم مذعورين أمام طليعة جيشنا " (٢٧) .

ونحن بدورنا ، بالكاد نكون قد نجونا من الموت ونحن نطارد العدو في أراض جدباء قاحلة غير مأهولة بالسكان بينما أحدق بنا العطش والجوع في كل لحظة(٢٨). ولم نكن نقتات سوي النباتات الشوكية التي نجدها مصادفة ونسحقها بأيدينا ، وهكذا عشنا علي مثل هذا الطعام طوال هذا الطريق . واضطر كثير من فرساننا إلي الترجل لأن معظم خيولنا قد نفقت في الصحراء (٢٨) .

وبسبب ندرة الخيول استبدلنا جياد الحرب بالثيران . وفي هذاالعُسر الشديد استخدمنا الماعز والغنم والكلاب كدواب للحمل .

وبالتدريج دخلنا إلي منطقة خصبة مليئة بالأغذية وأطايب الطعام وشتي أنواع المؤن . وفي النهاية ، وصلنا إلي مدينة قونية ، حيث نصحنا سكان هذه المنطقة وحثّونا علي أن نحمل معنا كميات كبيرة من المياه حيث ينتشر الجدب والجفاف بالريف لمسافة يوم كامل (٣٠) . وأخذنا بنصيحتهم ، ووصلنا إلي أحد الأنهار حيث أقمنا معسكراً لمدة يومين . وقام كشافونا بعمليات الاستطلاع حتي وصلوا إلي هرقلية ، حيث كان حشد كبير من الترك ينتظر ويترقب اللحظة المناسبة ليباغت جنود المسيح (٣١) . وعندما اكتشف فرسان الرب القدير مكان الترك انقضوا عليهم بجسارة . وفرت جحافل الترك ، وقد أصابتها عصا الرب ، هاربة في خبل كما ينطلق السهم من قوس رام ماهر . وبعد هذا الهجوم سارع جيشنا باحتلال المدينة وبقي بها طيلة أربعة أيام .

وهنا انفصل عن الجيش الرئيسي كل من تنكريد ، ذلك الفارس المغوار ، ابن المركيز ، وبلدوين الكونت البارز شقيق الدوق جودفري واتجهوا إلي وادي Botrenthrot (٣٢). وهنا انفصل تنكريد بدوره بصحبة فرسانه عن بلدوين متجهاً إلي طرسوس حيث اندفع سكانها نحوه جملة واحدة لقتال المسيحيين (٣٣) . وفي المقابل ، تقدم جيشنا نحوهم واشتد في قتالهم مما اضطرهم إلي الإسراع بالإنسحاب

إلي المدينة . وطاردهم تنكريد ، ذلك الرجل الحكيم والفارس المسيحي المبجل ، بضراوة ثم ضرب خيامه قبالة المدينة . أما الرجل الحكيم الشهير الكونت بلدوين ، فقد أتي بجيشه من ناحية أخري ، وطلب من تنكريد المغوار أن يضع في اعتباره قبول بلدوين شريكاً له في طرسوس بحكم الصداقة والود الذي بينهما (٣٤) . فأجابه تنكريد اللطيف : " لن يكون في مقدوري أن أفعل شئ بخصوص هذا الإتفاق " .

وفي أثناء ذلك ، هرب الترك المذعورون عند حلول الليل ، وقدم بقية سكان طرسوس تحت ستار الليل خارجين من المدينة يصرخون ويصيحون بصوت مرتفع : "اسرعوا أيها الفرنج المظفرون اسرعوا إلي طرسوس ؛ فقد فر الترك المذعورون " . وعندما تنفس الصبح ، قدم قادة طرسوس وسلموها للفرنج طوعاً ، مخاطبين بلدوين وتنكريد المتشاحنين قائلين : " كفي ، ياسادة ، كفي . إننا نلتمس ونطلب أن يكون ذلك الرجل الذي قاتل الترك بجسارة بالأمس هو سيدنا وحاكم مدينتنا " .

واقترح الكونت بلدوين ، مستمراً في النزاع والمشاحنة علي تنكريد الأريب قائلاً : " لندخل طرسوس معاً ، وننهبها ولتكون الأسلاب والغنيمة من نصيب الأقوي منا " . ورد تنكريد الجسور قائلاً : " اعتبرني مهزوماً . فلن أنهب مسيحيي هذه المدينة الذين اختاروني سيداً عليهم والذين يرغبون في بقائي بينـــهم". وخضع تنكريد الشجاع في النهاية للكونت الحكيم بلدوين بسبب تفوق جيش الأخير وانسحب بعد ذلك ، مظهراً عدم رضاه ، من طرسوس ورحل مع رجالـه. وخضعت لسيادة تنكريد المدينتين العظيمتين أذنة والمصيصة ، إلي جانب العديد من القلاع (٣٥) .

أما عن الجيش الرئيسي من الصليبيين فقد ضم كلا من ريموند كونت صنجيل ، وبوهيمند الأريب ، والدوق جودفري ، وقادة آخرين ، ودخلوا أرمينيا متحمسين متعطشين للدماء التركية (٣٦) . وفي النهاية بلغوا قلعة منيعة أوقفت

مسيرتهم . وكان هناك أحد مواطني الإقليم يدعي سمعان ، طلب منهم أن يتركوا له أمر الدفاع عن القلعة وحفظها من السقوط في أيدي الأتراك (٣٧) فملكوها له حيث أقام بها هو وعشيرته . وغادرنا هذا المكان ووصلنا إلي مدينة قيصرية في إقليم كبادوكيا بعد رحلة بهيجة (٣٨) . وبعد إجتيازنا لإقليم كبادوكيا ، وصلنا إلي مدينة عظيمة الثراء والجمال كان الترك قد قاموا علي حصارها طيلة أسابيع ثلاثة دون أن يتمكنوا من الاستيلاء عليها قبل وصولنا إليها . وفور ظهورنا ، بادر السكان ، فرحين ، بتسليم المدينة إلينا (٣٩) . ووعد فارس صغير يدعي بطرس أوف أولبس (٤٠) كان قد طلب من كل السادة الفرنج بشغف شديد أن يتولي أمر المدينة ، وعد بالدفاع عنها مخلصاً للرب وللقبر المقدس ، وللسادة الصليبيين ، وللإمبراطور ألكسيوس . وبنفس جوادة ، منحوه المدينة طوعاً واختياراً (٤١) .

وعند الغروب ، تواترت الأخبار إلي أسماع بوهيمند بأن مجموعة كبيرة من الترك الذين كانوا قد حاصروا المدينة من قبل قد أصبحوا في مجاوراتنا . واستعد من فوره ، بصحبة فرسانه ، لمحاصرة أعدائه إلا أنه لم يتمكن من العثور علي أحد منهم . ثم وصلنا إلي كوكسون ، وهي مدينة غنية بالمحاصيل وبها وفرة من كل الضروريات التي نقيم بها معاشنا (٤٢) . وفي الحال ، قام السكان المسيحيون بتسليم مدينتهم إلي الصليبيين ، الذين بقوا هناك لمدة ثلاثة أيام نعموا فيها بالاستجمام في تلك المنطقة الغنية .

وفي ذلك الوقت ، عقد ريموند كونت صنجيل ، الذي وصلته الأنباء بأن المدافعين عن مدينة أنطاكية قد جلوا عنها ، عقد مجلساً للتشاور مع أتباعه البروفنساليين ووضع مخططاً يقضي بإيفاد فرسانه لحراسة أنطاكية باهتمام شديد . وانتهي إلي اختيار من رغب في ذهابهم إلي أنطاكية ، وهم : بطرس فيكونت كاستيون ، وبطرس أوف روبيه وبطرس ريموند أوف هوتبول بصحبة خمسمائة من

الفرسان [٤٣] . وعند وصولهم إلي أحد الأودية بالقرب من أنطاكية عرفوا عند قلعة يقيم فيها البيالصة أن الترك في أنطاكية قد أعدوا عدتهم للخروج دفعة واحدة للدفاع عنها . وانفصل بطرس أوف روبيه عن قوات الحملة ومر - تحت جنح الظلام - بالقرب من أنطاكية ودخل سالماً إلي وادي الروج [٤٤] ، حيث صادف جماعة من الترك وقاتلهم ، وتمكن من قتل جماعة منهم وطارد الباقين . ولما تأثر الأرمن من سكان المنطقة بانتصاره المظفر علي الترك ، فقد سارعوا بالدخول تحت حمايته ، بينما استولي هو علي مدينة روسا وكثير من القلاع الأخري [٤٥] .

ورحلنا ، نحن الذين بقينا في كوكسون ، وبدأنا في تسلق جبل شاهق نظيع ذات مضايق صعبة حتي أن أحداً منا لم يتجرأ علي أن يتقدم زميله في ممرات الجبل التي تشبه المدقات [٤٦] وسقطت الخيول من المنحدرات وكبت دواب الحمل بعضها فوق بعض بينما وقف الفرسان وقد أغرورقت أعينهم بالدموع في كل مكان يلوي كل منهم يديه من شدة التأثر ، وقد ملأ نفوسهم الغم والكدر . وباع الفرسان - وقد تشككوا في مصيرهم ومصير أسلحتهم - دروعهم الثمينة وخوذاتهم في مقابل ثلاث أو خمس بنسات أو أكثر إن أمكن [٤٧] . أما هؤلاء الذين لم يتمكنوا من بيع أسلحتهم عديمة القيمة ، فقد ألقوها في الطريق وواصلوا المسير . وبعد إجتيازنا للجبل المفزع ، وصلنا إلي مدينة مرعش [٤٨] حيث خرج سكانها للقائنا بترحاب وقدموا لنا إمدادات وفيرة . هنا وسط هذا الرغد انتظرنا وصول بوهيمند .

ثم وصل فرساننا قرابة الوادي الذي تقع به مدينة أنطاكية الرائعة [٤٩] . وهي عاصمة بلاد الشام كلها . التي منحها السيد المسيح للقديس بطـــرس [٥٠] ، أول الحواريين ليعيدها إلي وقار الإيمان الصحيح ، الذي يعيش ويحكم مع الثالوث المقدس إلي الأبد . آمين [٥١] .

هوامش الفصل الثالث

(١) وصل كل من جودفري وروبرت كونت الفلاندرز وتنكريد في ٦ مايو ١٠٩٧م.
انظر : H. Chr. 147.

(٢) بدأ الحصار الكامل في ١٤ مايو ١٠٩٧ م . انظر :

(٣) وصلت قوات ريموند إلي نيقية في ١٦ مايو ١٠٩٧م . انظر : H. Chr.152

- لم يحدد ريموندا جيل كل هذه التواريخ السابقة كما حددها كل من مؤلف الجستا وتوديبود وفولشر أوف شارتر . انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 14; Fulcher of Chartres, p. 80.

راجع أيضاً : أعمال الفرنجة ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(الترجمة العربية).

(٤) يقرر ريموندا جيل أن تقويض البرج قد تم بعد خمسة أسابيع من بداية الحصار. انظر : Roymond d'Aguilers, p. 26 . ويحدد هاجنمير تاريخ هذه الوقعة بالعاشر من يونيو ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 156

- جاءت روايات كل من توديبود ومؤلف الجستا وريموندا جيل ، عن حصار الصليبيين لمدينة نيقية حتي سقوطها في أيديهم ، متشابهة في بعض الفقرات ومختلفة في البعض الآخر . فحتي هدم البرج وترميم السلاجقة للأسوار تشابهت الروايات الثلاث . وإن كانت روايتا مؤلف الجستا وتوديبود أكثر تطابقاً . وتختلف رواية توديبود عن روايتي مؤلف الجستا وريموندا جيل بعد ذلك . فقد حذف توديبود تفاصيل كثيرة عن جهود كونت تولوز وجودفري وبوهيمند وتنكريد في الحصار. بينما ذكرها الآخران. ومهما يكن أمر فمن الواضح أن مؤلف الجستا وريموندا جيل قد حاول كل منهما إبراز دور سيده وقواته في حصار المدينة الإسلامية والإستيلاء عليها. =

= وينفرد ريموندا جيل دون زميليه المؤرخين بإشراك دبابة خشبية في تقويض البرج . انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 14 - 16

راجع أيضاً : أعمال الفرنجة ، ص ٣٤ - ٣٦ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(الترجمة العربية).

(٥) يحذف توديبود تفاصيل وصول ستيفن كونت بلوا ، وإنزال القوارب إلي بحيرة أسكانيوس .

- كان ستيفن كونت بلوا وشارتر وروبرت النورماندي هما آخر من وصل إلي نيقية في ٦ مايو ١٠٩٧م . وكان المؤرخ فولشر أوف شارتر لايزال ضمن حملتهما قبل أن ينضم إلي معية بولدوين شقيق جودفري في يونيه ١٠٩٧م. انظر: Fulcher of Chartres, p.

(٦) يقرر توديبود أن حصار نيقية استمر طيلة سبعة أسابيع ، ويجعله مؤلف الجستا مستمراً لمدة سبعة أسابيع وثلاثة أيام . انظر : Bréhier, Gesta, p. 42.

وقد استسلمت المدينة في ١٩ يونيه ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 160

(٧) من أجل اسم المسيح Prochristi nomine ، وهي تلبية تردد في صلاة الليل.

(٨) يدعي ريموندا جيل أن ألكسيس لم يكن كريماً . ولم يدعم المؤرخون الآخرون هذه الإشارة . انظر : Roymond d'Aguilers, pp. 26, 27.

- من المعروف أن السلاجقة قد راسلوا الإمبراطور البيزنطي بشأن تسليم المدينة له دون الصليبيين خشية قيام الأخيرين بالإنتقام منهم لمقتل بني جلدتهم من قوات بطرس الناسك في كيفيتوت في ٢١ أكتوبر ١٠٩٦م . وتسلم القائد =

= البيزنطي بوتوميتس Butumites المدينة في ١٨ يونيه ١٠٩٧م . وفي صباح اليوم التالي شاهد الفرنج الرايات البيزنطية ترفرف فوق نيقية . ولاشك أن ريموندا جيل - مثل بقية الصليبيين - قد صُدم لاستسلام سلاجقة نيقية للبيزنطيين، الأمر الذي أضاع علي الفرنج فرصة نهب ثروات المدينة . ومع ذلك فقد عوضهم الإمبراطور عن ذلك بتقديمه الهدايا لقادتهم وماوزعه علي فقرائهم من صدقات . ويقرر ذلك كل من فولشر أوف شارتر ، ومؤلف الجستا إلي جانب ستيفن كونت بلوا - في خطابه إلي زوجته أديلا - والراهب أنسلم - في خطابه إلي مناسيس أسقف ريمس - والبرت دكس . انظر : Epistolae et chartae ad Historiam primi belli spectantes, in Die Kreuzzugabriefe, ed., H. Hagenmeyer, Insbruck , 1901, pp. 140 - 145; Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 18; Fulcher of Chartres, p. 80; Albert d'Aix,p.321.

راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٨ .

وقد نشر الدكتور جوزيف نسيم يوسف خطاب ستيفن كونت بلوا إلي زوجته أديلا وترجمته العربية . انظر : جوزيف نسيم : العرب والروم ، الملحق الرابع ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

وقد قمت بنشر النص اللاتيني (وترجمته العربية) لرسالة أنسلم راهب ريبمونت في رسالتي للماجستير . انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الأسكندرية ، ١٩٨١، الملحق الثاني ، ص ٢٩٤ - ٣٠١.

(الترجمة العربية).

(٩) بدأت الجيوش الصليبية في مغادرة نيقية في ٢٦ يونيه إلي ٢٨ يونيه . وتبعاً لرنسيمان ، فقد عبروا النهر الأزرق ، وعند قرية Leucae انقسمت =

= الجيوش . انظر : H. Chr. 164 , 166.

- يحدد فولشر أوف شارتر تحرك قوات شمال فرنسا بقيادة ستيفن كونت بلوا وروبرت النورماندي بيوم ٢٩ يونيه ١٠٩٧م . انظر :

Fulcher of Chartres, p. 83.

ومن الملاحظ أنه منذ رحيل الفرنج عن نيقية وحتي وصولهم إلي جسر الحديد خارج أسوار أنطاكية في شمال الشام في ٢٠ أكتوبر ١٠٩٧م ، لم يذكر ريموندا جيل أيا من تفاصيل ماقام به الفرنج في رحلتهم في آسيا الصغري وعبر جبال طوروس ، أي أنه أغفل أحداث مايقرب من أربعة أشهر شارك بنفسه فيها . ومن الصعب تفسير سبب تلك الفجوة في تاريخه مع أن ذلك يقلل من دور سيده كونت تولوز في الحملة الصليبية الأولي ، الأمر الذي كان ريموندا جيل يتجنبه تماماً .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٨٤ ، حاشية رقم (١١) . (الترجمة العربية) .

(١٠) كانت هذه هي معركة دوريليوم بالقرب من المدينة الحالية أسكي شهر . وكان موقع المعركة مثار جدل بين المؤرخين . وعن الآراء التي أثيرت في هذا الشأن ، انظر : Runciman, 1951; p. 186, Fn. 1.

وقد وقعت معركة دوريليوم في أول يوليو ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 169

وكان يقود السلاجقة قلج أرسلان ابن سليمان . وكان الصليبيون يسمونه سولومون Solomon ويعتقد برييه أن الكلمات الغامضة هي "الله أكبر". انظر : Bréhier, Gesta, p. 45, Fn. 5.

(١١) يصف رادولف أوف كاين صيحة الحرب التركية في مناسبة أخري بكلمة Allachibar . ومن المحتمل أنها " الله أكبر " وهي التكبيرة التي ينطق بها =

= المسلمون عادة عند بدء القتال . انظر : Gesta Francorum, ed. Roslaind Hill, p. 18 , Fn. 2.

راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٩ ، حاشية رقم (١) . (الترجمة العربية) .

(١٢) وصف " مجيد Inclitus " المستخدم لوصف جودفري والقادة الآخرين هو كلمة تستخدم في صلوات الكنيسة ، انظر : Inclitus martyr, Troper, p. 214.

(١٣) باستثناء الجستا طبعة بونجارز ، فإن النصوص الأخري للجستا لا تتضمن تردد القادة عندما تسلموا رسالة بوهيمند . ويتضمنها نص توديبود . ويعتقد بربيه أنها إقحام علي النص . ويبدو أن بربيه وآخرين قد التزموا بفكرة نقاء نص وأن ماسوي ذلك ماهو إلا غير أصلي .

ومن المحتمل تماماً أن مايسمي بالإقحام ربما يكون قصصاً شائعة أو اقتباسات من الأغاني أضيفت إلي الروايات الصليبية لإنعاشها . وهذا الإقتباس يعكس نموذجاً أدبياً للأغنيات . وكان من الصحيح للبطل أن يرفض المساعدة ، ومن المعتاد أن يحتقر العدو . وقد احتقر رولان المساعدة . انظر : Bréhire,Gesta, p. 47, Fn. 2.

- نلاحظ أن مؤلف الجستا قد أورد كلمات بوهيمند إلي سائر القادة ليظهر حكمته ودوره في تولي أمور الفرنج وقت الأزمات . بينما أوردها توديبود لكنه لم يصدقها - مثله في ذلك مثل بقية قادة الفرنج - في البداية ، ثم يبدي دهشته من كثرة عدد الأتراك الذين واجهوا الصليبيين بعد ذلك . ولايذكر فولشر أوف شارتر أي شئ عن رسائل بوهيمند إلي القادة . انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 18 - 19; Fulcher of Chartres, pp. 83 - 88. =

= راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٩ .
(الترجمة العربية) .

(١٤) رسالة بطرس الأولي ، ٥ : ٨ - ٩ .

(١٥) روبرت أوف أنسا TRobert of Ansa ، من مواطني أنسا ، القريبة من بوتنزا Potenza في جنوب إيطاليا.انظر : Hagenmeyer, Gesta, p. 154. وكلمة المبجل Honestum كلمة كنسية .

(١٦) ريتشارد أوف برنسيبات Richard of Principate من سالرنو ، وهو ابن عم لبوهيمند وابن أخ لروبرت جويسكارد . وأبوه يدعي وليم . انظر : Bréhier, Gesta , p. 13, Fn. 8.

(١٧) القواقازيون Agulans لم يتم التعريف بهم بشكل مرض أبداً . ويعتقد بولان باريس أنهم كانوا من أفريقيا . انظر : La Chanson d'Antioche, 2, p. 305; also, Hagenmeyer, Gesta, p. 314, Fn. 14 and Bréhier, Gesta, p. 48, Fn. 2.

وعدد الثلاثمئة وستين ألفاً رقم لايعتقد في صحته . ويحذو فولشر حذو الجستا. أما ريموندا جيل الذي لايميل إلي المبالغة يعطينا فقط مائة وخمسين ألفاً. انظر : Liber, p. 45.

- كلمة Agulani اللاتينية كما وردت في الجستا ترجمها الدكتور حسن حبشي إلي العربية بمعني الغلمان . ويقصد بها فريق من العسكر يستعان بهم في الحرب ، اعتماداً علي ذكر بعض المصادر العربية لهذه الكلمة مثل ابن القلانسي . وبينما يري كل من بريبه وهاجنمير أنهم من الأفارقة . فتري روزالين هيل أنهم من القوقاز الألبان ، اعتماداً علي تعريف رنسيمان لهم . ونحن نميل إلي الأخذ برأي هيل إذا ماوضعنا في الاعتبار قرب منطقة القوقاز من آسيا الصغري ودخول بعض أهلها في الإسلام أو علي الأقل في =

= خدمة الجيوش السلجوقية .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص . ٤ ، حاشية رقم (٢) . راجع أيضاً :

Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 20, Fn. 3; CF. also, Steven Runciman, The Medieval Manichee, Cambridg, 1955,pp. 59 - 60.

(الترجمة العربية).

(١٨) والكلمات القدير Omnipotens والعطوف Pius والرحيم Misericors هي تعبيرات تستخدم في الصلوات .

(١٩) جودفري أوف مونت سكاجليوسو GodFrey of Monte Scaglioso من دوقية ماتيرا Matera ربما ذكر في الجستا من قبل تحت اسم هنفري Henfredus . انظر : Bréhier, Gesta, p. 21 , Fn. 5. وليم هو شقيق لتنكريد .

(٢٠) يعتقد برييه أن هناك أسطورة تجعل الأتراك والفرنجة من نسل الطرواديين .

انظر : Bréhier, Gesta, p. 51, Fn. 4; Rabanus Maurus, De Universo, pp. 439 - 440 .

- راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ٤١ ، حاشية رقم (٢) .

(الترجمة العربية).

(٢١) هذه الفقرة من عمل كاهن . فهو يستعمل أجزاء من دستور الإيمان المسيحي إلي جانب إقتباسات ، " رب واحد في ثالوث ، والإيمان المسيحي" كي يستمر في روايته .

(٢٢) كلمة Consolatine استخدمت مرتبطة بالروح القدس ، لتعني مساعدة أو عون . وكلمة Mente ليست مقصورة علي العقل .

انظر : Blaise, pp. 159 - 183. =

(٢٣) انظر : H. Chr. 169.

(٢٤) اعتاد المؤرخون اللاتين علي أن يسموا قلج أرسلان القائد سليمان Solimanus Dux .

- قلج أرسلان هو ابن سليمان بن قتلمش سلطان سلاجقة الروم (ت ١٠٨٦م) الذي كان من أبناء عمومة السلطان ملكشاه (١٠٧٢ - ١٠٩٢م) والذي فتح أنطاكية في عام ١٠٨٥م . ويرجع أصله إلي قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق الذي شق علي السلطان طغرل بك ، ونزح إلي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب بحر قزوين ومعه بعض التركمان . وأعلن قتلمش الثورة علي السلطان ألب أرسلان (١٠٦٣ - ١٠٧٢م) . واختار أبناء قتلمش ، ومع كل منهم عصبية من التركمان ، أن يحتموا بجبال آسيا الصغري وفيافيها، وقد ظهر من هؤلاء سليمان بن قتلمش الذي أخذ يعمل علي التوسع في آسيا الصغري لحسابه الخاص ضد ملكشاه والبيزنطيين معاً ، مما يعتبر مقدمة لدولة سلاجقة الروم بآسيا الصغري . وقد أصبح قلج أرسلان يعدموت ملكشاه حاكماً لآسيا الصغري ، ولم يحكم سيطرته عليها حتي موته في عام ١١٠٧م . وكانت السمة الإنقسامية التي اتسمت بها دولة السلاجقة بصفة عامة هي التي أدت إلي نجاحات الفرنج . وللمزيد عن دولة السلاجقة في آسيا الصغري وبلاد الشام ، انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي ، جزءان ، القاهرة ١٩٧٥ ، جـ ١ ، ص ٨٨ ومابعدها .

(الترجمة العربية).

(٢٥) كلمة Gentilium عادة ماتشير إلي الوثنيين ، في لاتينية الكنيسة . ويعتقد الكاهن أن الأتراك سيخاطبون أنفسهم فيما بينهم بالوثنيين.

(٢٦) لدينا هنا إنحراف عن التاريخ الصرف . فبعض من الأسلوب في هذا الحديث "كافة الجبال والتلال والوديان Omnes montes et colles et valles " تكرر عبارات وصفية استخدمت لوصف معركة دوريليوم .

(٢٧) وسياسة الأرض المحترقة Scorched earth هي عدم البقاء في الأماكن المعرضة لاحتلال الفرنج ، بل تدميرها وحرق محاصيلها ، وتخريبها حتي لايستفيد العدو بها . وهي السياسة التي اتبعها صلاح الدين الأيوبي تجاه الفرنج قبيل توحيد للجبهة الإسلامية توطئة للتفرغ لهم بعد ذلك . انظر :

J. Prawar, Crusader Institution, Jerusalem, 1980, p. 284.

(الترجمة العربية).

(٢٨) تحديد الطريق بين دوريليوم وقونية أمر يخضع للتخمين . ويعتقد بربيه أن الصليبيين قد اجتازوا هضبة Lycaonia الصحراوية في يوليو ١٠٩٧م حيث اشتدت الحرارة . انظر : Bréhier, Gesta, p. 55, Fn. 3 . ونجد وصف الصحراء في أسلوب العظات ويشبه في بعض أجزائه كتاب المزامير (٣:٦٢) . الرسالة الثانية إلي أهل كورنثوس ، ١١ : ٢٧ .

(٢٩) يخطئ توديبود ومخطوطات عديدةً من الجستا باستعمال كلمة equitum أكثر من كلمة equorum " الجياد " . انظر : .Bréhier, Gesta, p. 54

(٣٠) كانت مدينة قونية Iconium (Konya) ، مهجورة عند وصول الصليبيين إليها في منتصف أغسطس ١٠٩٧م . انظر : . H. Chr., 178

- استهدفت خطة قلج أرسلان - بعد هزيمة جيوشه في دوريليوم - الإنسحاب إلي الداخل وإخلاء المدن أمام الصليبيين . فوجدوا قونية خالية من سكانها ومن الزاد ، ولم يجدوا بها سوي بعض الأرمن الذين قدموا النصح للفرنج بالتزود بالماء قبل اجتيازهم الصحراء القاحلة الواقعة بين قونية وهرقلة . وهؤلاء =

= الأرمن أطلق عليهم مؤلف الجستا وتوديبود أهل قونية .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٤ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 23.

وأيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٦١ .

(الترجمة العربية).

(٣١) كان يدافع عن هرقلية قوات من الدانشمند والأمير حسن حاكم قبادوقيا اللذين هربوا عند اقتراب الفرنج . وبقي الصليبيون في هرقلة من ١٠ إلي ١٣ سبتمبر ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 181 , 183.

(٣٢) لم يُحدد موقع وادي Botrenthrot . انظر : Hagenmeyer, Gesta, p. 217, Fn. 42.

- يتجه هذا الوادي مباشرة جنوباً إلي ساحل قيليقية . انظر :

Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 24 , Fn. 1.

(٣٣) كانت طرسوس مدينة هامة في قيليقية وهي مسقط رأس القديس بولس. وكان يقطنها اليونانيون والأرمن . وعن خلافات تنكريد وبولدوين. انظر : Nicholson, 1940.

وقد انفصل تنكريد وبولدوين عن الجيش الصليبي في ١٤ سبتمبر ١٠٩٧م ووصلا إلي طرسوس في ٢١ من نفس الشهر . انظر : H. Chr. 182 - 184.

- من المعروف أن كلا من تنكريد وبولدوين قد انفصلات عن الجيش الصليبي في محاولة من كل منهما لإقامة ملك لنفسه في الشرق وكلاهما ليس له مستقبل في موطنه الأصلي . وعند مداخل قيليقية وقع الصدام بينهما حول طرسوس ، وتقاتلا حول أذنه والمصيصة . إلي أن توجه بولدوين إلي مدينة =

= الرها وأقام فيها أول ركائز الصليبيين في الشرق الأدنى . وللمزيد عن هذه الأحداث ، انظر : Fulcher of Chartres, pp. 88 - 92 ; Radulf of Caen, pp. 629 - 241 ; Albert d'Aix, pp. 537 - 538.

(الترجمة العربية).

(٣٤) Raduliphus Cadomensia, Gesta Tancredi, p. 633.

حيث يقدم تفاصيل المشادة .

(٣٥) أذنة : مدينة من مدن قيليقية عند سفح جبال طوروس وتقع إلي الشرق من طرسوس . والمصيصة : مدينة من مدن قيليقية أيضاً إلي الشرق من أذنة وتقع علي الضفة اليمني لنهر جيحون.

(٣٦) يصف المؤرخ أرمن قيليقية المتعطشين للدماء (Sitientes atque est uentes) بكلمات تستخدم في الطقوس الكنسية . انظر : Blaise, pp. 160, 556.

– قام الأرمن بهجرة كبيرة في القرن الحادي عشر الميلادي من بلادهم حول بحيرة فان متجهين جنوباً إلي قيليقية بعد أن تعذرت إقامتهم في بلادهم في ظل ظروف المد السلجوقي في شرق آسيا الصغري . واستطاع المغامر الأرمني فيلاريتوس أن تقيم دولة في قيليقية (١٠٧٧ – ١٠٨٣م) وبسقوط دولته خضع سهل قيليقية لسلطة السلاجقة . ومع ذلك تمكن بعض حكام الأرمن من المحافظة علي استقلالهم وساعدهم علي ذلك ماوقع بين السلاجقة من الشقاق والفرقة . وكان حكام الأرمن ارتباطهم بكنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية دون الكنيسة الأرمينية اليعقوبية ، الأمر الذي باعد بينهم وبين مواطنيهم . فكانوا كارهين للتبعية البيزنطية وأيضاً للخضوع لسلطة السلاجقة . وهذا ماساعد الصليبيين علي الاستيلاء علي مدينة الرها ومدن =

= قيليقية الأرمينية . وعن أحوال هذه المنطقة . انظر : Runciman, A History of The Crusades, vol. 1 , pp. 195 , FF. 277.

راجع أيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٦٦ - ١٦٨.

(الترجمة العربية).

(٣٧) كان غالبية قاطني أرمينيا الصغرى من الأرمن . انظر : Hagenmeyer, Gesta, p. 227 , Fn. 6.

حيث يقدم مناقشة للآراء التي أثيرت حول شخصية سمعان الأرميني . وقد وصل الصليبيون إلي الحصن في ٢٥ سبتمبر ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 185.

(٣٨) قيصرية : Kayseri من أعمال قبادوقيا ، وهي إقليم وسط الأناضول . ودخل الصليبيون إلي المنطقة قرب نهاية سبتمبر (من المحتمل في ٢٧ سبتمبر ١٠٩٧م) . انظر : H. Chr. 186.

(٣٩) وهذه المدينة هي كومانا Comana أو Placentia . وهي مهجورة الآن . وقد وصل الفرنج إليها في ٣ أكتوبر ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 188.

(٤٠) بطرس أوف أولبس : فارس بروفنسالي ، كان في خدمة روبرت جويسكارد وبعد ذلك دخل في خدمة ألكسيس كومنين . ويري رنسيمان أن اختيار بطرس حاكماً للمدينة جاء بناء علي رغبة تاتيكيوس . انظر : Runciman, 1951, p. 191.

(٤١) وعن القسم الذي أداه بطرس ، انظر : Bréhier, Gesta, p. 61, Fn. 8.

- يدل هذا التفاهم بين تاتيكيوس وصليبيي الحملة الأولي حول اختيار حاكم لمدينة كومانا أن الطرفين كانا لايزالان في تعاون من أجل تنفيذ المعاهدة التي عقداها في القسطنطينية . وقبل أن يقلع الفرنج عن خرق بنودها حيث استأثر بوهيمند النورماندي بأنطاكية ولم يرتبط بالاتفاقية ويعيد أنطاكية =

= للإمبراطور . وربما كان حرص الفرنج علي إعادة كل ما كان بأيدي السلاجقة من أملاك بيزنطية في آسيا الصغري ، هو شعورهم بأنه من الصعب الإبقاء علي مايمكنهم الإستيلاء عليه في هذه المنطقة دون إعادته إلي الإمبراطور لقرب آسيا الصغري من أملاك ألكسيس . ووقوع هذه الأملاك - إذا مااستولوا عليها - بين عدوين هما السلاجقة والبيزنطيين خاصة وأن مدن آسيا الصغري لاتتمتع بحصانة مثل حصانة أنطاكية .

(الترجمة العربية).

(٤٢) كوكسون Coxon (Gokșun) : مدينة كان يقطنها الأرمن . وقد وصل إليها الصليبيون في ٦/٥ أكتوبر ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 190.

(٤٣) بطرس ، فيكونت كاستيون ، من المحتمل أنه من جنوب فرنسا . وتقع كاستيون إلي الجنوب من جنوب غرب تولوز . انظر :

Hagenmeyer, Gesta, p. 232 , Fn. 26.

وبطرس أوف روييه Roaix (Vaucluse) من روييه في جنوب فرنسا بالقرب من أفينون Avignon . وبطرس ريموند هوتبول (Alto Pullo) كان تابعاً لكونت صنجيل . وكانت قلعته بالقرب من ناربون وكاركاسون . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 52. وقد استخدم المؤرخون الحديثون مناورة ريموند كونت صنجيل لاتهامه بالرغبة في الاستئثار بأنطاكية لنفسه . انظر كتابنا : Raymond IV , pp. 64 , 65. وقد أرسل ريموند قواته في ٧ أكتوبر ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 191. واحدي مخطوطات توديبود تقرر أن الفيكونت قد عاد وفي يده رمحاً معلق به شفاه وأنوف الترك .

- لايري ستيفن رنيسمان أن مناورة كونت تولوز كان يراد منها أن يكون الكونت =

= سيداً علي أنطاكية ، بل ليكون له قصب السبق في المجد والغنيمة . انظر :
Runciman, vol. 1 , p. 192.

(الترجمة العربية) .

(٤٤) الروج Rogia : واد إلي الشرق من أنطاكية ، علي الطريق إلي حلب .

(٤٥) يعتقد بريبه أن روسا Rusa هي رويحا الحالية . انظر :
Bréhier,Gesta,p.63,Fn.10.

(٤٦) ومن المحتمل أن يكون الجبل الجهنمي هو جزء من سلسلة جبال طوروس .
انظر : Runciman , 1951 , p. 192 .

ووصف مأزق الصليبيين مطابق لأسلوب كاهن وعن كلمات " يلوي يديه " و "الغم"
انظر : حزقيال (٢١ : ١٧) ؛ يوحنا (١٦ : ٢٠) . وهذه مجرد أمثلة .

(٤٧) كانت العملة المميزة والوحيدة المتداولة في العالم المسيحي اللاتيني في العصور الوسطي هي البنس . وفي البداية كان البنس عملة فضية خالصة تزن مابين جرام وجرامين من الفضة في شكلها النمطي ، كما سكّت لأول مرة في عهد شارلمان في القارة الأوروبية ، وفي عهد الملك أوفا Offa في انجلترا. والاسم اللاتيني للبنس هو الديناريوس Denarius . وكان الشلن الانجليزي حتي نهاية القرن ١٢م يساوي ٢٠ بنساً ، بينما كان الجنيه الانجليزي Libra يساوي مائة بنس . انظر : Martin Jessop Price,
Coins An Illustrated Survey (650 B.C. to the Present day),
London , 1960, p. 143.

راجع أيضاً : حسين عطية : عُشر صلاح الدين وأصوله التاريخية في غرب أوربا ومملكة بيت المقدس الصليبية ، مجلة المؤرخ المصري ، يصدرها قسم التاريخ، بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد السادس ، ١٩٩١م ، ص ١٤٤ ، هامش رقم (٦٧) الذي ينتهي في ص ١٤٥ .

(الترجمة العربية).

(٤٨) كان الأرمن يسيطرون علي مرعش . وكان يحكمها ثاتول . وهو موظف إمبراطوري سابق . وقد وصل الجيش الصليبي إليها في ١٣ أكتوبر ١٠٩٧م. انظر : H. Chr. 194.

(٤٩) دخل الصليبيون وادي العاصي فيما بين ٢٠ ، ٢٢ أكتوبر ١٠٩٧م . انظر: H. Chr. 201 - 204.

(٥٠) هناك جدل حول كون بطرس أول أسقف لأنطاكية . انظر : Hagenmeyer, Gesta, p. 238. Fn. 56; Fulcher, ed. Fink . 1969, p. 93 , Fn. 3.

(٥١) الذي يعيش ويحكم مع الرب الثالوث (qui vivit et regenat) . انظر : Troper, p. 61; Psalter, Sunday at Prime prayer.

الفصل الرابع

بداية حصار أنطاكية

وحين اقتربنا من جسر الحديد ، وجد كشافونا ، أثناء قيامهم بعمليات الاستطلاع المعتادة ، جيشاً تركياً كبيراً جاء لنجدة أنطاكية وقد احتشد لقتالنا[١]. فاندفع رجالنا نحوهم جملة واحدة ودحروا أعداءهم بمهارة فائقة في معركة حاسمة [٢] . ولاذ البرابرة بالفرار وقد استبد بهم الذعر وتركوا خلفهم الكثيرين من قتلاهم في ساحة القتال . وبعد أن كتبت الغلبة لقواتنا علي الترك بعون الرب [٣] ، استولوا علي الكثير من الأسلاب والجياد والجمال والبغال والحمير المحملة بالحبوب والنبيذ . وبعد فترة وجيزة تحرك جيشنا الرئيسي وأقام معسكراً علي ضفاف النهر ، وسارع بوهيمند الماهر بصحبة أربعة آلاف من الفرسان في احتلال الموقع المواجه لبوابة أنطاكية لمنع أي شخص من اغتنام الفرصة ومحاولة الدخول أو الخروج من المدينة .

وفي اليوم التالي ، ٢١ أكتوبر ١٠٩٧ م ، وعندما انتصف النهار ، وصل الصليبيون قبالة أنطاكية وأحكموا حصارهم للمدينة من جهات ثلاث . حيث أعاق جبل شديد الإنحدار إتمام حصارها من الجهة الرابعة [٤] . وكان أعداؤنا من الترك داخل أنطاكية في شدة الفزع حتي أنهم لم يحاولوا التحرش بأي من رجالنا طيلة خمسة عشر يوماً . وعلي الفور إستكنا في الأقاليم المجاورة ، حيث عثرنا علي الكروم في كل مكان ، وحفراً ملآنة بالحبوب ، وكانت أشجار التفاح كثيرة الثمار التي حان قطافها . إلي جانب وفرة من الأغذية الصحية . وكان الأرمن والسريان ، رغم أن لهم زوجات داخل المدينة ، يعرجون إلي معسكرنا كل يوم تقريباً بعد أن يتركوا المدينة متظاهرين بالهرب . وكانوا يتفحصون أحوالنا في خبث ، ليعرفوا مدي قوتنا ويبلغون الأنطاكيين الملعونين بكل ما تقع عليه أعينهم . وبعد أن ألم

الترك بأحوالنا وعوروا خططنا ، بدأوا ينسلون تدريجياً من أنطاكية ليضايقوا حجاجنا في كل مكان ، ولم تقتصر هجماتهم الخاطفة علي جهة واحدة ، إنما قاموا بالهجوم علينا من جهة البحر ومن جهة الجبل (٥) .

وفي الإقليم المجاور كان هناك حصن حارم ، حيث يقيم كثيرون من أشد الأتراك جسارة ، لا أقول القليلون بل أقول الكثيرون ، الذين داوموا علي شن الغارات علي قواتنا (٦) . وبالفعل ، أصاب الحزن قادتنا حين تلقوا تقارير تفيد بأن الترك في جهات عديدة قد بتروا أعضاء من أجسام حجاجنا وقتلوا منهم كثيرين (٧) . وبعث قادتنا ببعض الفرسان الذين مشطوا الإقليم بعناية ، بحثاً عن الترك ، وبعد عثورهم عليهم إقترب منهم رجالنا وهاجموهم . إلا أنهم بدأوا في الإنسحاب تدريجياً إلي المكان الذي يعرفون أن بوهيمند يكمن فيه بقواته . وسرعان ما قتل الترك العديد من فرساننا ؛ وعندما وصلت أنباء ذلك إلي بوهيمند، ذلك المحارب المسيحي الصنديد ، خرج من كمينه مهاجماً الترك . ومهما يكن من أمر ، فقد تشجع الترك لقلة عدد رجالنا ، واشتبكوا معنا في القتال . وتمكن الصليبيون من قتل أعداد غفيرة من الأعداء ، واقتادوا الأسري أمام بوابة أنطاكية ، وضربوا أعناقهم لتكدير الأنطاكيين (٨) .

في ذلك الوقت ، تسلق بعض المحاصرين أحد الأبواب وأمطروا معسكر بوهيمند بوابل من السهام (٩) . وفي غضون ذلك أصيبت إمرأة بضربة سهم قاتلة . اجتمع بعد ذلك قادتنا وعقدوا مجلساً (١٠) ، وقالوا : " فلنشيد قلعة فوق قمة الجبل الذي يعلو معسكر بوهيمند ، وبذلك نبقي آمنين ولا نخشي هجمات الترك ". وبعد استكمال تشييد الحصن تناوب قادتنا حراسته .

وقبل حلول عيد الميلاد أخذت الحبوب وكل أنواع الميرة في النفاذ . إلا أننا كنا نخشي الابتعاد عن المعسكر ، ولم نعثر علي أي طعام في قري المسيحيين ،

ولم يجرؤ أحد علي البحث عن الكلأ في أراضي المسلمي دون اصطحاب فرقة كبيرة من الجيش . وفي النهاية ، عقد قادتنا مجلساً لتحديد الوسيلة التي ينظموا بها أمر القوم (١١) . وتقرر تعيين فرقة من الجيش تقوم بمهمة البحث عن الطعام بكل إجتهاد ، وتقوم بحماية الجيش الصليبي من كل جانب ، بينما تقوم فرقة أخري بمراقبة العدو عن كثب .

ثم بدأ بوهيمند الحديث قائلاً : " أيها السادة ، وأيها الفرسان الحكماء ، إذا وافقتم علي ما سأقترحه من خطط ووجدتموها ملائمة ، سأذهب أنا بصحبة كونت الفلاندر القدير " . وبعد احتفال مهيب بعيد الميلاد ، وفي يوم الإثنين ، ثاني أيام الأسبوع ، سار بوهيمند وكونت الفلاندر في صحبة عشرين ألفاً من الفرسان وثلاثة آلاف من الرجالة بسلام ودخلوا أراضي المسلمين (١٢) . وفي الحقيقة اجتمع حشد كبير من الترك والعرب ، والمسلمين من بيت المقدس ودمشق وحلب ومن أماكن أخري عديدة في الطريق لرفع الحصار الصليبي عن أنطاكية (١٣) . وحين علم الترك بخروج بوهيمند وكونت الفلاندر في حملة داخل أراضي المسلمين ، قاموا بوضع خطة للحرب ، واقتربوا عند بزوغ الفجر من جيشنا ، وهنا انقسموا إلي قسمين وحاولوا محاصرتنا من الأمام ومن الخلف .

أما كونت الفلاندر الشهير الذي كان في حماية الدين الصحيح وعلامة الصليب (١٤) ، الذي تصادف أنه كان يرتديها يومياً في إخلاص ، والذي كان في صحبة بوهيمند ، فقد انقض علي الترك الرعاع . وأحدقت قواتنا بالعدو بإحكام ، فلاذ الترك من فورهم بالفرار في فزع شديد ، تاركين وراءهم موتاهم في ساحة المعركة ، كما تركوا خيول كثيرة وكثير من الأسلاب التي سقطت في أيدينا . وسارع من نجا منهم بالفرار إلي الهلاك الأبدي (١٥) . وعدنا أدراجنا في احتفال ديني كبير ، نمدح ونمجد الثالوث الأقدس الذي يعيش ويحكم الآن وإلي الأبد . آمين (١٦) .

وأثناء ذلك ، عندما علم الترك بداخل أنطاكية ، أعداء الرب والمسيحية المقدسة ، بغياب السيد بوهيمند وكونت الفلاندر ، فقد تدفقوا خارجين من المدينة وسارعوا بمهاجمتنا بغرور . ولعلمهم بغياب بعض فرساننا المحنكين ، فقد استشكفوا نقاط الضعف الموجودة في قواتنا التي تحاصرهم ، واكتشفوا في يوم الثلاثاء أن بإمكانهم ضربنا ومقاومتنا (١٧) . واقترب منا الترك الملاعين خلسة ، وانقضوا علي المسيحيين الغافلين الأغبياء ، وقتلوا العديد من الفرسان والرجالة (١٨) . وفي هذا اليوم العصيب ، فقد أسقف كاتدرائية مريم المقدسة ، أسقف لي بويه ، نائبه ، حامل وحامي رايته (١٩) . وفي الحقيقة ، لو لم يكن النهر يتدفق ليفصل بيننا وبين الترك ، لوجهوا إلينا ضربات عديدة وأوقعوا بنا ضرراً بالغاً ، فقد هرع رجالنا فارين إلي المعسكر (٢٠) .

وعاد بوهيمند الحكيم مع جيشه من أراضي المسلمين وعرج إلي جبل تنكريـــد، اعتقاداً منه أنه ربما يصادف هناك ميرة يمكنه نقلها إلي المعسكر (٢١) . وطاف الجيش بالمنطقة بحثاً عن المؤن . ونجح بعض المحاربين ، وعاد البعض الآخر خالي الوفاض ، وأسرع هؤلاء بالعودة إلي المعسكر . وهنا جأر بوهيمند قائلاً : "يا أيها التعساء البؤساء ، أنتم يا أشد المسيحيين بؤساً وخيبة أمل ؛ لماذا رجعتم بمثل هذه السرعة ؟ توقفوا الآن ! قلت توقفوا ، حتي توحد قواتنا ؛ لا تشردوا كما تشرد الغنم دون راع (٢٢) . فإذا صادفكم الترك ، الذين يراقبونكم ويكمنون لكم ليل نهار علي أمل أن يقتلونكم أو يأسرونكم ، لو صادفوكم منعزلين عنا أو بمفردكم، فمن المؤكد أنهم سيعملون فيكم القتل لو تبعثرتم منسحبين أمامهم " .

وبعد الإنتهاء من حديثه ، أخذ هذا الحشد من الفرنج يتفكرون في الأمر في أخذ ورد . ووجد بوهيمند نفسه وحده تقريباً ، إلا أنه عاد بما أمكنه العثور عليه، إلي جيشه خالي الوفاض تقريباً (٢٣) . وفي نفس الوقت علم الأرمن والسريان واليونانيون أن قواتنا التي كانت تبحث عن الكلأ قد عادت خالية الوفاض . نتيجة

لذلك ، بعد أن عقدوا مجلساً ، قاموا بعبور الجبال والأماكن المألوفة لهم . وطافوا بالمناطق الريفية ، واشتروا الحبوب وغيرها من الأطعمة التي نقلوها إلي العسكر حيث حاقت المجاعة الشديدة بالمحاصرين (٢٤) . وباعوا حمولة الحمار بثمان hyperpoi ، التي تساوي مائة وعشرين صولديا بعملتنا . وبالرغم من وجود مثل هذا السوق فإن كثيراً من الصليبيين قد لقوا حتفهم لافتقارهم إلي الأموال لدفع مثل هذا الثمن الباهظ (٢٥) .

وتآمر وليم النجار (٢٦) ويطرس الناسك ، اللذان استبد بهما الحزن والبؤس معاً ، وهربا خلسة من المعسكر ، وبادر تنكريد باقتفاء أثرهما ، واعتقلهما ، وعاد بهما في خزي شديد . وأقسما علي أن يعودا إلي المعسكر طواعية واسترضاء كل السادة الصليبيين . وظل وليم الحقير ، طوال الليل في خيمة بوهيمند (٢٧) . وفي الصباح التالي ، مَثُلَ وليم مستحياً مخزياً أمام بوهيمند ، الذي خاطبه قائلاً : " يا أشد الفرنجة بؤساً وسمعة سيئة ، يا أكثر أهل غالة خزياً وخبثاً ، ويا أكثر من تحملهم الأرض خسّة ؛ لماذا تلوذ بالفرار بمهانة ؟ لعلك أردت بهذا التصرف المشين أن تخون فرسان وجيش المسيح هذا كما خنت آخرين في أسبانيا " (٢٨) .

واستقبل وليم كل السباب صامتاً (٢٩) ولم ينطق بكلمة واحدة . والتمس الفرنج جميعاً (٣٠) ، بخشوع ، من بوهيمند (٣١) ، الفارس المسيحي ، أن يكف عن معاقبة هذا الهارب . ورد بوهيمند : " نزولاً علي رغباتكم ، وسأوافق طوعاً بدافع من حبي الأخوي لكم علي ذلك شريطة أن يقسم وليم يميناً من كل قلبه (٣٢) علي أن يلازم الرحلة إلي القبر المقدس في السراء والضراء ، كما أن تنكريد سيوافق علي ألا يصيبه بمكروه هو أو زملاؤه (٣٣) .

وخضع وليم من فوره لهذه الشروط ، وعلي الفور تركه بوهيمند لحال سبيله . إلا أن وليم قد انسل خلسة من الحصار (٣٤) وقد أحبط من شدة إذلاله . وهكذا

، نشر الرب الفقر والبؤس في صفوفنا ، بسبب خطايانا . فلم يتوفر في الجيش الصليبي كله ألف فارس لديهم خيول حرب [٣٥] .

وعند بدء الحملة الصليبية ، أناب الإمبراطور ألكسيوس قائده تاتيكيوس ، بصحبة فرسان أغنياء ونبلاء من جيشه ، ليقودوا مسيرة الفرنج بأمان وليستردوا بولاء الأراضي التي استولي عليها الترك [٣٦] . والآن ، عندما بلغ تاتيكيوس نبأ هزيمة الترك لقواتنا ، رثا الحال ، لاعتقاده أن الجميع قد سقطوا قتلي أو وقعوا في أسر الوثنيين . فاختلق وافتعل كل الأكاذيب الممكنة وخاطب اللاتين قائلاً : "أيهـا السادة والرجال المتمرسون ، لابد أنكم تدركون أننا نمر بظروف شنيعة ولانتوقع أية مساعدة . فكروا في هذا ؛ دعوني أعود إلي بيزنطة ، ودون أدني شك سأعود إليكم [٣٧] . في الحقيقة ، سأحاول تدبير العديد من السفن لنا محملة بالحنطة والنبيذ والزيت واللحم ، والدقيق ، والجبن ، وغيرها من الضروريات . وسأقيم سوقاً للخيول ، وسأسارع بإرسال السلع من كل أرجاء بلاد الإمبراطور . وافهموا أنني سأقسم علي الإيفاء بهذه الوعود وستبقي في هذا المكان خيمتي وكل متعلقاتي ، ولايرتاب أحدكم في ذلك ، بل ثقوا تماماً أنني سأعود قريباً " . ورحل عدونا تاركاً كل متاعه في المعسكر وحنث بيمينه للأبد [٣٨] .

وهكذا ، استبد بنا اليأس لأن الترك ضيقوا علينا الخناق في كل مكان ، ولم تتوفر الشجاعة لأحد ليترك المعسكر ، فقد كان خوفنا من العدو شديداً . فقد حاقوا بنا من جانب ، ولم يلبثوا أن ضيقوا علينا الخناق من جانب آخر حتي استبد بنا الحزن وشرود الذهن .

وكان قادتنا في فزع شديد . وقد حرمنا تماماً من كل مساعدة أو نجدة[٣٩] . وهكذا هرب البسطاء منا والفقراء إلي جزيرة قبرص ، أو إلي آسيا الصغري أو إلي

المناطق الجبلية [٤٠] . ولم نجرؤ علي الذهاب ناحية البحر خوفاً من الترك الأشرار ، فلم تكن الطرق آمنة .

وعندما علم قادتنا باقتراب جيش من الترك ، عقدوا مجلساً [٤١] ، وناقشوا الأمر علي النحو التالي : " فلنواجه الأمر . فإن جيشاً تركياً مدعماً سيهاجمنا . وماذا نحن فاعلون ؟ وقد بلغ بنا الضعف حداً لانستطيع معه أن نقاتل في جبهتين . ولكن في إمكاننا أن نقسّم قواتنا إلي جزئين ، الأول يضم الرجالة ويقوم بحراسة المعسكر عن كثب وأن يوقف زحف أتراك أنطاكية . والثاني يضم الفرسان ويقوم بالهجوم فوراً علي العدو الموجوه في الخلاء بالقرب من قلعة حارم فيما وراء جسر العاصي " [٤٢] .

وعندما حل المساء خرج قادتنا من خيامهم عبر النهر وعقدوا مجلساً أعلن الآتي : " سنواجه خمسة وعشرين ألفاً من أعدائنا . وسيبقي كل من أدهيمار وروبرت النورماندي والكونت إيوستاس لحراسة المعسكر من خطر المحاصرين داخل أنطاكية " [٤٣] .

وعند بزوغ الفجر بعثوا بالكشافة لملاحظة الجيش التركي وتحديد مكان الأتراك وللتأكد مما يقومون به . وانسلت هذه الدورية وبدأت في البحث والتقصي بعناية عن مكان إختباء الأعداء . وشاهدوا الترك المنتشرون قادمين من ناحية النهر في مجموعتين بكامل قوتهم في المؤخرة . وصاحوا مندفعين نحونا : " هاهم قادمون ! استعدوا ! استعدوا . فقد وصل الأتراك تقريباً " [٤٤] .

وانتشرت قواتنا واتخذ كل قائد تشكيل القتال . وتشكلت ثلاثة صفوف ، خمسة منها ، في المقدمة مع كونت الفلاندر ، اندفعت نحو الأتراك [٤٥] . وفي المؤخرة ، في نفس الوقت ، تقدم بوهيمند ببطء بصحبة رجاله . وهكذا إمتلك

رجالنا عنصر المبادءة ، وتلي ذلك اشتباك عنيف (٤٦) . ودوي صوت صليل السيوف في عنان السماء واظلمت الدنيا بوابل من السهام (٤٧) . وبعد هذه الاشتباكات التمهيدية ، شنّ الجزء الرئيسي من جيش الترك ، الذي كان يشكل إحتياطي قواتهم في المؤخرة ، شن هجوماً عنيفاً علينا ، وأجبرنا علي التراجع ببطء .

ولما أصاب الحزن بوهيمند وهو يشاهد تراجعنا ، أمر كندسطبله روبرت ابن جيرار ، بصرامة قائلاً : " تذكر الحكمة القديمة ، وشجاعة أسلافك ، وقبل كل شئ ، كيف كانوا يقاتلون ، تقدم ، متسلحاً بالصليب ، مثل أشجع المحاربين المسيحيين ، ومثل أكثر الجند حكمة وخبرة ، وجه ضرباتك نحو العدو حاملاً راية بوهيمند"(٤٨) .

وعند رؤية القسم الثاني من جيش الصليبيين عَلَمْ بوهيمند محمولاً بوفاء ، انقضوا علي الأعداء دفعة واحدة . وكانت عدة الصليبيين سبعمائة مقاتل بينما بلغ عدد الترك خمسة وعشرين ألفاً (٤٩) . وصُعق الوثنيون من تغير الأحداث ، فتشتت صفوفهم ، وولوا الأدبار ، ليقتفي المسيحيون آثارهم ويدحروهم ويدمروهم حتي جسر العاصي . وعاد الترك إلي حصن حارم مسرعين ، وحملوا كل ماتقع عليه أعينهم من مؤن ، ونهبوا الحصن وأشعلوا فيه النيران ، ونكصوا هاربين . وما أن علم الأرمن والسريان واليونانيون بالكارثة التي حلت بالترك حتي تعقبوهم وكمنوا لهم وتخطفوا وقتلوا منهم الكثيرين . وبرضاء الرب في ذلك اليوم ، انكسر خاطر أعدائنا .

واسترد الصليبيون عدد كاف من الخيول والضروريات الأخري . وعادوا بالأسري ، حاملين مائة من رؤوس القتلي من الأتراك أمام بوابة أنطاكية ، حيث كان مبعوثو أمير مصر ، الذين أرسلهم إلي كونت صنجيل وإلي السادة الآخرين ،

يقيمون في المعسكر [٥٠] . أثناء ذلك ، كان المسيحيون الذين بقوا في المعسكر يقاتلون الترك - كل يوم - أمام ثلاثة أبواب من أبواب المدينة . وقد وقعت المعركة المذكورة آنفاً في يوم الثلاثاء قبل أربعاء الرماد ، التاسع من فبراير ، ببركة سيدنا عيسى المسيح ، الذي يعيش ويحكم مع الآب والروح القدس إلي الأبد[٥١]. آمين .

هوامش الفصل الرابع

(١) باب الحديد Portum Ferreum تشير إلي نهر العاصي . ويربط البرت دكس بين كلمة Far وكلمة Fer بفكرة الحديد . انظر : Bréhier, Gesta, p. 66, n.1.

- يبدأ توديبود عبارته بقوله : " عندما اقتربنا من نهر العاصي Far Far " بينما يبدأ مؤلف الجستا عبارته بقوله " عندما اقتربنا من جسر الحديد ad pontem Farreum " . انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 28.

راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٩ .

وقد أطلق المؤرخون اللاتين علي نهر العاصي أسماء منها الأورنت Orontes أو Ferrius أو Far أو Far Far أو Pharpar . انظر : Runciman, A History , vol. 1 , p . 216 , Fn. 2.

ويسمي النهر " بالعاصي " لأن أغلب الأنهار تتجه إلي الجنوب وهذا يتجه إلي الشمال . ومنبعه عند بعلبك ، ويصب في البحر المتوسط عند السويدية غربي أنطاكية . انظر : القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ١٤ جزء ، القاهرة ١٩١٣م ، جـ ٤ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(الترجمة العربية) .

(٢) يستخدم المؤلف فكرة بولس عن الهجوم جملة واحدة ليعبر عن توحيد الهجوم. انظر : رسالة بولس إلي أهل أفسس (١٠ - ١٨) .

(٣) " بعون الرب " (adjuvante) عبارة شائعة في صلوات الكنيسة . انظر : Missal, 4th Sunday after Epiphany, Prayer.

(٤) عن الجدل حول الجبل انظر : Hagenmeyer, Gesta.

وكان يحمي أنطاكية أربعمائة برجاً . وكانت بوابة القديس بولس المواجهة لحلب ، وبوابة القديس جورج المواجهة للاذقية ، وبوابة الجسر المواجهة لميناء السويدية هي المداخل الرئيسية لأنطاكية ، وقد اندهش ريموندا جيل عندما رأي التحصينات لدرجة أنه كتب أن أنطاكية " لايمكن أن تخشي هجوم الآلات ولا هجمة الإنسان عليها إذا اجتمع علي حصارها الجنس البشري كله". انظر : Raymond d'Aguilers, p. 31.

- ذهل كافة الصليبيون - وليس ريموندا جيل وحده - عندما شاهدوا مدينة أنطاكية . فهي قصبة إقليم العواصم وحاضرته ، بينها وبين حلب من جهة الشرق مسيرة يومين ، وبينها وبين شاطئ البحر من جهة الغرب حوالي ستة أميال . والمدينة تحتل سهلاً طوله ثلاثة أميال ، تحيط به استحكامات طبيعية تتمثل في جبل اللكام شرقاً ، ونهر العاصي غرباً . وهي علي شكل نصف دائرة قطرها متصل بالجبل ، والأسوار تصعد مع الجبل لتتم دائرة يبلغ طولها أثني عشر ميلاً يمكن اجتيازها عن طريق عدة أبواب تؤدي إلي الطرق الموصلة إلي حلب شرقاً وإلي ميناء اللاذقية غرباً وإلي ميناء الإسكندرونة وميناء السويدية شمالاً . وهكذا توفرت الحصانة لمدينة أنطاكية ذات الأسوار القوية بأبراجها العالية حتي أثارت كل من رآها وطمع فيها . ووقفت حائلاً بينه وبين اختراقها . هذا إلي جانب وجودها في الوادي بين النهر والجبل . فأصبحت صعبة المنال سواء براً أو عن طريق البحر . كما تميزت أنطاكية أيضاً بموقع جغرافي هام ، حيث تقع في ملتقي طرق التجارة في العصور الوسطي . وإلي جانب ذلك فقد كان ميناء السويدية هو السلم البحري للمدينة ، والذي زاد من أهميتها السياسية والتجارية ، خاصة في مستهل الحملة الصليبية الأولي حيث رست فيه الأساطيل الغربية وكان =

= وسيلة الفرنج للإتصال بغرب أوربا . كما كان لأنطاكية أهمية دينية حيث استقبلت بطرس الحواري كأول أسقف لها .

ومن الملاحظ أن فتح أنطاكية علي أيدي السلاجقة في عام ١٠٨٥م ، ثم علي أيدي الصليبيين ١٠٩٨م لم يتم إلا عن طريق الخيانة من داخل المدينة. حتي أن صلاح الدين الأيوبي في أوج قوته وجد أن أمرها يطول . ولم تسقط المدينة بالسيف إلا في عهد الظاهر بيبرس المملوكي في الوقت الذي لم يكن بداخلها من يدافع عنها ، كل ذلك بسبب التحصينات الهائلة التي أحاطت بالمدينة . وللمزيد عن طبوغرافية أنطاكية وأهميتها الاستراتيجية والدينية والاقتصادية ، أنظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، الأسكندرية ، ١٩٨٩م ، ص ١٠٦ - ١٠٩ .

(الترجمة العربية) .

(٥) يعطينا نص الجستا الذي نشره بونجارز كما يعطينا توديبود قراءات لاتوجد في بعض مخطوطات الجستا . ويشرح بربيه ، الذي يعتقد في وجود نص أصلي ونقي ، هذه الإختلافات بالأخذ بأن هذه الإضافات ماهي إلا عملية إقحام علي النص . انظر : Bréhier, Gesta, p. xxxix.

(٦) أطلق المؤرخون اسم حارم Aregh علي الحصن . وهو يقع علي بعد ثمانية أميال من أنطاكية .

- تقع حارم علي بعد ١٦ ميلاً من أنطاكية من جهة الشرق كما جاء في معجم البلدان . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان - ٤ جـ وفهرس ، ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠م ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ .

وكانت حامية حارم تقوم بغارات مفاجئة علي الفرنج الذين كانوا يتوغلون بعيداً عن المعسكر الصليبي بحثاً عن الكلأ والطعام مما كلف الفرنج الكثير من =

= الأرواح والعتاد . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٨٦ . (الترجمة العربية) .

(٧) عقبت كل نصوص الجستا علي حقيقة أن القادة قد حزنوا (nimis dolverent) ، لكنها لاتقرر - كما فعل توديبود - أن الترك قد بتروا أعضاء من أجساد الفرنج وقتلوهم . وتجعل الجستا القادة وقد نال منهم الحزن لأن الترك " اعتادوا علي مهاجمة رجالنا (Frequenter conturbabant nostros) . وفي هذه الحالة تكون نسخة توديبود أكثر مصداقية في أن بتر أعضاء الجسد . وقتل الفرنج قد سببا الحزن . انظر : Bréhier, Gesta , p. 68 .

(٨) يقرر مؤلف الجستا أن الترك قد قتلوا فارسين . بينما يقرر توديبود أنهم قتلوا الكثيرين من الفرسان . انظر : . Bréhier, Gesta, p. 68

وقد وقع الهجوم المضاد في ١٨ نوفمبر ١٠٩٧م . انظر : . H. Chr. 211

- إلي جانب غارات حامية حارم ، فقد تعرّض الفرنج لغارات الترك الذين خرجوا من الأبواب السرية لأنطاكية لمهاجمة الفرنج الذين خرجوا بحثاً عن الطعام عندما بدأت المؤن في النفاذ . وخرج بوهيمند لملاقاة حامية حارم بناء علي طلب بقية الصليبيين علي رأس مائة وخمسين فارساً فقط . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨م ، ص ١٣٤ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ جـ ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥٨م ، جـ ٢ ، ص ١٣١ . راجع أيضاً : Anselm of Ribmont, Letter, no. xv, in Epistolae, ed. Hagenmeyer, pp. 158 - 159.

(الترجمة العربية) .

(٩) يقرر توديبود أن الترك تسلقوا إحدي البوابات ، بينما تذكر إحدي مخطوطاته أن الترك قد ارتقوا جبلاً . ويذكر ريموندا جيل أن الترك كانوا يمطرون الفرنج بالسهام من أعلي جبلهم . ويتفق مؤلف الجستا مع توديبود علي أن الترك قد اعتلوا البوابات . انظر : Liber, p. 50' Bréhier, Gesta, p. 70.

- راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥١ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٨٧. وأيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 29. (الترجمة العربية).

(١٠) يطلق مؤلف الجستا علي القلعة اسم Maregart . ولايطلق عليها توديبود أي اسم . وتعتقد روزالين هيل أن هذا الاسم ماهو إلا تعبير عامي يعني المظهر السيئ . انظر : Bréhier, Gesta, p. 70; Gesta, ed. R. Hill, 1962, p. 30 .

وقد اجتمع القادة في ٢٣ نوفمبر ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 212 .

(١١) يبدو أن بربيه يعتقد أنه كان من المستغرب أن يضع قادة الصليبيين خطة مشتركة . انظر : Bréhier, Gesta , p. 71 , Fn. 5 , See our article : Hill and Hill, 1954.

وكان جودفري مريضاً ، وروبرت النورماندي متغيباً ، وقام أدهيمار وريموند علي حراسة المعسكر . ويجعل ريموندا جيل الصليبيين يدخلون هسبانيا Hispania وهي أرض الوثنيين . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 3.

وقد اجتمع مجلس القادة في ٢٣ ديسمبر ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 219.

وقد تحركت الحملة في ٢٨ ديسمبر ١٠٩٧م إلي أول يناير ١٠٩٨م . انظر : H.Chr. 219.

- فيما يخص استعمال ريموندا جيل لكلمة Hispania ليعبر بها عن بلاد الوثنيين فإن ذلك يوحي بأن ناسخ مخطوط ريموندا جيل من سكان جنوب فرنسا. وقد اعتاد هذا الناسخ علي أن يري الفرسان يعبرون جبال البرانس لقتال مسلمي أسبانيا . كما نري ريموندا جيل في عدة مواضع يستخدم كلمة Chorazan للتعبير عن بلاد الوثنيين أيضاً . وهي إحدي المدن التي لعنها المسيح لإقامة المسيح الدجال فيها . ومن الواضح أن هذا الاسم يشير إلي إقليم خراسان بشمال فارس وهو الإقليم الذي جلب منه ملك حلب تعزيزاته السلجوقية . انظر : J. Richard, Raymond d'Aguilers Historien de La Premiére Croisad, in J. S. 1971 , p. 207.

(الترجمة العربية).

(١٢) يحدد توديبود عدد القوات التي خرجت بصحبة بوهيمند وكونت الفلاندرز بعشرين ألف فارس وثلاثة آلاف من المشاة . ويحدد الجستا عددهم بعشرين ألف فارس وراجل . انظر : . Bréhier, Gesta , p. 72

- لم يحدد ريموندا جيل عدد هذه القوات . وقد حدد ابن القلانسي عددها بثلاثين ألف مقاتل وأيده في ذلك ابن العديم . ويبدو أن العدد الذي حدده مؤلف الجستا هو الأقرب إلي الصحة .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٨٨ ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٣ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٣١ .

راجع أيضاً : F. Chalandon, Histoire de la Premiere Croisade, Paris, 1925, p. 187.

(الترجمة العربية).

(١٣) طلب شمس الدولة ابن ياغي سيان حاكم أنطاكية المساعدة من دقاق حاكم =

= دمشق السلجوقي وطغتكين أتابك دمشق . وجاء وصف ريموندا جيل ، الراهب ، للقتال ، أفضل من وصف مؤلف الجستا . ومن الغريب ، إذا كان مؤلف الجستا ، وهو فارس نورماندي ، أن يغفل مثل هذه المعركة الهامة كوسيلة لتمجيد بوهيمند .

- في الحقيقة جاء وصف ريموندا جيل للمعركة بين سلاجقة دمشق والفرنج بقيادة بوهيمند وكونت الفلاندرز أكثر إسهاباً من الوصف الذي أورده كل من مؤلف الجستا وتوديبود معاً . مع أنه من المفروض أن كلا منهما قد شارك في هذه المعركة فكلاهما يختتم روايته عنها بقوله : " أما نحن فقد عدنا مسرورين نسبح ونمجد الرب ... " .

وربما يوحي ذلك بأنهما نقلا روايتيهما عن مصدر تاريخي مشترك ، لم تتوفر المعلومات الكافية لكاتبه . إلا أننا إذا تمعنا في رواية ريموندا جيل نجد أنه علي الرغم من كونه يثني علي الفرنج بصفة عامة في قتالهم لسلاجقة دمشق ويشبه انتصارهم بانتصار المقابيين علي قوات أنطيوخوس ، إلا أنه يرجع الفضل في التصدي للمسلمين إلي كونت الفلاندرز دون بوهيمند ، وقد أسهب في الحديث عن صمود كونت الفلاندرز أمام هجمات المسلمين حتي أدركه بوهيمند بقواته في النهاية . وربما لم يكن في مقدور مؤلف الجستا وتوديبود - أو ربما من نقلا عنه وراويتيهما - المغالطة في هذه المعلومات التي سرعان ماستصل إلي سائر الفرنج خارج أسوار أنطاكية ، فجاءت روايتيهما مختصرة .

أما عن الجانب الإسلامي ، فقد كانت هذه المعركة هي أول رد فعل إسلامي للوجود الصليبي في بلاد الشام ، وقد جاءت بعد ثلاثة أشهر من قدوم الفرنج إلي المنطقة ، مما يوضح إنشغال حكام الشرق الأدني الإسلامي آنذاك بمصالحهم الشخصية دون الصالح الإسلامي العام . فجاءت ردود الفعل الإسلامية إما =

= متأخرة ، وإما ضعيفة ، وإما تتسم بالجهل بطبيعة الحركة الصليبية. ودل تصرف دقاق الذي عاد إلي دمشق فور إنسحاب الفرنج إلي معسكرهم خارج أنطاكية علي عدم صدق النية في الجهاد ضد الصليبيين . فلو كان تتبعهم نحو أنطاكية لكانت فرصته في النصر أكيدة لتفاقم المجاعة بين صفوف الفرنج ، ولإضطرارهم لقتاله وقتال قوات ياغي سيان في وقت واحد ، وقد انحطت روحهم المعنوية ، مما أدي إلي هروب قادتهم مثل كونت بلوا وغيره ، إلي جانب رحيل القائد البيزنطي تاتيكيوس بعد ذلك .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٩٠ - ٩١ .

راجع أيضاً : Albert d'Aix, p. 374.

وقد وقعت المعركة عند قرية البارة في جنوب شرق أنطاكية في ٣١ ديسمبر ١٠٩٧م ، ١٦ محرم ٤٩٢ هـ . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٣١ .

(الترجمة العربية) .

(١٤) فكرة التسلح برموز الإيمان فكرة كنسية . وارتداء الصليب فوق السلاح أصبح رمزاً للعقيدة الصليبية . انظر : رسالة بولس إلي أهل أفسس (٦ : ١١ ، ١٥ - ١٧) .

(١٥) الطريق إلي الجحيم (الهلاك Perditionis) . انظر : متي ، ٧ : ١٣.

(١٦) Troper, p. 61.

(١٧) وقع الهجوم في ٢٩ ديسمبر ١٠٩٧م . انظر : H. Chr. 220 .

- وضمير المتكلم هنا " واكتشفوا في يوم الثلاثاء أنه في إمكانهم ضربنا ومقاومتنا" يدل علي أن توديبود كان مشاركاً في هذه الحملة التي خرجت بحثاً عن المؤن . (الترجمة العربية) .

(١٨) يستعمل توديبود كلمة Pedones بمعني " الرجّالة " . ويستعملها مؤلف الجستا في بعض الأحيان ، ولكنه في هذه المناسبة يستخدم كلمة Peditibus . ويعتقد جافيجان أن كلمة Pedones كلمة إيطالية تشير إلي مسقط رزس مؤلف الجستا . ويجهل حقيقة أن مؤلف الجستا لايستمر في استخدامه لكلمة Pedones .

انظر : Gavigan, 1943 : p. 11 ; Bréhier, Gesta , p. 74 .

- راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥٢ ، حاشية رقم (٢) .

وأيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill , pp. 30 , 32 .

(الترجمة العربية) .

(١٩) يقدم لنا توديبود اسم " مريم المقدسة " . ولا تعطينا مخطوطات الجستا هذه المعلومة ، وتستخدم فقط " لي بويه " . واسم نائب أدهيمار غير معروف .

انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 32 .

راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥٤ .

(الترجمة العربية) .

(٢٠) هرب الصليبيون عبر كوبري من القوارب .

(٢١) يوضح استخدام توديبود لتعبير " جبل تنكريد " أن المؤلف كان يكتب بعد وقوع الحدث نفسه بفترة . فقد تسلم تنكريد قلعة الجبل ليقوم علي حراستها بعد ذلك بعدة أشهر . واستخدام مؤلف الجستا لهذا التعبير يثبت أن فكرة مذكرات يومية وضعها فارس نورماندي هي فكرة لم تكن صائبة علي طول الخط . انظر : Bréhier, Gesta , p. 74 .

- انتهي الصليبيون من تشييد هذا الحصن وسلموه لتنكريد في شهر أبريل =

= ١٠٩٨م ، أي بعد أربعة أشهر من وقوع مايرويه توديبود من أحداث هنا .
انظر ماسيتقدم ص ١٧١ ، حاشية رقم (٢٢) ، من الفصل الخامس .

(٢٢) يستخدم حديث بوهيمند اقتباسات كنسية مثل خراف تضل دون راع لها
"Sicut oves habentes pastorem" . انظر : Bréhier, Gesta, p.76
أنظر أيضاً : مرقس ، ٦ : ٣٤ .

(٢٣) تطابق رواية عودة الصليبيين خاليي الوفاض ماورد عند ريموندا جيل .
انظر : Liber, p. 53.

(٢٤) وصف ريموندا جيل كذلك المجاعة . انظر : Liber, p. 53 .

(٢٥) لمناقشة قيمة العملة Hyperperos انظر : Hagenmeyer, Gesta, p. 257.Fn. 20.

وكانت تساوي خمسة عشر صولديا من العملة الرومانية القديمة (الديناريوس Denarius) في غرب أوربا كما أشارت هذه الرواية . وكان التبن حسب رواية ريموندا جيل مرتفع الثمن . فلم تكن سبعة أو ثمانية صولديات تكفي لشراء كمية من الحبوب لإطعام حصان واحد لليلة واحدة . وهذا الرقم يبين كيف أن علف الجياد كان يمثل واحدة من المشاكل التي واجهت الصليبيين .

(٢٦) وليم النجار هوفيكونت ميلون Melun وجاتينيه Gatenais . وكان من أقارب هيو فيرماندوا . وصحب جيش جودفري . وقد وقعت حادثة الهروب في ٢ يناير . انظر : H. Chr. 229 .

(٢٧) تختلف هنا مخطوطات توديبود عن الجستا . ولايوضح أي من النصين كيفية معاملة بطرس الناسك . لكنهما يجعلان من وليم إنساناً حقيراً .

- يري رنسيمان أنه قد تقرر العفو سراً عن بطرس الناسك حيث كان من الخير =

= المحافظة علي شهرته وسمعته . انظر : Runciman, A History , vol.1,p. 223.

(الترجمة العربية) .

(٢٨) هذه الفقرة هي طبق الأصل مما نطلق عليه القصَصْ الكنسي . فالعبارات الواردة فيها كنسية . " أكثر أهل غالة خسّة Scelus gallorum provincia " . انظر : Hymn. Matins , Nativity of St. John the Baptist, office, June 24;

وعن عبارة : " الأرض تعاني Terra suffert " انظر : الرسالة الأولي إلي أهل كورنثوس ، ١٣ : ٧ . وعن عبارة يا أكثر خسة O. nequissime ، انظر : الرسالة إلي أهل أفسس ، ٦ : ١٦ . وقد هرب وليم وتخلي عن حملة في أسبانيا حسب ماذكره جيبرت أوف نوجنت . انظر : Nogent, in R.H.C.Occ., 4 : p. 174 .

انظر : Liber, p. 13 and Fn. 1 .

(٢٩) كان وليم في أفضل الروايات عنه صامتاً . " ولم ينطق بكلمة واحدة et nullus sermo ex eius ore processit " انظر : لوقا ، ٤ : ٢٢ .

- وهو تعبير ورد في إنجيل متي . انظر : متي ، ٤ : ٤ . انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill , p. 34 , Fn. 2.

(الترجمة العربية) .

(٣٠) يعتقد بريبه أن كلمة Francigenae تشير إلي مواطني شمال فرنسا .

انظر : Bréhier, Gesta, p. 78 , Fn. 2 ; Raymond d'Aguilers, p. 34.

- تتفق روزالين هيل مع بريبه في تفسيره لمعني هذه الكلمة . =

= انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 34, Fn. 3 .

(الترجمة العربية) .

(٣١) يروي مؤلف الجستا أن بوهيمند تميز بسماحة رصينة . انظر : Bréhier,p.78.

- نفس العبارة وردت في نسخة روزالين هيل :

" وقد قبل طلبهم دون غضب Annuit ille sereno vultu " ولم ترد هذه العبارة في ترجمة الدكتور حسن حبشي مع أنها تقوم أساساً علي نسخة بريبه . كما لم تظهر في نسخة توديبود التي بين أيدينا الآن . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥٥ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 34 .

(الترجمة العربية) .

(٣٢) عن عبارة " من كل قلبه " (toto corde) . انظر : متي (٢٢ : ٣٧).

- وردت نفس العبارة في الجستا " من كل قلبه وعقله toto corde et mente ".

انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 34 .

وقد ترجمها الدكتور حسن حبشي " يميناً خالصاً " . ولم أشأ أن أتصرف في ترجمتها حفاظاً علي تعبير المؤلف وروح النص .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥٥ .

(الترجمة العربية) .

(٣٣) وعد تنكريد بعدم إيذاء وليم (mali facere) . انظر : الرسالة الأولي إلي أهل كورنثوس (١٣ : ٥) .

(٣٤) من المفروض أن وليم قد عاد إلي الشرق في حملة عام ١١٠١ م . انظر :
Hagenmeyer, Gesta, pp . 260 - 261 . Fn. 17.

(٣٥) يعطينا ريموندا جيل رقما مشابهاً ويقرر أن عدد خيول البروفنساليين بلغت المائة حصان . انظر : Raymond Aguilers, p. 37.

- يذكر ريموندا جيل أن خيول البروفنساليين التي لم تكد تبلغ المائة حصان كانت هزيلة ضعيفة ، وأن نفس الموقف كان سائداً في معسكر بوهيمند والقادة الآخرين . بينما ذكر أنسلم أوف ريبمونت في رسالته إلي مناسيس رئيس أساقفة ريمز أنه لم يتبق لدي الفرنج بصفة عامة سوي سبعمائة حصان . وأعتقد أن الرقم الذي أورده أنسلم هو الأقرب إلي الصحة ، إذا أحصينا عدد قادة الفرنج الذين يقصدهم ريموندا جيل ويقرر في روايته أن عدد الخيول التي تبقت لدي كل منهم مساو لعدد الخيول التي تبقت لكونت صنجيل .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٩١ . راجع أيضاً : حسين عطية : إمارة أنطاكية ، ملحق رقم (٢) ، ص ٢٩٩ .

(الترجمة العربية) .

(٣٦) تاتيكيوس Taticius (Teigus, Titidus, Tatic, Tatinus) هو قائدة الحامية البيزنطية وممثل الإمبراطور ألكسيس . وقد عارض فكرة حصار أنطاكية . ويقرر توديبود أنه اصطحب قوات الحملة الأولي ليسترد أراضي الإمبراطور . ولاتزيد رواية مؤلف الجستا عن رواية توديبود في شئ .

- في الحقيقة لم يكن رحيل القائد البيزنطي تاتيكيوس من المعسكر الصليبي خارج أنطاكية هروباً يرجع إلي الجبن الذي وصفه به المؤرخون اللاتين أو خيانة منه للفرنج . وإنما اضطر الرجل إلي الرحيل نتيجة للمؤامرة التي دبرها =

= ضده بوهيمند حتي يتوفر لديه مايتصدي به لحق بيزنطة في أنطاكية .
وكان طبيعياً أن تأتي روايات المؤرخين اللاتين في غير صالح تاتيكيوس ، كما كان طبيعياً أن تنتصر له الأميرة آن كومنين في روايتها عن الأحداث .
وكان الفيصل بين الطرفين هو رواية أوردريك فيتاليس المؤرخ الأنجلونورماندي الذي جاءت روايته منصفة لتاتيكيوس وأثبتت صدق نيته.
وقد عالجت كل هذا بالتفصيل في ترجمتي لتاريخ ريموندا جيل . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٩١ ، ص ٩٨ - ١٠٠ ، حاشية رقم (١٨) التي تنتهي في ص ١٠٠ .

(الترجمة العربية) .

(٣٧) تضمن حديث تاتيكيوس بعض الإقتباسات من التوراة . فعبارة " سأعود إليكم revertar ad vos " تتطابق مع عبارة " سوف أعود إليكم ، قال سيد الجيوش Revertar ad vos, dicit Dominus exercituum " . انظر : Prophetia Malachiae, 3 : 7 .

(٣٨) رحل تاتيكيوس في بدايات فبراير . انظر : H. Chr. 230 .

وجاءت أسباب إنسحابه مشوشة . وربما كانت آن كومنين علي حق حين قررت أنه قد خاف بوهيمند . ولكن ريموندا جيل يقرر أنه قد سلم مدن طرسوس والمصيصة وأذنه إلي بوهيمند . وتقبل هذه العبارة لخطأ من جانب ريموندا جيل . وعلي أية حال ، إذا كانت قراءات توديبود صحيحة في تقريرها عن أرض سُلمّت إلي بوهيمند في آسيا الصغري Romania (ورومانيا بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي تعبير غامض وربما يضم قيليقية) ، إذن ، فإن ريموندا جيل لم يكن غبياً كما جعله المؤرخون الحديثون يبدو هكذا . انظر : Raymond d'Aguilers, p . 37 , Fn. 16 .

- ليس هناك دليل علي تخلي تاتيكيوس عن أذنة والمصيصة وطرسوس =

= لبوهيمند. ومن الواضح أن ريموندا جيل لم تكن لديه المعلومات الكافية عن هذا الحادث ، واعتمد علي الإشاعات أو علي مصادر أخري . وإذا كان تاتيكيوس قد سلم بوهيمند هذه المدن ، لكان مؤرخه المجهول (مؤلف الجستا) سارع وسجل ذلك في تاريخه ليحفظ حق بوهيمند في هذه القضية. كما سجل وعد الإمبراطور لبوهيمند - من قبل - بمنحه إياه أراضي في إقليم أنطاكية . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٩٢ ، حاشية رقم (١٨) ، ص ٩٨ .

(الترجمة العربية) .

(٣٩) يقدم لنا ريموندا جيل رواية أكثر تفصيلاً عن حالة الصليبيين . انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 36 , 37.

- راجع : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٩١ - ٩٢ .

(الترجمة العربية) .

(٤١) يقرر توديبود أن القادة الصليبيين قد سمعوا عن مجئ الترك واشتغلوا في مجلسهم بوضع الخطط . ومؤلف الجستا يجعل بوهيمند يخاطب المجموعة . انظر : Bréhier, Gesta , p. 82 .

وقد أغفل ناقدو توديبود هذا الإختلاف الهام . فلماذا يسقط توديبود بوهيمند من روايته إذا ما وضعنا في الإعتبار حقيقة أن توديبود لايبدي أي نفور تجاه بوهيمند ؟ ويبدو لنا أن ذلك يرجع إلي إعادة كتابة تمت علي يد أحد النسّاخ . وقاد الترك كل من رضوان صاحب حلب وسقمان الأرتقي أمير آمد، وأمير حماة . ويذكر ريموندا جيل أن المجلس قد انعقد في منزل أدهيمار. ويجهل حديث بوهيمند .

وقد عقد المجلس في فبراير ١٠٩٨ . انظر : H. Chr. 232.

(٤٢) هنا ينتهي أول حديث لبوهيمند ، الذي وجهه إلي قادة الفرنج في مجلسهم الذي عقد في خيمة المندوب البابوي ، والذي أورده توديبود دون أن ينسبه لبوهيمند . وبصرف النظر عما إذا كان مؤلف الجستا قد حرص علي أن يضع هذا الحديث وغيره من الأحاديث علي لسان بوهيمند ليبرز دوره في الإنجاز الصليبي ، وعما إذا كان توديبود يتجاهل هذا الدور ، فمن المؤكد أن بوهيمند قد بذل جهداً كبيراً في نجاح الفرنج في الإستيلاء علي أنطاكية ، ودبر من السياسات مايجبر سائر القادة الفرنج علي تسليمها إليه بعد الإستيلاء عليها . وكما يري بعض المؤرخين الحديثين أنه لو أن بوهيمند كان يعمل من أجل الصالح الصليبي العام كما كان يعمل لصالحه هو ، لكان حظي بالمكانة التي حظي بها ملوك بيت المقدس لدي المؤرخين المعاصرين. انظر : A. Duggan, The Story of the Crusades, London, 1969,pp. 58 - 60 ,

(الترجمة العربية) .

(٤٣) يكتب توديبود أن أدهيمار وروبرت النورماندي وكونت يوستاس كان عليهم حراسة المعسكر . ويذكر أيضاً قوة تتكون من ٢٥ ألفاً من الترك . ويحذف مؤلف الجستا هذه التفاصيل . ويلاحظ ريموندا جيل أنه كان هناك من الترك مالايقل عن ٢٨ ألفاً من الفرسان . انظر : Raymond d'Aguilers, p.40; Bréhier, Gesta, p. 82.

(٤٤) يحذف توديبود حديث بوهيمند إلي جانب مدحه ، الذي تضمن الشجاع sapiens الماهر prudens العظيم magnus الرائع magnificus القوي fortis المنتصر victor . انظر : Bréhier, Gesta , p. 82.

وقد كان رجال الكنيسة يستخدمون هذه العبارات بشكل كبير . انظر : Blaise, pp. 198, 256 , 270 , 336 , 645 , 616 . =

- وردت هذه الصفات في الجستا . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥٧ - ٥٨ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 36.

وكان ظهور الترك يمثل رد الفعل الإسلامي الثاني الذي جاء من جانب رضوان ملك حلب تجاه الوجود الصليبي في بلاد الشام . وقد خرج رضوان من حلب في بداية فبراير ١٠٩٨م / آخر صفر ٤٩٢ هـ بصحبة سقمان بن أرتق وأمير حماة استجابة لاستغاثة ياغي سيان حاكم أنطاكية . وفي ٩ فبراير / ٤ ربيع أول من نفس السنة وقعت المعركة بين الفرنج والسلاجقة بين بحيرة أنطاكية ونهر العاصي ، الأمر الذي حرم السلاجقة من اتباع طرقهم في القتال حيث منعم مكان المعركة المحصور بين النهر والبحيرة من القيام بحركات الإلتفاف والارتداد المعتادة . وانتصر الصليبيون وكالعادة جاء رد الفعل الإسلامي هذه المرة أيضاً متأخراً وهزيلاً كما جاء من دمشق من قبل . فلو أن رضوان كان تناسي خلافاته مع ياغي سيان وأخيه دقاق وهاجم الفرنج أثناء أزمتهم الاقتصادية لحملهم علي فك الحصار عن أنطاكية .

- ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٠٣ - ١٠٤ . راجع أيضاً : William of Tyre, vol. 1 , pp. 225 - 226 . CF. also, Ch. Oman, A History of the Art of War in the Middle Ages, 2 vols , London , 1924 , vol. 1 , pp. 280 - 281 , Duc de Castries , La Conquéte de la Terre Saine par Les Croisés, Paris, 1973, p. 151 . (الترجمة العربية) .

(٤٥) يذكر توديبود دور كونت الفلاندر بينما يحذفه مؤلف الجستا . ومن المؤكد ، علي ضوء دور كونت الفلاندرز ، فإن هذا الحذف يعد أمراً خطيراً . انظر: Bréhier, Gesta , p. 84 .

- جعل مؤلف الجستا الست فرق الصليبية كما هي . إلا أنه لم يذكر اسم روبرت كونت الفلاندر كقائد للخمس فرق الأولي التي هاجمت المسلمين . ومن =

= المعروف أن مؤلف الجستا كان يحرص علي تجاهل أي دور بارز يقوم به أي قائد صليبي آخر غير سيده بوهيمند حتي يبدو الأخير وكأنه الذي تحمل عبء الإنجاز الصليبي كله . وبالطبع كان توديبود بمنأي عن هذا الإنحياز للقائد النورماندي .

(الترجمة العربية) .

(٤٦) يقدم ريموندا جيل رواية تطابق هذه الرواية مع أنه يستخدم الأحداث لموضوع الخروج في رحلات كنسية .

- يجعل ريموندا جيل الفرنج يغنون أغاني الحرب استعداداً للمعركة وهم ينظرون إليها وكأنها من الألعاب الرياضية ، ويجعل الرب بجوار الفرنج . ويستعين ريموندا جيل بعبارات من العهد القديم . وجاء وصفه للمعركة مثيراً للعواطف دون أن يساعد علي فهم الأحداث . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ، ص ١١١ - ١١٢ ، حاشية رقم ٢ ، ٣ .

(الترجمة العربية) .

(٤٧) جاء وصف ضوضاء المعركة متشابهاً عند توديبود ومؤلف الجستا . ويعتقد هاجنمير أن هذا الوصف يشابه وصف فيرجيل للحرب المقابية . انظر :
Hagenmeyer, Gesta, p. 283 ; Vergil , Liber I Machabaeorum, 5 : 31 .

- والمقابيين هم حكام إقليم يهوذا من سنة ١٦٧ ق.م إلي سنة ٣٧ ق.م والإسم في أصله كان يطلق بصفة خاصة علي يهوذا ابن ماتياس ، ثم أطلق فيما بعد علي أسرته وأتباعه ، ويطلق الآن علي ذريته فقط . وكان لماتياس خمسة أبناء ، هم حنا وسمعان ويهوذا وإيلعازر وجوناثان . وهؤلاء قادوا الكفاح ضد قوات أنطيوخوس Epiphanes الذي حاول صبغ بلادهم بالصبغة الهللينية . وقاد هؤلاء حركة الاستقلال السياسي في عهد يهوذا الذي مات =

= في عام ۱٦٠ ق.م ، واستمر أسلافه في الكفاح ضد الحكم اليوناني حتي عام ۳۷ ق.م حين قضي هيرود ، الذي اعترف به الرومان ملكاً علي يهوذا ، علي كل بقايا هذه الأسرة . انظر : Moris A. Gutstein, Maccabees, in C.E., vol. 15 , New York , 1984 , pp. 151 - 152 .

(الترجمة العربية) .

(٤٨) جاء الحديث إلي جيرار في الجستا أطول منه عند توديبود ويعتقد بريبيه أن الذي كتبه كاهن . انظر : Bréhier, Gesta, p. 85 , Fn. 3 . ويستخدم الجستا قصة الأسد الثائر. واستخدم ريموندا جيل قصة مشابهة . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 18, Fn. 29 ومن المحتمل أن يكون مصدر رواية توديبدو هوفيرجيل . انظر : . Liber I Machabaeorum, 2 : 51

(٤٩) عدد الخمسة وعشرون ألفاً هو تنقيح من قراءات مخطوطات توديبود .

- العبارة التي يحدد فيها توديبود عدد الترك وعدد الفرنج لم ترد بالمرة في الجستا. بينما حدد ريموندا جيل عدد الترك بثمانية وعشرين ألفاً من الفرسان دون أن يحدد عدد فرسان الفرنج . بينما وفق توديبود في تحديد العدد الصحيح لفرسان الفرنج بسبعمائة فارس وهو العدد الذي حدده من قبل أنسلم ، راهب ريمونت في خطابه إلي أسقف ريمس . انظر : ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة ، ص ١٠٤ ، راجع أيضاً ماسبق ، هامش رقم (٣٥) .

(الترجمة العربية) .

(٥٠) يقرر توديبود أن مبعوثي أمير مصر كانوا قد أرسلوا إلي ريموند كونت صنجيل والقادة الآخرين . ويحذف مؤلف الجستا هذه المعلومة . ولم يحدد ريموندا جيل عدد رؤوس الترك التي أحضرت . ولكنه يتحدث عن حكمة الرب .

=

- في الحقيقة ، تعد الرواية الخاصة بوجود مبعوثي الأفضل وزير الخليفة الفاطمي المستعلي في المعسكر الصليبي ، من أهم القضايا التي يتضمنها تاريخ الحملة الصليبية الأولي . وبناء علي الإشارة التي وردت في المصادر اللاتينية المعاصرة عن وجود هؤلاء المبعوثين في المعسكر الصليبي خارج أسوار أنطاكية ، ذهب المؤرخون الحديثون إلي حدوث مفاوضات بين الفواطم والفرنج وإتمام إتفاقية بين الطرفين لتقسيم الشام فيما بينهم علي حساب السلاجقة ، مستندين في ذلك إلي رواية ابن الأثير التي حددت فحوي الإتفاقية . وهذا يوضح رد الفعل الإسلامي الثالث تجاه الوجود الصليبي في بلاد الشام . وإذا كان رد الفعل هذا قد جاء مختلفاً عن رد فعل سلاجقة حلب وسلاجقة دمشق ، فقد جاء ليدين الفواطم بالتحالف مع الفرنج أعداء الإسلام . إلا أنه بالتمعن في روايات المؤرخين المعاصرين وبتمحيصها ودراسة نصوصها يتبين لنا أنه من الصعب الأخذ بهذا الرأي باطمئنان تام . وقد عالجت هذه القضية بالتفصيل ، مع مناقشة كل الروايات التي وردت في المصادر الإسلامية واللاتينية المعاصرة بخصوص هذه القضية في ترجمتي لكتاب ريموندا جيل . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٠٥ ، ص ١١٢ - ١١٥ ، حاشية رقم (٦) ، التي تنتهي في ص ١١٥.

(الترجمة العربية) .

(٥١) حدثت المعركة في ٩ فبراير ١٠٩٨م . انظر : H. Chr. 233 .

الفصل الخامس

المرحلة الأخيرة من حصار انطاكية

بعون الرب عاد رجالنا محتفلين فرحين بالنصر علي الترك المدحورين ، الذين أدبروا منهزمين ، وانسحب بعضهم إلي خراسان ، وبعضهم إلي بلاد المسلمين. وكان قادتنا وسادتنا علي علم بأن الأنطاكيين قد تحرشوا بنا وحصرونا ليل نهار وأنهم يتربصون بنا في كل مكان يمكنهم منه أن يوقعوا بنا الضرر ويسببوا لنا الإزعاج . لذلك إجتمع الصليبيون وعقدوا مجلساً قرروا فيه : " قبل أن نفقد جيش الرب ، فلنشيد قلعة عند المسجد المواجه لباب الجسر ، وهناك ، ربما أمكننا شل حركة أعدائنا " . وهكذا أجمعوا علي أنه مشروع نافع (١) .

وفي البداية تحدث كونت صنجيل مقترحاً : " مدوا لي يد المساعدة لبناء القلعة ، وسوف أشحنها بالجند وأقوم علي حمايتها " .

وتدخل بوهيمند قائلاً : " إذا قبلت أنت ، ووافق السادة الآخرون ، فسأذهب معك إلي ميناء السويدية لضمان حماية عمال البناء الذين سيقومون هناك بتشييد القلعة (٢) . وأولئك الذين سيبقون في المعسكر سيكونون متيقظين وعلي أهبة الاستعداد للدفاع عنه إذا ماتسلل أعداؤنا وأعداء الرب من أنطاكية . أما الجزء الرئيسي من الجيش ، سيتجمّع في المكان الذي نحدده نحن " . وهكذا نفذّنا الخطة.

وتوجه كونت صنجيل وبوهيمند إلي ميناء السويدية . أما نحن الذين بقينا فقد إجتمعنا حسب التعليمات لبناء الحصن . وعندما رأي الأتراك هذه التحركات ، جهزّوا أنفسهم للخروج من أنطاكية في تشكيل قتال . وسرعان ما كرُّوا علينا وكسروا قواتنا ، وأوقعوا بنا كدراً وندماً شديدين . وفي اليوم التالي، وكان الترك علي علم بتغيب القادة عن الحصار وبذهابهم إلي الميناء ، وبناء علي أوامر قائدهم ،

شنوا هجوماً علي المسيحيين القادمين من ميناء السويدية . وعندما شاهدوا ريموند وبوهيمند يقتربان لحماية طاقم آلات الحصار ، بدأوا في الصفير والثرثرة وإطلاق الصرخات التي تقشعر لها الأبدان ، وفي نفس الوقت ليحملوا علينا وهم يمطرون رجالنا بوابل من القذائف والسهام وليجرحوا رجالنا ويقتلوهم بسيوفهم (٣) .

وكان هجوم الترك عنيفاً لدرجة ، جعلت رجالنا يلوذون بالفرار إلي أقرب جبل أو إلي أنسب سبيل ؛ ونجا من كان سريع العدو ، ولقي حتفه في سبيل المسيح ، من لم تسعفه قدماه (٤) . وقتل في هذا اليوم مايزيد علي ألف فارس صعدت أرواحهم سعداء مرتدين ثوب الشهادة الأبيض المألوف ، ومجدوا ومدحوا ربنا الثالوث الذي فازوا اليوم بإسمه ، وأنشدوا في تناغم واحد : " ربنا ، لماذا لم تحم دماءنا التي أريقت اليوم من أجلك ؟ " (٥) . وجاء بوهيمند من طريق مختلف ، مطلقاً العنان لفرسه مع حفنة من الفرسان ، وأسرع نحو الفريق المحاصر من الصليبيين . ولما اشتعلنا غضباً لمقتل رجالنا ! فقد ابتهلنا باسم عيسي المسيح ، ولما كنا موقنين ببلوغ القبر المقدس ، تحركنا جبهة واحدة ضد أعدائنا واشتبكنا معهم في القتال بقلب رجل واحد . ووقف الترك ، أعداء الرب وأعداؤنا ، مذهولين وقد شلهم الخوف ، فقد اعتقدوا أنه بإمكانهم دحرنا وذبحنا كما فعلوا مع قوات ريموند وبوهيمند (٦) .

إلا أن الله القدير لم يشأ أن يحدث مثل ذلك . واندفع فرسان الرب الحق ، تحميهم علامة الصليب من كل جانب ، في اضطراب وبشجاعة فائقة أحدقوا بالترك . وهُزم الترك المحاصرين وفروا طالبين النجاة عن طريق الجسر الضيق المؤدي إلي أنطاكية . أما الذين لم يتمكنوا من شق طريقهم وسط زحام الخيل والرجال ، فقد ذاقوا الموت الأبدي ، وعادت أرواحهم البائسة إلي الشيطان وأتباعه (٧) . فقد ضربناهم علي رؤوسهم وألقينا بهم في النهر بحرابنا المميتة حتي أن مياه العاصي المتدفقة بدت قرمزية اللون بعد أن اختلطت بدماء الأتراك . وإذا تصادف أن تسلق

أحدهم قوائم الجسر أو جاهد ليسبح حتي الشاطئ ، فقد أثخناه بالجراح . ووقفنا بطول ضفتي النهر ندفع ونغرق الوثنيين ليجرفهم التيار [٨] .

واختلطت ضوضاء المعركة بصرخات المسيحيين والترك ودوت في الفضاء ، وأظلمت السماء بوابل من السهام والقذائف التي حجبت ضوء النهار [٩] . وزادت الضوضاء بسبب الصراخ المنبعث من داخل أنطاكية وخارجها . وقدمت النساء المسيحيات الموجودات داخل أنطاكية إلي الكوات الموجودة في شرفات الأسوار ، وهللن بطريقتهم المعهودة سراً لما شاهدن مصير الترك المظلم [١٠] . وقذفنَا الأرمن والسريان واليونانيون ، طوعاً أو كرهاً ، حسب الأوامر اليومية للقادة الترك الطغاة، بسهامهم [١١] . وسقط في المعركة إثنا عشر أميراً من الترك إلي جانب ألف وخمسمائة من أشجع جنودهم وأكثرهم دراية بأمور الحرب والذين كانوا يمثلون لب القوة المدافعة عن أنطاكية [١٢] .

أما المتبقون علي قيد الحياة داخل أنطاكية فلم تعد معنوياتهم تسمح لهم بالتهليل أو التمتمة ليل نهار كما هي عادتهم . ولم يوقف التحرش بين الصليبيين وأعدائهم ، أو الرشق بالحراب أو الطعن بالرماح أو الرمي بالسهام سوي حلول الليل. وهكذا ، بقدرة الرب والقبر المقدس لم يعُد الترك علي معنوياتهم السابقة ، لا فعلاً ولا قولاً . ونتيجة لما حدث في ذلك اليوم ، تمكنا مرة أخري تجهيز أنفسنا بما نحتاجه من خيل وضروريات أخري .

وعند بزوغ فجر اليوم التالي ، تسلل أتراك أنطاكية وجمعوا جثث موتاهم المتعفنة التي وجدوها ملقاة علي ضفتي النهر ، فيما عدا تلك التي استقرت في قاع النهر ، وقاموا بدفن الجثث عند المسجد الواقع خلف الجسر ، المواجه لباب المدينة. ودفن الترك إلي جانب جثث رفاقهم عباءات وذهباً وبيرنظات وأقواس وسهام وأشياء كثيرة أخري لانستطيع تحديدها .

وسارع رجالنا بالاستعداد ، بعد أن وصلتهم أنباء دفن موتي المسلمين ، للتوجه إلي المسجد الشيطاني ، حيث نبشوا القبور وحطموا النعوش ، وأخرجوا الجثث من المقابر ، ثم قذفوا بالجثث في حفرة ونقلوا رؤوس الموتي إلي خيامهم . وهكذا عرفوا عدد قتلي المسلمين بدقة ، فيما عدا حمولة أربعة جياد من رؤوس قتلي المسلمين قاموا بنقلها إلي مندوبي أمير القاهرة ، الذين كانوا يعسكرون بالقرب من ساحل البحر ، وأوقع هذا المنظر في نفوس الترك إكتئاباً وحزناً شديدين، وفي كل يوم ، لم يفعلوا شيئاً سوي البكاء والعويل (١٣) .

وفي اليوم الثالث بعد إنتهاء المعركة ، أقبلنا متباهين سعداء وقمنا معاً ببناء القلعة المذكورة بالأحجار التي انتزعت من مقابر موتي الترك . وبعد الإنتهاء من بناء الحصن ، قمنا بإحكام قبضتنا علي المحاصرين داخل أنطاكية ، الذين تلاشي كبرياؤهم الشديد . وساهم كل قائد من قادتنا في تحصين القلعة بالمتاريس الضخمة والأسوار ، وشيدوا فوقها برجين في موقع المسجد . وأخذنا في التجول هنا وهناك بأمان تام ، فكنا نذهب إلي الميناء أو ناحية الجبل ، نمدح ونمجد ، ببهجة وسرور في صوت واحد ، سيدنا وربنا الذي له الشرف والمجد إلي الأبد (١٤) .

وعهد كل قادتنا وأمراؤنا بأمر حماية الحصن إلي ريموند كونت صنجيل لكثرة ما لديه من فرسان ، وما يمكن أن يقدمه (١٥) . وشحن الحصن بقواته وهؤلاء القادة : جاستون أوف بيرن مع رجاله ، والفيكونت بطرس كاستيلون ؛ والفيكونت ريموند أوف تورين ؛ ووليم مونتبليار وجيفري أوف لاستورز ؛ وبطرس ريموند هوتبول ؛ ووليم سابران (١٦) . هؤلاء وكثيرون غيرهم ، كانوا مع الكونت بالإضافة إلي أتباعه .

وضمن ريموند كونت صنجيل ولاء الفرسان والضباط بالأموال والعهود بغرض حماية الحصن . وفي ذات يوم أقبل الترك علي الحصن ، وبعد حصارهم له من كل جانب ، أطلقوا صرخاتهم ، وأطلقوا سيلاً من السهام ، فجرحوا وقتلوا مدافعينا.

وهكذا ضيقوا الخناق علي معسكرنا ، بعد أن أطلقوا علينا سهامهم المشتعلة بالنيران ، ولم يحصل رجالنا علي إمدادات أو مساعدات من الجيش الآخر ، ووقع بهم ضرر بالغ (١٧) .

وبعد هذه المناوشات ، خطط قادتنا وأقاموا (حاجزاً) كبيراً ليتمكنوا به من عبور الجسر ، وحدث ذات يوم أن اشتبك رجالنا مع الترك فوق الجسر ودلفوا نحو الحاجز وقُتل كثير من الترك وتم اجتياز الجسر . وعند حلول الليل ، وبينما كان رجالنا يغطون في النوم ، تسلل أتراك المدينة ، وأشعلوا النيران في الحاجز واستردوا الجسر ، مما أثار سخط الجيش المسيحي (١٨) .

وفي يوم آخر ، اقتاد الترك فارساً نبيلاً إلي أعلي أحد أسوار أنطاكية ، واسمه رينالد بروشيه ، كانوا قد وضعوه في سجن مظلم (١٩) . ثم طلبوا منه أن يستفسر من الحجاج المسيحيين كم سيدفعون فدية له قبل أن تقطع رأسه . وخاطب رينالد القادة الصليبيين من أعلي السور قائلاً : " سادتي ، لا يهم أن أموت ، وأتوسل إليكم ، يا إخواني ، أن تدفعوا فديتي . وتأكدوا باسم الإيمان بالمسيح وبالقبر المقدس أن الرب معكم وسيكون معكم إلي الأبد . لقد ذبحتم كل قادة وأشجع رجال أنطاكية ؛ وبالتحديد ، إثناءعشر أميراً وخمسة عشر ألف نبيل ، ولم يتبق بالمدينة من يقاتلكم أو يدافع عنها " .

وسأل الترك عما قاله رينالد . فرد المترجم : " لم يتفوه بشئ في صالحكم " .

وعلي الفور أمره الأمير ياغي سيان أن يهبط من أعلي السور وأن يتبادل معه أطراف الحديث من خلال المترجم حيث خاطبه قائلاً : " يا رينالد ، هل ترغب في التمتع بالحياة معززاً مكرماً بيننا ؟ " .

ورد رينالد قائلاً : " كيف يتأتي لي أن أعيش بينكم معززاً مكرماً دون ارتكاب المعاصي ؟ " وأجابه الأمير : " اكفر بربك ، الذي تعبده وتؤمن به ، وآمن

بمحمد (صلي الله عليه وسلم) وآلهتنا الأخري [٢٠] . وإذا فعلت ذلك سنمنحك ما تشتهيه نفسك من ذهب وخيول وبغال وكثير من متع الدنيا التي تصبو إليها ، كما سنقدم لك الزوجات ، والميراث ، وسنملكك الأرض الواسعة التي تزيد من ثرائك " .

ورد رينالد علي الأمير قائلاً : " إمنحني الوقت للتفكير " ؛ ووافق الأمير مستبشراً . وركع رينالد مضموم اليدين جهة الشرق مصلياً ؛ وابتهل إلي الرب أن يعينه وأن يبعث بروحه كريمة إلي الجنة .

وعندما شاهد الأمير رينالد يصلي ، استدعي مترجمه وقال له : " ماذا كان رد رينالد ؟ " .

ورد المترجم : " لقد أنكر ربك تماماً . ويرفض ماقدمته له من متع الدنيا ، كما يرفض الاعتراف بآلهتك " .

وبعد سماع الأمير لهذا التقرير ، اشتعل غضباً وأمر علي الفور بقطع رأس رينالد ، وهكذا أطاح الترك برأسه وهم غاية في السرور . وبسرعة ، أنشدت الملائكة مزامير داود في بهجة ، وحملت روح رينالد حيث يراه الرب الذي استشهد حباً فيه .

ثم أصدر الأمير أوامره ، وقد استشاط غضباً لفشله في حمل رينالد علي الارتداد عن المسيحية ، أمر بإحضار كل الصليبيين الموجودين في أنطاكية أمامه وأيديهم مشدودة إلي ظهورهم . وعندما مثلوا أمامه ، أمر بنزع ملابسهم عنهم ، وبينما كانوا يقفون عرايا أمر بأن يشد وثاقهم في دائرة . ثم أحاطهم بكومة من القش والخشب ، وكعدو للرب ، أمر بإحراقهم .

صاح المسيحيون ، فرسان المسيح ، وصرخوا حتي دوت أصواتهم في عنان السماء لتصل إلي الرب الذي احترقت من أجله عظامهم وأجسادهم ، وهكذا نالوا جميعاً ثواب الشهادة في ذلك اليوم ليرتدوا في السماء ثيابهم البيضاء أمام

الرب[٢١] . الذي من أجله عانوا بكل خشوع باسم حكم سيدنا عيسي المسيح ، الذي له الشرف والمجد الآن وإلي الأبد . آمين .

والآن ، سددنا أمام الترك كل المسالك ، وقطعنا عليهم كل الطرق فيما عدا جزء من نهر العاصي حيث تقع القلعة والدير [٢٢] . ولو توفرت المنعة لهذه القلعة فلم يكن أحد من الترك ليتجرأ علي النزوح خارج المدينة . لذلك ، إجتمع رجالنا للتشاور وأجمعوا قائلين : " فليقع اختيارنا علي واحد منا يمكنه الاحتفاظ بالقلعة والإحداق بالعدو من جهة الجبل ، والسهل ، ويسد عليه مداخل ومخارج أنطاكية ". ورفض الكثريون ضرب الخيام هناك دون إتخاذ إجراء مشترك [٢٣] .

وكان تنكريد أول من تقدم مقترحاً : " إذا تأكدت من أن ذلك مربح لي ، فلن يقتصر الأمر علي شحن الحصن برجالي ، ولكني أيضاً سوف أعمل بكل طاقتي علي حرمان الأعداء من الوسيلة التي اعتادوا علي إزعاجنا بها " .

وعلي الفور ، منح المجتمعون تنكريد أربعمائة ماركاً فضياً [٢٤] . واستجاب تنكريد من فوره ، ورحل بصحبة فرسانه وأتباعه البارزين فقط ، وعلي الفور سد علي الترك كل السبل ، حتي أن أحداً منهم - وقد تملكهم الفزع من تنكريد - لم يجرؤ علي اجتياز أبواب أنطاكية بحثاً عن الكلأ أو الخشب أو أي من الضروريات الأخري .

واحتفظ تنكريد بموقعه هناك عند الحصن بصحبة رجاله وبدأ في تضييق الخناق علي أنطاكية . وفي نفس اليوم ، جاء عدد كبير من الأرمن والسريان من الجبال آمنين يحملون المؤن لمساعدة الترك المحصورين داخل أنطاكية . وقطع عليهم تنكريد الطريق واعتقل التجار واستولي علي كل دوابهم التي تحمل الحبوب والنبيذ والشعير والزيت وما شابه ذلك من سلع . وهكذا ، دبر الأمور بكل همة ، ولحسن الحظ أنه تمكن من سد كل المنافذ من وإلي أنطاكية .

هوامش الفصل الخامس

(١) يعطينا ريموندا جيل وصفاً للموقع الذي تم إختياره لبناء الحصن . انظر :
Raymond d'Aguilers, Liber, p. 49 .

وقد عقد المجلس الصليبي في ٥ مارس ١٠٩٨م . انظر : . H. Chr. 24

– تم بناء الحصن بالقرب من المسجد الذي يقع بقرافة المسلمين . وقد أطلق عليه الصليبيون اسم قلعة المنبر La Mahomerie وهو اسم مشتق من كلمة فرنسية قديمة بمعني مسجد Mosque . ولأن ريموند كونت تولوز هو صاحب فكرة بناء القلعة، وهو الذي تولي أمر الدفاع عنها ، فقد صارت تحمل اسم قلعة ريموند . انظر : . Runciman, A History , vol. 1 , p. 228

(الترجمة العربية) .

(٢) ميناء القديس سمعان (سان سيمون) . سمي بهذا الإسم تكريماً لهذا الناسك. وكان يقع علي مسافة قريبة من أنطاكية . وقد رسي أسطول يحمل صليبيين من الإنجليز والإيطاليين في هذا الميناء في ٤ مارس ١٠٩٨م . وليس هناك إتفاق علي حضور إدجار أثلنج Edgar Aethling . انظر :
H.Chr. 240.

– أطلق المسلمون اسم السويدية علي ميناء سمعان . وهو مدينة ساحلية تقع عند مصب نهر العاصي غربي أنطاكية . وبينها وبين أنطاكية حوالي ١٤ ميلاً .
انظر : .Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 39 , Fn. 1

(الترجمة العربية) .

(٣) يذكرنا اقتراب الترك بوصف معركة دوريليوم .

(٤) وقع هذا الإشتباك في ٦ مارس . انظر : .H. Chr. 243

(٥) تتطابق نسخة الجستا التي نشرها بونجار مع توديبود في هذا الموضع . والجستا بها نهاية مشابهة (يا إلهي ! إنتقم لدمائنا التي أريقت من أجل إسمك اليوم) بعد حصار نمقية . انظر : Bongars, Gesta , p. 13 ,
Bréhier,Gesta, pp. 42 , 90 . Fn. 1.

وتمثل الإختلافات عبث ناتج عن النسخ .

(٦) جاءت رواية ريموندا جيل أكثر تفصيلاً ، ويذكر دور جودفري . انظر :
Liber,pp. 60 , 61 .

- من المعروف أن ريموند وبوهيمند قد توجها إلي ميناء السويدية لإحضار المؤن وأدوات الحصار وما أمكنهم من المقاتلة . وفي طريق العودة وقعا في كمين نصبه لهما أتراك أنطاكية فتفرق شملهم وتركوا مابأيديهم غنيمة لأفراد الكمين . وبوصول بعض الفارين من رجال بوهيمند وريموند إلي المعسكر الصليبي بإشاعة مؤداها أن الكونت والأمير قد لقيا حتفهما ، خرج جودفري لملاقاة هجوم قام به السلاجقة علي المعسكر . وبوصول بوهيمند وريموند تمكن جودفري من رد الترك إلي المدينة . واجتمع الأمراء وتصدوا لأفراد الكمين حين عودتهم إلي أنطاكية محملين بأثقال الغنيمة ودحروهم واستردوا أدوات الحصار والمؤن .

وفي الحقيقة جاءت رواية ريموندا جيل أكثر استقامة ووضوحاً من رواية كل من مؤلف الجستا وتوديبود . مع أنه يفهم من روايات المؤرخين الثلاثة أن ثلاثتهم كانوا ضمن القوة التي صاحبت جودفري في التصدي لهجوم سلاجقة أنطاكية علي المعسكر الصليبي . فيذكر كل من مؤلف الجستا وتوديبدو أن الترك كانوا (يعتقدون أنه بإمكانهم ذبحنا ودحرنا كما فعلوا مع قوات ريموند وبوهيمند) . كما يتسائل ريموندا جيل حين اشتد القتال بين سلاجقة أنطاكية وقوة جودفري التي كان ضمنها المؤرخ نفسه (هل نهرب إلي المعسكر أم =

= يهرب حراس المعسكر إلينا ؟) .

ومع ذلك فلم تكن رواية ريموندا جيل عن نصب الكمين لقوات بوهيمند وريموند مرضية . وقد أحجم المؤرخ عن وصفها ، بينما استخدمها كوسيلة ينقل بها إلينا العلوم الكنسية التي درسها هو . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة، ص ١٠٦ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٦١ .

(الترجمة العربية) .

(٧) عادة مايستخدم رجال الكنيسة هذه الكلمات . وعلي سبيل المثال : الموت الأبدي . انظر : Blaise, p. 460.

(٨) جاءت رواية ريموندا جيل مشابهة لكنها أقل مأساوية . انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 42 , 43 .

(٩) يكرر هذا الوصف رواية سابقة عن اشتباك سابق . انظر : Bréhier,Gesta,p.84.

(١٠) النساء المهللات (صفقن Plaudebant manibus) طريقة مسيحية تعبر عن الإستحسان . انظر : Blaise, p. 127; Liber Psalmorum, 46 : 1 ; Liber Quartus Regum 11 : 12 .

(١١) يضيف توديبود هنا اليونانيين . ويذكر مؤلف الجستا السريان والأرمن فقط. انظر : . Bréhier, Gesta, p. 94

- انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٦٢ . وأيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 41 .

(الترجمة العربية) .

(١٢) عدد القتلي . . ١٥ قتيلاً ، وهو نفس الرقم الذي يقدمه لنا ريموندا جيل . =

= وقد وقع الصدام في ٢٦ مارس ١٠٩٨م . انظر : Raymond d'Aguilers, P. 44 ; H. Chr. 243 .

- ذكر كل من توديبود ومؤلف الجستا أن قتلي الفرنج من قوات بوهيمند وريموند بعد حادثة الكمين قد بلغ أكثر من ألف قتيل . بينما حددهم ريموندا جيل بثلاثمئة قتيل . أما عن قتلي الترك بالقرب من باب الجسر فقد حدده ريموندا جيل كما فعل توديبود ومؤلف الجستا بألف وخمسمائة قتيل . إلا أن ريموندا جيل يذكرنا بغيرهم من قتلي المسلمين بقوله "فقد كان عدد الموتي نحو ألف وخمسمائة ولن أذكر من دفنوا بالمدينة ولامن جرفتهم مياه النهر . ولكن الجثث ألقيت في نهر العاصي حتي لاتعوق الروائح التي لاتطاق العمل في بناء القلعة. " . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٠٨ . (الترجمة العربية) .

(١٣) قصة نقل رؤوس قتلي الترك إلي مندوبي أمير القاهرة (الوزير الأفضل بن بدر الجمالي) تتطابق مع رواية ريموندا جيل . انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 40 , 41 .

- وهي رواية ريموندا جيل عن قتلي سلاجقة حارم . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٠٥ .

ويفهم من رواية توديبود أن الفرنج نقلوا رؤوس قتلي سلاجقة أنطاكية ليراها مبعوثي الأفضل الذين أقاموا بجوار ساحل البحر . أما مؤلف الجستا المجهول فيذكر فقط أن رؤوس القتلي قد نقلت بواسطة الخيول التي جلبها مبعوثي الوزير الفاطمي ربما كهدية للفرنج . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٦٣ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, = p.42.

= وإذا أخذنا برواية رنسيمان التي لم تدعمها المصادر التي استند إليها ، فإن رسل الأفضل قد بقوا في المعسكر الصليبي لعدة أسابيع وعادوا إلي مصر بصحبة سفارة صغيرة من الفرنج ، وقد حملوا هدايا وفيرة ، معظمها جاء من الغنيمة التي استولي عليها الفرنج من معركة ٦ مارس ١٠٩٨م . أي أن رسل الفواطم كانوا موجودين في ذلك الوقت وتكون رواية توديبود هي الأقرب إلي الصحة من رواية مؤلف الجستا . وإذا أخذنا برواية ريموندا جيل فإن رسل الأفضل يكونوا قد عادوا إلي مصر فور إنتصار الفرنج علي سلاجقة حارم . وبذلك تكون رواية مؤلف الجستا هي الأدق . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٠٥ . راجع أيضاً : Runciman,op.cit.,vol.,p.229.

وعن نص رسالتي ستيفن كونت بلوا والراهب أنسلم اللتين أشارتا إلي وصول رسل الأفضل واستعان بهما رنسيمان . انظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية ، ملحق رقم (١) ، رقم (٢) ، ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(الترجمة العربية) .

(١٤) تحذف مخطوطات الجستا تفاصيل تقوية وتحصين الحصن .وقد أطلق عليها اسم المحمرة La Mahomerie . انظر : Bréhier, Gesta, p. 96 .

وقد بدأ العمل في بناء القلعة في ٨ مارس ١٠٩٨م وتم الإنتهاء منه في ١٩ أو ٢٠ مارس . انظر : H. Chr. 248 .

وإنهاء توديبود للحادث جاء في شكل مايطلق عليه بعض المؤرخين تسبيحة شكر تختلف عن مخطوطات الجستا .

(١٥) تحذف مخطوطات الجستا تفاصيل اختيار ريموند كونت صنجيل لحراسة الحصن وكل تفاصيل الأحداث المتصلة بهذا الإختيار . ويقرر ريموندا جيل أن =

= ريموند كونت صنجيل قد تولي أمر القلعة علي غير رغبة أتباعه . وعلي أية حال ، فهو يستخدم الحادثة من أجل دروس كنسية عن الكسل والشح . كما أنه لم يمدنا بأسماء رجال ريموند . انظر : Raymond d'Aguilers,p.44.

ولم يفسر لنا كل من ناجمنير وبريبه سبب الثغرة في نص الجستا كما أنهما لم يرجعا الفضل إلي توديبود علي المعلومات التي أمدنا بها ، الأمر الذي لم يفعله كل من ريموندا جيل نفسه .

- من الواضح أن مؤلف الجستا لم يذكر قيام كونت صنجيل بتولي أمر حراسة القلعة كما لم يذكر أسماء رجاله الذين قاموا علي حراستها ، ومؤلف الجستا هنا كعهدنا به كان حريصاً علي إغفال أي دور بارز يقوم به أي قائد من قادة الفرنج غير سيده بوهيمند ، وخاصة إذا ماكان هذا القائد هو كونت صنجيل خصم سيده اللدود والمنافس الوحيد له من بين قادة الحملة . كما أن إنفراد توديبود بذكر قائمة أسماء أتباع كونت صنجيل الذين ساعدوه في حراسة القلعة ، دون ريموندا جيل كاهن الكونت الخاص ومؤرخ أعماله ، ومؤلف الجستا المجهول ، وهما مشاركان في الأحداث وشاهدي عيان لها يثبت لنا إشتراك توديبود في الحملة ، أو علي الأقل يثبت لنا وجود مؤرخ ثالث - يدعي توديبود - بين قوات الحملة الأولي إلي جانب ريموندا جيل ومؤلف الجستا .

(الترجمة العربية) .

(١٦) عن الفيكونت بطرس كاستيلون انظر : هامش رقم (٤٣) من الفصل الثالث.

وعن بطرس ريموند هوبتول ، انظر : نفس الحاشية . وجاستون أوف بيرن هوفيكونت بيرن Béarn وألورون Oloron ومونتانر Montaner ، وكان أيضاً سيداً =

= علي سارجوسا Sargossa . انظر : Jourgain , 1902 , 2 .

ووليم أوف مونتبليار Montpellier هو وليم الخامس سيد مونتبليار . وكان تحت حماية ريموند عندما كان صغيراً . وقام برحلتين إلي الأراضي المقدسة ، كما شارك في حصار مايوركا . انظر : - HGL. 3 : pp. 389 , 537 , 621 22.

وجيفري أوف لاستورز Gouffer of Lastours هو سيد مقاطعة لاستورز بالقرب من نكسون Nexon . وهو أصلاً من ليموزين Limousin . انظر : Notitiar dune Lemovicenses, in RHC. Occ. 5 : p. 351 ; L'Abbé Arbellot, 1881 . pp. 10 , 11.

ووليم أوف سابران هو سيد سابران وواحد من النبلاء البارزين في دوفيه أوزيه Uzés . وكان ضمن القوات البروفنسالية . انظر : HGL 3 : pp. 490, 491; v. Col. 687 , 708 .

وريموند أوف تورينا Torena (توديبود Tudebode) . ريموند أوف تينوريا Tenoria (Gesta) هو فيكونت تورين Turenne في ليموزين . انظر : Arbellot, 1881: p. 11 ; Bréhier, Gesta, p. 185 , Fn. 5 .

(١٧) هذه الرواية تتطابق مع رواية ريموندا جيل . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 45 .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٠٩.

(الترجمة العربية) .

(١٨) يقدم لنا توديبود هنا معلومات لم يسجلها كل من ريموندا جيل ومؤلف =

= الجستا . ومرة أخري يجهل ناقدو توديبود هذه الحقيقة .

(١٩) لاتظهر قصة استشهاد بروشيه عند ريموندا جيل أو الجستا . وتستخدم في أنشودة أنطاكية كتأثير مأساوي . واستخدمها توديبود لنفس السبب لكنه اجتهد ليقدم لها خلفية تاريخية . ويستخدم رقم الإثني عشر أميراً والخمسة عشر ألفاً من الأشراف الذين كان مصيرهم الموت . وقد وردت هذه الأرقام من قبل . وإغواء بروشيه ، مثل إغواء الشيطان للمسيح ، أمر شائع في حياة القديسين . وقد صلي بروشيه بيدين مضمومتين (iunctus manibus) . وهذا وضع شائع للصلاة . وقد تضرع بروشيه للرب ليأتي لمساعدته في أسلوب كنسي جيد . انظر : Blaise , pp. 185, 197 , 198,201.

وقد جعل توديبود أيضاً روح بروشيه تستقر في النعيم (الجنة) . انظر : لوقا ، ١٦ : ٢٢ . وقد تم اعتقال بروشيه في ٦ مارس ١٠٩٨م . انظر : H.Chr.244.

(٢٠) تعبير " وآلهتنا الأخري" ينم عن جهل الكاتب - شأنه في ذلك شأن غالبية مواطني غرب أوربا - بالدين الإسلامي الحنيف .

(الترجمة العربية) .

(٢١) رؤيا يوحنا اللاهوتي ، ٧ : ٩ - ١٧ .

(٢٢) كان الحصن يقع بالقرب من القلعة ودير القديس جورج علي جبل كاسيوس Cassius . وأطلق عليه اسم جبل تنكريد .

- بعد أن أتم الصليبيون بناء قلعة المنبر التي أمنت المنطقة أمام باب الجسر ، اكتشف الفرنج أن المنطقة أمام باب القديس جورج في الجهة القريبة من =

= أسوار أنطاكية لازالت مفتوحة أمام السلاجقة ، فقرروا إقامة حصن لتأمين هذه المنطقة ، وأقاموه في موضع دير قديم يقع بأعلي التل المواجه لهذا الباب . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١١ .

راجع أيضاً : Runciman, A History , vol. 1 , p. 228 .

(الترجمة العربية).

(٢٣) لم يذكر رفض بعض القادة لتولي أمر حماية الحصن سوي الجستا طبعة بونجارز وتوديبود . ويتبع هاجنمير هنا بونجارز . انظر : Hagenmeyer,Gesta, p. 290.

وقد عقد المجلس الصليبي في ٥ أبريل ١٠٩٨م . انظر : H. Chr. p. 256.

(٢٤) ساهم ريموند كونت صنجيل بمائة مارك منحها لتنكريد . وعن قيمة هذا الإسهام انظر : Bréhier, Gesta, p. 99 . Fn. 2 ; Raymond d'Aguilers, p. 46 .

- حدد كل من مؤلف الجستا وتوديبود المبلغ الذي قدمه قادة الفرنج إلي تنكريد ليقوم علي أمر حراسة الحصن بأربعمائة ماركاً فضياً ، دون أن يحدد لنا أي منهما المبلغ الذي ساهم به كل قائد علي حده . إلا أن ريموندا جيل وهو يحاول إبراز دور سيده كونت صنجيل في الجهد الصليبي ، أمدنا بما نريد بقدر مايسمح به ولاؤه لسيده . فيخبرنا بأن سيده قد أعطي "لتنكريد مائة مارك فضي" أما عن بقية الأمراء فقد "أسهم الأمراء الآخرون كل حسب قدرته" . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١١ .

أما عن المارك الفضي المتداول في غرب أوربا في ذلك الوقت فقد كان يساوي قيمة ثلثي الجنيه الإنجليزي . وكانت قيمته مرتفعة بالنسبة للبيزنط الصليبي .

انظر : M. Benvenisti, the Crusaders in the Holy Land, Jerusalem, 1979, p. 428 , Fn. 66 . =

= - راجع أيضاً : حسين عطية : عُشر صلاح الدين وأصوله التاريخية في غرب أوربا ومملكة بيت المقدسة الصليبية ، مجلة المؤرخ المصري ، يصدرها قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد السادس ، ١٩٩١ ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم (٢٣) .

(الترجمة العربية) .

الفصل السادس

الإستيلاء علي انطاكية

وحصار كربوغا

لا أستطيع أن أروي أو أذكر كل الأحداث التي وقعت قبل الاستيلاء علي أنطاكية . ومن ثم ، سأسجل فيما يلي القليل . وفي رأي ، أنه لا يوجد الشخص - سواء كان رجل دين أو علمانياً - الذي يستطيع أن يسجل الأحداث الحقيقية بتفاصيلها الدقيقة شفاهة أو كتابة (١) . كان هناك أمير تركي يدعي فيروز ، قد أصبح علي علاقة ودية مع بوهيمند (٢) . وغالباً ، ومن خلال الرُسُل بينهما ، فقد عرض بوهيمند أن يدخله فيروز إلي أنطاكية ، في مقابل ذلك ، عرض عليه النورماندي الدخول في المسيحية ، إلي جانب ثروة عظيمة من أملاك كثيرة . وقبل فيروز هذه الشروط قائلاً : " أتعهد بتسليم ثلاثة من الأبراج التي تحت حراستي ، دون مقابل ، وسأسلمها إليه طوعاً في أي ساعة شاء " .

وجاء بوهيمند ، وقدضمن الآن الدخول إلي أنطاكية ، وقد سعد بخطته ، إلي القادة وقد بدت عليه علامات الرضا ، وسكون البال وعرض عليهم بكل ثقة إقتراحه بقوله (٣) : " أيها الرجال ، أيها الفرسان المحنكون ، ترون كيف تعرضنا جميعاً ، الكبير والصغير ، لفقر مدقع ، وكلنا تشاؤم لا ندري كيف سيتغير حالنا إلي الأفضل . إذا رأيتم أن خطتي هذه نافعة وعادلة ، فلتختاروا واحداً من بينكم يتولي القيادة ، وإذا كان في استطاعته الاستيلاء علي أنطاكية بأية وسيلة ذكية ، أو وحده ، يدبر أمر سقوط أنطاكية ، فلنوافق بالإجماع علي منحه إياها " (٤) .

اعترض كل القادة وعارضوا المشروع قائلين : " لن تمنح المدينة لأحد ، وسوف نتملكها جميعاً بالتساوي ، طالما أننا نعاني بالتساوي ، فسوف نقتسم جميعاً

أملاكها بالتساوي " (٥). ولما سمع بوهيمند هذا الرد ، ولي ظهره ، وانصرف من فوره عبوساً .

وبعد فترة قصيرة ، تواترت الأنباء إلي قادتنا عن اقتراب جيش للعدو يضم الترك والبيالصة ، والقوقازيين والأرمن Azymites ، وأقوام أخري كثيرة لاأستطيع حصر أعدادها أو تحديد جنسياتها (٦) . وفي الحال ، إجتمع قادتنا وعقدوا مجلساً قرروا فيه : " إذا كان في استطاعة بوهيمند أن يستولي علي أنطاكية وحده أو بمساعدة آخرين ، فسوف نمنحه إياها طواعية شريطة أن ، نسلم ألكسيوس المدينة كما تقتضي العدالة ، إذا ماقدم لمساعدتنا ، وإذا ما عقد النية علي تنفيذ كل ما اتفقنا معه عليه ، وكل ماتعهد ووعد بتقديمه لنا . وإذا لم يفعل ذلك ، ستكون المدينة من نصيب بوهيمند إلي الأبد " (٧) .

ولم يبدد بوهيمند الوقت ، بل راح يلح يومياً علي صديقه فيروز بطلباته في تذلل ، ويقدم له الضمانات في وعود خسيسة وكلمات معسولة علي النحو التالي : " لقد حان الوقت المناسب لتنفيذ خطتنا ؛ فساعدني ياصديقي فيروز " .

وكان فيروز سعيداً برسالة بوهيمند وقال : " سأقدم العون بكل ما التزمت بتنفيذه من تعهدات " . وفي الليلة التالية (٨) بعث بإبنه خلسة إلي بوهيمند ليؤكد له دخوله أنطاكية . ثم بعث إليه بالرسالة التالية : " دع المنادين يقرعوا طبولهم واجمع الفرنجة ليندفعوا متظاهرين بأنهم سيجتاحون أراضي المسلمين ، ثم يسارعوا بعد ذلك بالعودة عن طريق الجبل الواقع إلي اليسار . وسأكون مترقباً علي استعداد لاستقبال هذه القوات التي سأقودها آمنة إلي داخل الأبراج التي أقوم بحراستها " (٩) .

واستدعي بوهيمند من فوره أحد رقبائه ، ويدعي مال كورون وأصدر إليه تعليماته كمناد أن يعلن أمره فوراً للجيش الفرنجي بأن يستعد للمسير إلي أراضي

المسلمين . وهكذا تم الأمر . وفور ذلك كشف بوهيمند عن مخططاته للدوق جودفري ، وكونت الفلاندر ، وكونت صنجيل ، وأسقف لي بويه وأخبرهم قائلاً : "إن شاء الرب ، ستقع أنطاكية في أيدينا الليلة " . وبإتمام التعليمات شرع الفرسان في التوجه إلي السهل بينما توجه المشاة إلي الجبل ، وظلوا طوال الليل يقومون بالمناورة ، وعندما أشرقت الشمس كانوا قد وصلوا إلي الأبراج التي يقوم فيروز بحراستها " (١٠) .

وترجل بوهيمند في الحال وخاطب الجميع قائلاً : " امضوا بروح جسورة ، وبخفة شديدة ، وتسلقوا السلم إلي داخل أنطاكية ، التي ستصير في حوزتنا إذا شاء الرب ذلك " . فتوجهوا إلي السلم ، الذي كان يتدلي مثبتاً بأسوار المدينة ، وصعد حوالي ستون من رجالنا السلم ووزعوا أنفسهم علي البرجين اللذين يحرسهما فيروز .

أما فيروز فقد أصابه الفزع حين شاهد الفرنج في نفر قليل وصاح متخوفاً أن يقع هو ورجالنا في قبضة الترك : " Micho Francos Echome " (١١) . ومعناها " لدينا عدد قليل من الفرنجة " . وأطرد مستفسراً : " أين بوهيمند ؟ أين ذلك الفارس الذي لايقهر ؟ " (١٢) .

وأثناء ذلك هبط أحد الضباط – من جنوب إيطاليا – السلم مندفعاً ناحية بوهيمند صارخاً : " يا أيها الرجل ! لماذا تقف هنا ، أيها الرجل الحكيم ؟ لماذا أتيت إلي هنا ؟ انظر ، لقد استولينا بالفعل علي ثلاثة أبراج " .

سارع بوهيمند ومن معه من بقية الصليبيين مبتهجين سعداء بالتوجه معاً نحو السلم . وما أن لمح الصليبيون الذين احتلوا الأبراج الإمدادات حتي هتفوا : "إنها إرادة الله " ، ورددنا هتافهم (١٣) . وفي الحال بدأ المسيحيون تسلق السلم بطريقة مدهشة مندفعين نحو الأبراج ، وبمجرد أن وصلوا إلي أعلي السور اندفعوا

نحو الأبراج الأخري (١٤) . وبسرعة ، أجهزوا علي كل حراس الأبراج بما فيهم شقيق فيروز .

وأثناء ذلك تصادف أن تحطم السلم ، ومن ثم اغتم الجميع وأصابنا الذهول وتملك منا الحزن . وبالرغم من تحطم السلم ، فقد كانت هناك بوابة علي مقربة منا جهة اليسار لم يكن أحدنا يدري عنها شيئاً بسبب الظلام الدامس ؛ ولكن بالبحث الدقيق وبعد أن تحسسنا الطريق حولنا عثرنا عليها ، واندفعنا نحوها ، وحطمناها ، واقتحمناها إلي داخل أنطاكية . وفي الحال كسرت الصمت صيحات عديدة . وأمر بوهيمند دائم النشاط بأن يرفع علمه المجيد علي التل المواجه للقلعة ، وبالفعل كان نواح سكان أنطاكية قد ملأ المدينة (١٥) .

وعند شروق الشمس تسابق الصليبيون ، الذين كانوا في خيامهم خارج أنطاكية ، عند سماعهم الصرخات الحادة داخل المدينة ، وشاهدوا علم بوهيمند يرفرف أعلي التل . وعندئذ ، اندفعوا وأسرع كل منهم نحو البوابة المحددة له ودخلوا المدينة ، وأعملوا القتل في الترك والمسلمين الذين صادفوهم فيما عدا أولئك الذين لجأوا إلي القلعة . وفرّ بعض الفرسان الأتراك عن طريق البوابات الوسطي ونجوا بأرواحهم بالهروب . ولاذ ياغي سيان حاكم أنطاكية بالفرار بصحبة بعض قواده وقد ملأهم الخوف من الفرنج (١٦) . ودخل ياغي سيان وصحبه أثناء هروبهم المنطقة التي يعسكر فيها تنكريد ، القريبة من المدينة ودخلوا إحدي القري واختبأوا في أحد بيوتها ، نظراً للإرقهاق الذي أصاب خيولهم . وسرعان ماتعرّف السكان من الأرمن والسريان علي ياغي سيان ، فقبضوا عليه وضربوا عنقه في الحال ، وحملوا رأسه إلي بوهيمند ، ونظير ذلك نالوا حريتهم كما باعوا غمد سيف ياغي سيان وجرابه بستين بيزنطاً (١٧) . وقد وقعت هذه الأحداث في يوم الخميس الثالث من يونيو . واكتظت شوارع أنطاكية بجثث القتلي المتعفنة التي لم يتحمل أحد رائحتها ، ولم يكن في استطاعة أحد أن يرتاد الشوارع دون أن يتعثر في الجثث .

وكان كربوغا ، قائد جيوش سلطان فارس (١٨) لا يزال في خراسان حين بعث إليه ياغي سيان من قبل بعدة رسائل ، يحثه فيها علي المجئ في الوقت المناسب لأن جيشاً فرنجياً باسلاً لايقهر قد حصر أنطاكية . ووعد ياغي سيان بتسليم أنطاكية لكربوغا فوراً أو بمنحه ثروة عظيمة إذا ما سارع بتقديم العون له . ومن ثم بدأ كربوغا رحلته الطويلة من خراسان إلي أنطاكية علي وجه السرعة ، لأنه كان قد جند بالفعل جيشاً كبيراً منذ فترة طويلة ، وكان قد حصل علي تصريح من الخليفة ، بابا المسلمين ، بقتل المسيحيين (١٩) . وانضم إلي كربوغا كل من أمير بيت المقدس بجيشه ، وملك دمشق بجيشه الجرار (٢٠) . كما جمع كربوغا أعداداً لاتحصي من الوثنيين من كل الأطراف ، وهم من الترك ، والعرب والمسلمين ، والبيالصة والأرمن ، والأكراد ، والفرس ، والقوقازيين ، إلي جانب شعوب كثيرة لا أستطيع تحديد أجناسها أو إحصائها (٢١) . وكان هناك ثلاثة آلاف من القوقازيين الذين لايخشون الرماح أو السهام أو السيوف لتدثرهم وخيولهم بالدروع الحديدية ، وكانوا يقاتلون بالسيف فقط .

وقد جاء هذا الجيش لحصار أنطاكية بقصد تشتيت الغزاة الفرنج . وعند اقترابهم من أنطاكية قابلهم شمس الدولة ابن ياغي سيان ، واندفع نحو كربوغا وتوسل إليه باكياً بقوله : " أيها الأمير الذي لايقهر ، أتوسل إليك خاشعاً أنشد رأيك بخضوع تام حتي تقدم لي العون . فكما تري ، فقد حاصرني الفرنجة من كل جانب وأنا في قلعة أنطاكية . وقد أصبحت المدينة الآن في قبضتهم ، ويطلبون منا الجلاء عن آسيا الصغري وبلاد الشام ، نعم ، وحتي عن خراسان . وقد حققوا كل ماكانوا يبغون ، وبعد أن قتلوا أبي ، فليس أمامهم إلا أن يقتلونني ، ويقتلونك ، ويقتلون كل رجالك ، ويقضون علي جنسنا كله بالسيف . وقد انتظرت قدومك لفترة طويلة ، وأنا غـــير متأكد ما إذا كنت ستقدم لي العون في محنتي هذه" .

ووعده كربوغا قائلاً : " إذا كنت تبغي تعاوني الصادق معك ومساعدتي لك في هذا الخطر فعليك إذن أن تسلمني القلعة ، وستري كيف سأكون عوناً لك ، وسأجعلها في حراسة رجالي " .

ورد شمس الدولة علي كربوغا قائلاً : " إذا كان في إمكانك القضاء علي كل الفرنجة وتضرب أعناقهم ، وتحضر إلي رؤوسهم ، فسوف أسلمك القلعة المذكورة ؛ وفي النهاية ، سأدين لك بالولاء والطاعة وسأقوم بحماية القلعة بإخلاص " .

وأمره كربوغا قائلاً : " لا يتعين لك أن تجلس هنا وتفكر بالأمر وتتدبره . عليك أن تسلمني القلعة فوراً " . وهكذا سلم شمس الدولة القلعة إلي أتابك الموصل علي مضض (٢٢) .

وفي اليوم الثالث من دخولنا أنطاكية ، ظهرت طلائع جيش العدو أمام المدينة (٢٣) . وعسكر الجيش الرئيسي لكربوغا عند جسر نهر العاصي . وحاصروا أحد الأبراج ، وذبحوا كل المدافعين عنه باستثناء قائد الحامية الذي عثرنا عليه مقيداً بالأصفاد عقب المعركة الكبري . وفي اليوم التالي تحرك جيش الوثنيين ، ونقلوا معسكرهم بالقرب من أنطاكية ، فيما بين رافدين لنهر العاصي وبقوا هناك لمدة يومين (٢٤) .

وبعد أن تسلم كربوغا القلعة ، استدعي علي الفور أحد أمرائه (٢٥) ، توسم فيه الصدق ودماثة الأخلاق والمسالمة وخاطبه قائلاً : " أريدك أن تقوم بحراسة القلعة بكل إخلاص ، لأنني أعرف من زمن بعيد أنك أجدر رجالي بثقتي ، وأرجو أن تقوم علي حمايتها بحيطة تامة . وحتي الآن فإنني أعرف أنك تحسن أداء واجباتك ، ولن أجد من يفوقك صدقاً وشجاعة " .

وتردد الأمير قائلاً : " كنت أفضل أن لا أقوم بهذه المهمة ، ولكن باقتناعي بما سمعته منك ، فسوف أقبل القيام بهذه المهمة شريطة أن أسلم القلعة للفرنج إذا

ما انتصروا عليك في معركة فاصلة " (٢٦) .

فرد كربوغا وقد اقتنع برأيه قائلاً : " إنني أعرف أنك أمين وحكيم وأوافق علي كل ما ستفعله من أعمال نافعة " . وعاد الأتابك إلي جيشه ، الذي كان معسكراً في أحد الأودية . وفور ذلك ، أحضر الترك أمام كوبرغا ، بقصد السخرية من الفرنج ، سيفاً رخيصاً شنيع المنظر وقد علاه الصدأ ، وقوساً خشبياً ، ورمحاً غير صالح للاستعمال كانوا قد أخذوه من بعض فقراء الحجاج .

وقال هؤلاء المحاربون : " انظر إلي الأسلحة التي يحملها الفرنج لقتالنـــا "(٢٧) .

وضحك كربوغا ساخراً من مظهر الأسلحة الحقيرة وخاطب الحاضرين قائلاً : "هـذه هي الأسلحة الحربية اللامعة التي حملها الصليبيون إلي آسيا . فالصليبيون أصلاً من الأراضي الغربية ، وأقصد بذلك أوربا ، وهي جزء ثالث من العالم (٢٨) . ويعتقد الصليبيون وكلهم ثقة بأنهم يستطيعون أن يطردوننا ويطاردوننا بمثل هذه الأسلحة فيما وراء خراسان ويمحون أسماءنا فيما وراء أنهار الأمازون (٢٩) . وقد طردوا بالفعل إخواننا من آسيا الصغري وإقليم أنطاكية ، عاصمة الشام الشهيرة " .

ومن ثم استدعي كربوغا كاتبه الأمين وأمره قائلاً : " اكتب ، اكتب بسرعة عدة رسائل لتقرأ في خراسان ، أعني : إلي الخليفة وإلي كل فرسان خراسان الحكماء ، لكم منا دائماً كل تحية وتكريم (٣٠) . أسعد الله أوقاتكم ، ومتعكم بخيره ، ورفع شأنكم ومكانتكم في كل البلاد . دعوا كل شخص ينغمس في ملذاته وترفه وابتهجوا بالمجاب الذرية التي ستقاتل الصليبيين بجسارة . وأعرضوا هذه القطع الثلاثة من السلاح التي أخذناها من بعض الفرنجة لتعرفوا أي أنواع الأسلحة يحملها الفرنج لقتالنا (٣١) . إخبرهم كم هي جيدة الصنع هذه الأسلحة لتتصدي لأسلحتنا التي تفوقها نقاءاً وقوة مثل الذهب والفضة (٣٢) . اخبرهم أنني حاصرت

الفرنج جميعاً في أنطاكية ، فلدي منافذ كثيرة إلي القلعة ، بينما هم أسفل المدينة فهم الآن في قبضتي ، وسأقتلهم وسأبعث بهم أسري أذلاء إلي خراسان لأنهم هددونا بالطرد فيما وراء حدود خراسان وبالقضاء علينا جميعاً فيما وراء أنهار الأمازون وبإلقائنا فيما وراء أعالي الهند ، كما طردوا كل إخواننا من آسيا الصغري وبلاد الشام (٣٣) . ومن ثم ، فإنني أقسم بمحمد (صلي الله عليه وسلم) وبأربابنا جميعاً(٣٤) أنني لن أمثل أمامكم حتي استولي بساعدي الأيمن علي مملكة أنطاكية وكل بلاد الشام ، وبلغاريا ، نعم ، حتي أقليم أبوليا تكريماً لآلهتنا ، ولكم، ولكل ذرية الترك (٣٥) . وهكذا اختتم ملاحظاته للكاتب .

هوامش الفصل السادس

(١) يقرر توردیبود هنا - كما فعل مؤلف الجستا - أنه لايمكنه أن يدّعي الوقوف علي كل ماجري من أحداث ،قبيل سقوط أنطاكية ، تتعلق بالعلاقة بين بوهيمند وفيروز وبالإتفاق الذي جري بينهما . كما يقرر أنه لايوجد - من بين الفرنج - من توفرت لديه المعلومات الخاصة بذلك . كما أورد فولشر أوف شارتر رواية تنم عن إيجازه لروايه كل من توديبود ومؤلف الجستا ، حيث كان غائباً في الرها مع سيده بولدوين . أما ريموندا جيل ، فقد سجل روايته عن ذلك في إيجاز شديد ، وتوحي روايته أن فيروز قد اتفق علي تسليم أنطاكية مع قادة الفرنج بصفة عامة ، دون توضيح دور بوهيمند في استدراج فيروز ، ودون ذكر تفاصيل وتطور العلاقة بين بوهيمند وفيروز. وربما قصد ريموندا جيل أن يسجل روايته بمثل هذا الإيجاز حتي يبخس بوهيمند حقه في توفير الفرصة لدخول الفرنج أنطاكية بسهولة . ومن الواضح أن إيجاز ريموندا جيل - إلي جانب موقفه من بوهيمند - وأن اعتراف توديبود ومؤلف الجستا بعدم توفر المعلومات لديها عن هذا الحدث ، من الواضح أن كل هذا يرجع إلي أن المؤرخين الثلاثة - مثلهم في ذلك مثل بقية الفرنج وقادتهم - لم يكونوا يعلموا شيئاً عن العلاقة بين بوهيمند وفيروز ، كما لم يعلم أحد غير بوهيمند بنوايا فيروز، لأن بوهيمند تكتم الأمر، ولم يخبر قادة الفرنج عن وسيلته لدخول أنطاكية إلا عشية الهجوم عليها (٢ يونيو ١٠٩٨م) حتي يتسني له فرض شروطه عليهم بالتسليم بأحقيته في امتلاكها دون غيره منهم ، والتغاضي عن حقوق بيزنطة في المدينة . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة : ص ٦٥ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١١٩ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 44 ; Falcher of chartres, pp. 98 - 99.

(الترجمة العربية) .

(٢) فيروز . أطلقت عليه أسماء عديدة مثل Firus, Pirus, Pyrus, Pyrrhus, Firous, Feirus وغيرها من الأسماء . ويطلق عليه ريموندا جيل تركي ماعدا المخطوط B الذي يسميه Turcatus . وتقبل روزالين هيل هذه القراءة للاسم . وتعتقد أنه كان تركياً مرتداً . ويري فولشر أنه أرميني أصبح مسلماً . انظر : Fulcher, ed. Fink, 1969, p. 98, Fn. I ; Raymond d'Aguilers, p. 46 , Fn. 16 ; p. 47 , Fn. 1.

ويأخذ بريبه برواية جيرت عن نشاطات فيروز بعد سقوط أنطاكية . انظر : Bréhier, Gesta , p. 101 , Fn. 4.

(٣) جاء بوهيمند وقد بدت عليه علامات الرضا وسكون البال . انظر : Missal,Postcommunion.

(٤) يستخدم توديبود ومؤلف الجستا تعبيرات Ingenio "يستولي علي" و Ingeniare "يدبر" . ويستخدم بريبه كلمة Ingeniare بمعني يشن هجوماً علي أنطاكية . انظر : Bréhier, Gesta, p. 101 , Fn. 5.

- ترجمت روزالين هيل هاتين الكلمتين بنفس المعني الذي استخدمه المترجمان هنا . انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 44 .

راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٦٦ .

(الترجمة العربية) .

(٥) ترجمنا كلمة Honorem بمعني أملاك Possessions . انظر مقالتنا : Hill and Hill , 1953. pp. 322 - 327 .

وقد كان الإقتراح في ٢٥ مايو ١٠٩٨ م . انظر : H. Chr. 260 .

- ترجم كل من بريبه وروزالين هيل هذه الكلمة بمعني " شرف " .

=

"إذن دعنا نتقاسم شرف الإستيلاء عليها . انظر : مجهول:أعمال الفرنج ، ص ٦٦.
راجع أيضاً: . Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill , pp. 44 - 45
(الترجمة العربية) .

(٦) القوقازيين Agulani . انظر : حاشية رقم (١٧) ، من الفصل رقم (٣) .
والبيالصة فرقة من الفرق التي تأخذ بمبدأ الإثنوية والتي انتشرت بأعداد كبيرة في أرمينيا . وكأعداء ، كان الأرمن والمارونيين هم الذين أطلق عليهم Azymites . ويشتق الإسم من الكعك غير المخمّر الذي كان يستخدمه اليهود . وكان يسمي بالخبز الميت . وينطبق لقب Azymites علي اللاتين والأرمن والموارنة الذين يحتلفون بالقربان المقدس بالخبز غير المخمّر .
انظر: The Catholic Encyclopedia, 2 , New York 1907 , pp. 171, 172.

وقد جاء ذكر القوقازيين والبيالصة في ؛ La Chanson d'Antioche provencale in Archives de Forient latin, 2, p. 490 والجيش الذي ورد عنه هذا الخبر هو جيش كربوغا أتابك الموصل .

(٧) يقرر ريموندا جيل أن كل القادة الصليبيين قد عرضوا أنطاكية علي بوهيمند ماعدا ريموند كونت صنجيل في يناير . انظر : Raymond d'Aguilers,p.37.

وكان قبول عرض بوهيمند في ٢٩ مايو ١٠٩٨ م . انظر : . H. Chr. 262

(٨) ٢ يونيو ١٠٩٨م . انظر : . H. Chr. 264

(٩) هناك عدة قراءات لهذه الرواية فمخطوطات الجستا تستخدم "الجبل الغربي" dextram montanam ومخطوطات توديبود تستخدم " الجبل الأيسر " sinistram montaneam . انظر : Bréhier, Gesta, p. 104.

(١٠) ٣ يونيو ١٠٩٨م . انظر : . H. Chr. 265

(١١) انظر : . Bréhier, Gesta , p. 106 , not ed . and p. 107 , Fn. 1

ويستعمل مخطوط A من مخطوطات توديبود كلمة " قليل " Micho . بينما يستعمل مؤلف الجستا كلمة " قليل " Micro . وقد استخدمت عبارات يونانية إلي جانب الترجمة اللاتينية . انظر : Rabanus, De Universo,420 .

(١٢) الفارس الذي لا يُقهر (invictus) ، استخدمت هذه العبارة لوصف بوهيمند . وهي عادة مايستخدمها الكهنة . انظر : Breviary, Hymn, Invicte Martyr, unicum, Britt, 1936, p. 326.

(١٣) عن (Deus lo vult) إنها إرادة الله . انظر : ;Grand gent, 391, 392 Schwan - Behrens, # 10 (4a).

(١٤) يقرر توديبود هنا أنهم صعدوا إلي ثلاثة أبراج . ويحذف مؤرخ الجستا هذه التفاصيل .

- " والآن بدأ عدد مذهل من الرجال في التسلق ، وصعدوا وأسرعوا إلي الأبراج الأخري " هذه هي عبارة لمؤلف الجستا . انظر : Gesta Francorum,ed.Rosalind Hill, p. 47.

(الترجمة العربية) .

(١٥) كان علم بوهيمند أحمر اللون . انظر : Fulcher of Chartres, ed. Fink,1969, p. 99 ; Albert, p. 404 .

(١٦) تتطابق تفاصيل الإستيلاء علي أنطاكية مع الروايات الأخري .

انظر : .Raymond d'Aguilers, pp. 47; Fink, op. cit., pp. 98 , 99 =

= وكان يطلق علي ياغي سيان أسماء Cassianus, Gitcianus, Axoianus إلي جانب أسماء أخري أطلقها عليه المؤرخون اللاتين . وكان ياغي سيان هو حاكم أنطاكية ووالد زوجة رضوان ملك حلب .

- في بداية الصراع الذي نشأ بين رضوان ملك حلب وأخيه دقاق ملك دمشق وهما ولدا تاج الدولة تُتُش ، كان ياغي سيان منحازاً لصف دقاق لخلافه مع جناح الدولة صاحب حمص وأتابك رضوان . وبعد فترة قصيرة حدث خلاف بين رضوان وأتابكه الذي ترك حلب واستولي علي حمص ، فبادر ياغي سيان من فوره بعرض خدماته علي صاحب حلب وأقام نفسه أتابكا له وزوجة من ابنته . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٣ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ . راجع أيضاً : جوزيف نسيم يوسف : الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي ، الأسكندرية ، ١٩٦٦م، ص ١٣ - ١٤ .

(الترجمة العربية) .

(١٧) البيزنط نسبة إلي بيزنطة وكان يساوي خمسة سنتيمات ($\frac{١}{٢٠}$ من الفرنك) ذهبية أو يساوي الـ hyperperon البيزنطية . انظر : Bréhier, Gesta,p.95, n. 5.

- حتي قيام الحملة الصليبية الأولي كان النظام النقدي في غرب أوربا يختلف عن مثيليه في بيزنطة والشرق الأدني الإسلامي . فلم يكن الذهب يستعمل في سك العملات في غرب أوربا . ولم يكن في الشرق سوي النوميسما البيزنطية ، التي أطلق عليها اللاتين البيزنط Bezant نسبة إلي بيزنطة ، والدينار الإسلامي الذي ضربه لأول مرة الخليفة عبد الملك بن مروان في عام ٧٤/٧٥ هـ . وكان البيزنط أو الدينار البيزنطي مساوياً للدينار الإسلامي في وزنه (٤٫٤٥ جرام ذهباً = ٦٦ حبّة) . وأول من ضرب البيزنط كان =

= الإمبراطور قسطنطين الأول (وكان وقتها يساوي ٥ر٤٥ جرام ذهباً) . وبقي علي هذا الوزن حتي عهد الأباطرة المقدونيين الأوائل . وكان أول تخفيض يحدث لقيمة البيزنط كان في عهد الإمبراطور نقفوز فوقاس (٩٦٣ - ٩٦٩ م) والإمبراطور حنا تزمسكيس (٩٦٩ - ٩٧٦ م) . وبعد ذلك ، أطلق علي البيزنط اسم هيبربيرون hyperperon (المنقاة بالنار) . وبعد استيلاء الفرنج علي القسطنطينية في عام ١٢٠٤ م ، اضمحلت قيمة البيزنط بشكل كبير . وقد أصدر أباطرة نيقية البيزنطيون عملات ذهبية تساوي ثلثي وزن البيزنط السابق . وبعد أن استرد ميخائيل الثامن باليولوج العاصمة البيزنطية في عام ١٢٦١ م ، أصدر عملته التي كانت تساوي $\frac{٩}{٢٤}$ من قيمتها ذهباً . كما عرف الدينار البيزنطي في غرب أوربا بالصولدي Solidus . ومن الصعب تحديد قيمة الصولدي الذي بقي متداولاً في غرب أوربا حتي القرن ١٦ م نظراً لاختلاف وزنه باختلاف الزمان والمكان. كما ظهر في الشرق أيضاً الدينار الفاطمي ، الذي كان متداولاً في بلاد الشام زمن الحملة الصليبية الأولي . وكان أخف وزناً من مثيليه الأموي والبيزنطي (٤ : ٠٦ر٤ جرام ذهباً) . وكانت الدنانير التي سكها الأيوبيون والمماليك أخف وزناً وأقل نقاءاً من الدنانير الإسلامية السابقة (ضرب صلاح الدين دراهم صنعت من ٥٠٪ فضلة و ٥٠٪ نحاساً) . أما الدينار الأيوبي في عهد بيبرس فقد وصل وزنه إلي ٨٧ر٣ جراماً من الذهب. وحين قدم الصليبيون إلي بلاد الشام شرعوا في ضرب دنانير ذهبية خاصة بهم ، مقلدين فيها الدينار الفاطمي (أقل من ثلثي وزنه) . ويبدو أن ضرب هذه العملة في مملكة بيت المقدس قد تم في عهد الملك بولدوين الأول (١١٠٠ - ١١١٨م) . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي علي بلاد الشام ، الاسكندرية ١٩٨٩م ، ص ٢٠٤ ، هامش رقم (١) ؛ ناصر النقشبندي : الدينار الإسلامي ، مجلة سومر ، بغداد ١٩٤٥م ، جـ =

= ٢، ص ١١٨ - ١١٩ ؛ راجع أيضاً : R. Lopez, The Dollar of the Midlle Ages, in J. E.. H. , vol. XI, 1951, no. 3, pp. 211 - 213; A. S. Ehrentreutz, Arabic Dinars Struck by the Crusaders, in J. E. S. H. O. vol. 7, 1964, pp. 169 - 170; R. Lopez, Back to Gold, in E. H. R. , vol. 9, 1957, pp. 219 - 221 .

ويقدم الأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع أشمل دراسة عن العملات الإسلامية في مصر منذ عهد الطولونيين وحتي العهد المملوكي . انظر : H. Rabie, The Financial System of Egypt , A. H. 564 - 741 , A. D. 1169 - 1341, London , 1972, pp. 162 - 197.

(١٨) كان يحكم إمبراطورية السلاجقة السلطان بركياروق (١٠٩٤ - ١١٠٥م).

(١٩) كان الخليفة العباسي في ذلك الوقت هو الخليفة المستظهر (١٠٩٤ - ١١١٨م) .

- اعتاد المؤرخون اللاتين علي الإشارة إلي خليفة بغداد - حتي نهاية الوجود الصليبي في بلاد الشام - علي أنه البابا بالنسبة للمسلمين . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨٨ .

(الترجمة العربية) .

(٢٠) انضم سقمان بن أرتق أمير آمد إلي قوات كربوغا .

- خرج كربوغا حاكم الموصل بقوات كبيرة ، وأمضي الثلاثة أسابيع الأولي من شهر مايو ١٠٩٨م / جمادي الآخرة ٤٩٢ هـ في حصار فاشل لمدينة الرها . ثم وصل إلي مرج دابق حيث اجتمع إليه كل من دقاق ابن تتش ملك دمشق وأتابكه طغتكين ، وأرسلان تاش صاحب سنجار ، وسكمان بن أرتق ، وغيرهم من الترك والعرب بقيادة وثاب بن محمود الأرتقي . ولم ينضم =

= إليهم رضوان ملك حلب لخلافة مع أخيه دقاق ، وربما خوفه من أن يترك حلب فيستولي عليها دقاق . فضم كربوغا إلي حلفه جناح الدولة صاحب حمص الذي كان علي خلاف مع رضوان . وأكد رضوان ، بعدم انضمامه إلي الحلف الإسلامي لإنقاذ أنطاكية ، فساد سياسته في اللحظة التي كانت تحدد مصير الشام بأكمله . انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٤ ك ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ : ١٣٦ . راجع أيضاً : Fulcher of Chartres, p. 101 .

(الترجمة العربية) .

(٢١) كان يطلق علي الأكراد اسم Curti . وهم شعب قبلي من الرحُل أقاموا في بلاد الشام . انظر : . Bréhier, Gesta, p. 111 , Fn. 4

(٢٢) يعتبر حديث شمس الدولة تكوين أدبي من عمل رجل كنيسة . ويعتقد بريبه ، الذي يحاول غالباً أن يجعل الكتابات الكنسية قابلة للتصديق، يعتقد أن الجواسيس هم الذين جلبوا هذه الرواية . وهذا بالنسبة لنا بعيد الإحتمال . خاصة وأن الأسلوب قد كسته كلمات كهنوتية ، أغلبها عن طريق الإقتباس من الصلوات . انظر : Blaise, Passim , Bréhier, Gesta, p. 113 , Fn. 5.

(٢٣) عسكر الجيش الرئيسي لكربوغا في ٥ يونيو ١٠٩٨م . انظر : H.Chr.,270 .

(٢٤) نصب كربوغا خيامه عند ملتقي نهر العاصي ونهر الأسود Kara-sou . وبقي هنا خلال السادس والسابع من يونيو . انظر : H.Chr., 272 , 273

(٢٥) أحمد بن مروان هو متولي أمر القلعة . وبعد الهزيمة التي وقعت بكربوغا ، سلم القلعة وارتد إلي المسيحية . ومن المحتمل أن يكون هو الأمير الذي شارك في هذا الحوار . انظر : Hagenmeyer, Gesta, p. 318,Fn.39. =

= بعد سقوط أنطاكية في أيدي الصليبيين بعث شمس الدولة بن ياغي سيان إلي كربوغا يطلب مساعدته ، فأجبره كربوغا علي تسليم القلعة إلي أحمد بن مروان ، وهو أحد أتباع كربوغا المخلصين . وبقي ابن مروان يدافع عن القلعة حتي سلمّها إلي بوهيمند بعد هزيمة كربوغا في ٢٨ يونيو ١٠٩٨م / ٢٦ رجب ٤٩٢ هـ ، ورحيله إلي الموصل . هذا مارواه ابن العديم. وهو يثبت أن الحوار المذكور كان بين كربوغا وشمس الدولة بن ياغي سيان وليس بينه وبين ابن مروان . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٣٦.

أما عن مسألة ارتداد بعض المسلمين عن الإسلام ، الذي يرد في المصادر اللاتينية التي عالجت تاريخ الحروب الصليبية ، فتكتنفه الشكوك . ويحتاج لدراسات متأنية . فنجد ريموندا جيل مثلاً يذكر أن مسلمي عزاز قد ارتدوا عن الإسلام وطلبوا مساعدة فرنج الحملة الأولي ضد سلاجقة حلب . وهذا بعيد عن الحقيقة . فكل ماحدث أن ابن عمر صاحب عزاز كان قد خرج عن طاعة سيده رضوان ملك حلب السلجوقي . واستنجد بالفرنج بعد أن قام رضوان بحصار عزاز . وبحضور الفرنج ، اضطر رضوان إلي رفع الحصار عنها . وأمر الفرنج ابن عمر علي أملاكه . واتخذه كونت صنجيل فصلاً من أفصاله. وهذا يدل علي أن المسلمين - المنقسمين علي أنفسهم - قد بدأوا يميلون إلي أن ينالوا مساعدة الفرنج في منازعاتهم مع إخوانهم المسلمين ، كما يدل علي أن الفرنج أنفسهم بدأوا يميلون إلي أن ينتمي إليهم أتباع مسلمون مما يسهل لهم تحقيق أطماعهم في المنطقة . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٤١ . راجع أيضاً : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة، ص ١٥٥ . وأيضاً : Albert d'Aix, pp. 435, 449. CF. also, Runciman, A History, vol. 1 , p. 257.

راجع أيضاً مايتقدم ، هامش (٤٤) من الفصل الثامن . (الترجمة العربية).

(٢٦) مؤلف هذه المحادثة كان علي علم بالأحداث التي وقعت بعد هزيمة كربوغا.
انظر : . Hagenmeyer, Gesta, p. 318 , Fn. 39

(٢٧) كان من المألوف لدي الوثنيين أن يسخروا من المسيحيين كما كان يُسخر من المسيح . والقصة كلها مفتعلة بغرض إضفاء الأهمية علي هذه الرواية.

- ليس هناك - بالطبع - أي نص في المصادر اللاتينية أو غيرها من المصادر التاريخية يشير إلي سخرية المسلمين من المسيح - عليه السلام - وربما يسخر المسلمون من الفرنج ومن سلوكياتهم أو طبائعهم كشعوب متخلفة حضارياً وليس كمسيحيين . والدليل علي ذلك ما سجله أسامه بن منقذ من ملاحظات في هذا الشأن . انظر : أسامه بن منقذ : كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتي ، برنستون ١٩٣٠. ، ص ١٦٩ - ١٨١ .

(الترجمة العربية) .

(٢٨) يكتب توديبود أن المسيحيين قد جاءوا من البلاد الغربية ، وهي أوربا ، جزء ثالث من العالم . ولايسجل مؤلف الجستا هذه المعلومات . وطبقاً للأسطورة، فإن العالم كان ينقسم إلي ثلاثة أقسام .

(٢٩) من المفروض أن نساء الأمازون المحاربات - حسب الأسطورة - كن يقمن علي ضفاف نهري Thermodon و Iris . انظر : Rabanus Maurus, De Universo, 343; Bréhier, Gesta, p. 117 , Fn. 1 ; Hagenmeyer, Gesta, p. 319 , Fn. 52 .

(٣٠) جاءت العبارة في أسلوب الخطابات اللاتينية الرسمية . وهذا يجعل الرواية تبدو أصلية وحقيقية . انظر : Apocalypsis B. Joannis 19 : 9 ; Hagenmeyer, Gesta, p. 320 , Fn. 55 ; Saint Ambrose, Epistolae, MPL. 16, 914.

- العبارة التي يذكر فيها مُحاور كربوغا أنهم طردوا أقاربهم من آسيا الصغري =

= وأنطاكية عاصمة بلاد الشام الشهيرة ، هي إشارة إلي مشروع تقفور فوقاس وحنا تزميسكيس في القرن العاشر الميلادي . وهذه ، علي أية حال، كانت مشاريع بيزنطية ليس للفرنج أي فضل فيها . انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 51 , Fn. 2 .

(الترجمة العربية) .

(٣١) يستعمل توديبود تعبير Gens Francia بينما يستعمل مؤلف الجستا تعبير Gens Francigena . ولايستخدم مؤلف الجستا هذا التعبير ليشير به إلي أهل شمال فرنسا . انظر : . Bréhier, Gesta , p. 116

(٣٢) قصة تنقية الأسلحة تظهر فقط في نسخة الجستا التي نشرها بونجارز وعند توديبود . انظر : . Prophetia Malachiae. 3 : 5

(٣٣) يحذف الجستا هذه العبارة . وإذا كانوا قد طردوهم إلي ماوراء جنوب الهند، فهذا يعني أنهم طردوهم من اليابسة كلها . انظر : Rabanus Maurus, De Universo, 335 .

- لاشك أن هذه العبارة شأنها في ذلك شأن كل المسميات الجغرافية التي ترد عند المؤرخين اللاتين عن أسماء المواقع والبلدان في الشرق الأدني تنم عن جهل المؤرخين اللاتين بجغرافية المنطقة .

(الترجمة العربية) .

(٣٤) كان لدي المسيحيين (الصليبيين) أفكار غريبة عن أن المسلمين كانوا يعبدون عدة آلهة .

- وهنا أيضاً يبدو جلياً جهل المؤرخين اللاتين وأيضاً الصليبيين بشكل عام بمبادئ الدين الإسلامي ، فهم يرون المسلمين دائماً مشركين بالله الواحد الأحد . وربما يرجع ذلك إلي الوصف الذي دأب بابوات روما علي ترديده وهم =

= يتحدثون عن المسلمين في خطبهم ودعواتهم إلي قيام الحملات الصليبية ضد العالم الإسلامي ليحثوا الفرنج في غرب أوربا علي الإشتراك في هذه الحملات والقضاء علي المسلمين . ومثال ذلك نجده في خطبة البابا أوربان الثاني في مؤتمر كلير مونت الكنسي . حيث يصف المسلمين بأنهم وثنيون مخالفون للرب وكفرة .. الخ . انظر : Robert Monachus, Historia Iherosolimitana, in RHC. - H.Occ., vol. 3 , p. 327 .

(الترجمة العربية) .

(٣٥) احتواء أبوليا يقودنا إلي أن نأخذ بأن المؤلف كان نورماندياً . انظر : Hagenmeyer, Gesta , p. 322 , Fn. 69 .

الفصل السابع

تحذيرات ، العرب والمسيحيين

وبعد ذلك بفترة قصيرة ، جاءت أم كربوغا التي كانت تقيم في حلب وسألته باكية : " يابني ، أحقاً ما سمعته من أخبار ؟ " [١] .

ورد إبنها : " أية أخبار ؟ " .

فقالت أمه : " سمعت أنك ترغب في قتال الفرنجة " .

ورد كربوغا قائلاً : " إذن فقد عرفت كل الحقيقة " .

فحذرته أمه قائلة : " أرجوك ياولدي ، باسم كل الأرباب [٢] وبحق طيبتك لاتفرح بفكرة التعجل بقتال الفرنجة لأنك فارس مغوار . حقاً ، إنني لم أسمع ذات مرة أنك قمت – أو جيشك – بعمل طائش [٣] . ولم يشاهدك أحد قط تهرب من ميدان قتال قبل أن تحقق النصر . وشجاعتك مشهود بها شرقاً وغرباً ، ويرتعد أقوي الفرسان لمجرد سماع إسمك . يابني ، كلنا نعرف تمام المعرفة أنك جندي باسل لايقهر ، خبير بأمور الحرب . وكل الشعوب مسحية كانت أو وثنية تتخلي عنها الشجاعة في وجودك . وبمجردالهمس بإسمك ، يهرب الجميع كما تفر الغنم حين تسمع زأير الأسد [٤] . أرجوك ، يا أحب وأغلي إبن ، خذ بنصيحتي ولاتكن متصلب الرأي ولا تقدم علي تنفيذ قرارك ، خاصة ميلك إلي الاشتباك مع الصليبيين في القتال " .

وبعد الاستماع إلي تحذير أمه ، رد كربوغا وقد استبد به الغضب : "ياأماه، أيه نصيحة هذه ؟ أعتقد أنك خبلت أو مسك الجنون . أنا بالفعل لدي من كبار الأمراء أو صغارهم أكثر مما ما لدي الصليبيين " .

وردت عليه أمه وهي تهدئ من ثورته (٥) : " ولدي العزيز . ليس في إمكان الصليبيين مقاتلتك ، لأنني علي يقين من أنهم ليسوا بالقوة التي تمكنهم من الاشتباك معك في القتال ؛ ولكن ربهم يقاتل كل يوم في صفوفهم ويحرسهم ليل نهار ، ويراقبهم كما يراقب الراعي غنمه ولن يسمح لأي شعب أن يؤذي أو يزعج قطيعه (٦) . وإذا أراد قوم أن يعادوا الصليبيين ، فإن ربهم هذا سوف يريك هؤلاء القوم المعادين لهم كما ذكر علي لسان داود : " شتت الذين لايصلون لك"(٧). وحقاً أنهم قل أن يخططوا للمعركة ، فإن رب المسيحيين المحارب القوي القادر وقديسيه ، يهزمون فوراً أعداءهم (٨) . وما أكثر ما سوف يوجهه إليكم من ضربات ، يامن أنتم أعداءه ، يامن تستعدون جميعاً لمعارضته بكل جسارتكم . ياإبنـي العزيز ، فلتعرف هذه الحقيقة : إن المسيحيين يدعون أبنـاء المسيح ، ولقد ذكـر الأنبياء أنهم أبناء الميعاد المختارون (٩) . وقد ذكـر النبي ، أنهم ورثة المسيح (١٠) . الذين منحهم المسيح بالفعل الميراث الذي وعد به في هذه الدنيا : "حدودكم من الشرق إلي الغرب " (١١) ، ولا يقف أحد في وجهكم ؛ فمن ذا الذي يستطيع أن يعارض أو ينكر هذه الأقوال ؟ ومن المؤكد ، إنك إذا حاربت المسيحيين؛ ستسحق ويلحق بك العار . كما أنك ستفقد كثيراً من جندك المخلصين وستخلف وراءك كل ماغنمته أنت ورجالك ، وستهربون جميعكم في رعب شديد . ولن تموت الآن في هذه الحرب ، بل ستفقد فيها كل ماتملك . وعلي أية حال ، أكرر لك أنك لن تموت الآن (١٢) . فالإله المسيحي ، طالما غضب ، لايدين المذنب في حينه ، بل إنه يوقع به العقاب الذي يستحقه . لذلك ، أخشي أن يقتص منك أشد القصاص ، وأقول لك الآن ، أنك ستموت في بحر هذا العام " .

وانتاب كربوغا حزن عميق (١٣) حين سمع تحذير أمه له . وسألها : " يا أمي العزيزة ، أود أن أعرف من أخبرك بهذه الروايات عن المسيحيين : كم مبلغ

حب ربهم لهم ، كيف يتأتي له أن يكون ذا عبقرية عسكرية فذة ، كيف سيتمكنون من هزيمتنا أمام أنطاكية ، كيف سيستولون علي مغانم عظيمة ، كيف سيسحقوننا وينتصرون علينا الانتصار العظيم ، وأخيراً ، كيف عرفت أنني سأموت فجأة هذا العام ؟ " (١٤) .

وأجابته أمه وقد إجهشت بالبكاء : " ابني العزيز ، تعرف أنه منذ أكثر من مائة سنة قد ذكر في القرآن وفي كتب جميع الوثنيين أن العالم المسيحي سيزحف ضدنا وسيدحرنا في كل مكان وسيحكم الوثنيين ، وسيخضع مجتمعنا للمسيحيين في كل أنحاء العالم ؛ لكنني لا أعرف متي سيحدث هذا . وأنا - إذ يعتصرني الحزن - لم أتردد في تتبعك من مدينة حلب الجميلة حيث كنت أرقب وأطالع النجوم بكل دقة . وبالتأمل الواعي وبفحص النجوم بعقل متفرس وبمساءلة البروج السماوية الاثني عشر وبالتنبؤات التي لاتحصي ، خلصت إلي أن الشعب المسيحي سيقهرنا أينما كنا . ولقد غمرني الحزن وأقعدني الغم ، وأخشي أن يطول أمد أمك التعسة بعد موتك " (١٥) .

وأضاف كربوغا متساءلاً : " أمي العزيزة ، فسري لي الأشياء التي لايمكنني تصديقها " .

وردت عليه قائلة : " ياعزيزي ، من دواعي سروري أن أفعل ذلك لو أمكنني فقط أن أعرف الأشياء التي لا تؤمن بها " .

ورد إبنها قائلاً : " هل حقاً أن بوهيمند وتنكريد هم آلهة الفرنج ويخلصونهم من جور أعدائهم ؟ وهل حقاً أنهما يأكلان ألفي بقرة وأربعة آلاف خنزير في وجبة الغذاء ؟ " (١٦) .

وشرحت له أمه الأمر قائلة : " يا إبني الحبيب ، من المؤكد أن بوهيمند وتنكريد لميتان مثل غيرهم من المسيحيين ، إلا أن ربهم حباهما بمزيد من حبه أكثر

مما حبا به غيرهما ، ويمنحهما كل يوم جسارة في القتال أكثر من غيرهما . فاسم ربهما هو القدير ، الذي صنع السماء والأرض ، وخلق البحر والعالم الذي يعيشان فيه ، الذي صُنع عرشه في السماء منذ الأزل ، وهو مرهوب الجانب في كل مكان"[١٧] .

وحكم إبنها علي نفسه قائلاً : " بالرغم من كل هذه الحقائق ، لن أوقف خططي لقتال المسيحيين " .

وعندما وقفت أمه التي غمرها الأسي علي موقفه المتصلب ، عادت إلي حلب حاملة كل ما أمكنها حمله من غنائم .

وفي اليوم الثالث من الحصار ، أجري كربوغا استعدادات المعركة ، وصحبه جيش تركي كبير إلي القطاع الذي تقوم فيه القلعة [١٨] . ولما كان لدينا انطباع بأننا نباريهم قوة ، فقد تأهبنا لخوض المعركة ؛ ولكنهم كانوا من القوة بحيث لايتسني لنا مواجهتهم ، ولذلك آثرنا الارتداد إلي داخل أنطاكية . ولقي الكثيرون من الهاربين من رجالنا حتفهم بعد أن عمت الفوضي والزحام بينما كانت البوابة ضيقة للغاية [١٩] .

واستمر المسيحيون يقاتلون حتيٰ غروب شمس يوم الخميس داخل وخارج أنطاكية [٢٠] . وبالمثل ، استمروا في قتال المسلمين طوال يوم الجمعة ، وقام الترك بذبح الكثيرين من رجالنا [٢١] . وفي ذلك اليوم ، جُرح أرفيدوس توديبود ، الفارس المغوار ، وحمله أصدقاؤه إلي داخل المدينة ، حيث عاش إلي يوم السبت . ورحل عن عالمنا من أجل المسيح فيما بين الساعة التاسعة صباحاً وظهر ذلك اليوم . وقام أخوه الراهب بدفنه أمام الباب الغربي لكنيسة الحواري المبارك بطرس . وتملك شقيقه وسائر المسيحيين فزع شديد من أن يلقوا حتفهم بضرب الترك لأعناقهم . ونبتهل أن يقدم من يقرأون هذا الكتاب أو من يستمعون إليهم الصدقات وأن

يؤدوا الصلوات من أجل روح أرفيدوس توديبود ومن أجل كل الأرواح التي فاضت خلال الرحلة إلي بيت المقدس (٢٢) .

وفي هذا اليوم ، تملك الخوف من وليم جراندمسنل ، وأخيه ألبريك ، وإيفو جراند منسل (٢٣) ، ووليم برنيلا (٢٤) ، وجويدو تورسللو ووليم (٢٥) شقيق ريتشارد ، ولامبرت الفقير (٢٦) ، عقب معركة الأمس ، التي استمرت حتي صلاة المساء وهبطوا الأسوار خلسة ، وهربوا تحت ستار الظلام إلي الساحل سيراً علي الأقدام . وأثناء هروبهم انسلخت أيديهم وأقدامهم حتي ظهرت عظامها . وتبعهم آخرون لا أعرف أسماءهم . وعند بلوغهم ميناء السويدية ، حيث رست السفن ، استفسروا من بحارتها قائلين : " فيم بقاؤكم هنا أيها التعساء ؟ فكل رفاقنا قد لقوا حتفهم ، وكدنا نحن نلحق بهم فقد أحدق الجيش التركي بأنطاكية من كل جانب" .

وعندما سمع البحارة هذه الأنباء ، تسمروا في أماكنهم مذهولين وقد استبد بهم الذعر ومع هذا ، فقد اندفعوا إلي سفنهم مبحرين بعيداً . في تلك الأثناء ، وصل الترك إلي الميناء وأعملوا القتل فيمن وجدوه من المسيحيين ، وأشعلوا النيران في السفن الراسية عند مصب نهر العاصي ، واستولوا علي مابها من مؤن . أما نحن الذين بقينا في أنطاكية لم يكن في مقدورنا أن نقاوم قوة الترك وأسلحتهم ، لذلك قمنا ببناء سور يفصل بيننا وبين القلعة وقمنا علي حراسته ليل نهار . وفي تلك الأثناء اشتد بنا الجوع حتي أكلنا جيادنا وحميرنا . وإلي جانب ذلك ، فقد استبد بنا فزع شديد من الترك حتي أن كثيرين من قادتنا أرادوا الهرب ليلاً كما فعل الذين تخلوا عنا من قبل (٢٧) .

وذات يوم ، بينما كان زعماؤنا مجتمعين أعلي التل المواجه للقعلة ، وقد ملأهم الحزن والألم ولايعرفون ماذا يفعلون ، إذ صعد إليهم قس يدعي ستيفن (٢٨) و قال : " سادتي ، ربما يسركم أن تسمعوا قصتي عما رأيته ذات ليلة

بينما كنت مضطجعاً في كنيسة القديسة مريم ، أم سيدنا عيسي المسيح ، إذ ظهر أمامي مخلّص العالم تصحبه أمه مريم ، وبطرس أول الحواريين . ووقف المسيح أمامي وقال : " ستيفن ، هل تعرفني ؟ " (٢٩) .

وأجبته : " كلا ! " .

وأثناء هذا الحوار ظهر فوق رأسه صليب كامل الهيئة . وسألني السيد مرة أخري قائلاً : " ستيفن ، هل تعرفني ؟ " .

وأجبته : " ليس في إمكاني التعرف عليك ، إلا أنني في الحقيقة أري صليباً فوق رأسك يشبه صليب مخلصنا " .

فقال لي السيد : " أنا مخلّصك " .

وفي الحال خررت ساجداً ، صارخاً ومتوسلاً في ضراعة أن يعيننا علي التصدي لحصار هذا الجنس الملعون لنا ، الذي حصرنا داخل أنطاكية . ورد السيد علي توسلاتي قائلاً : " لقد أحسنت مساعدتكم ، وأنا مستمر في مساعدتكم بدرجة كبيرة . وفي الحقيقة ، لقد سمحت لكم بأخذ مدينة نيقية والانتصار في كل المعارك التي خضتموها ؛ حتي أنني قدتكم حتي هنا ، وعانيت معكم الصعوبات الناتجة عن حصار أنطاكية (٣٠) . إلي جانب ذلك ، فقد أدخلتكم أنطاكية سالمين آمنين ، بفضل مساعدتي لكم في الوقت المناسب . ولكن كثير من المسيحيين إرتكبوا الفواحش وضاجعوا الوثنيات من النساء، وتصاعد النتن إلي عنان السماء.

" وحينئذ ركعت مريم العذراء والحواري المبارك بطرس أمام المسيح مبتهلين أن يقدم عونه لمن تبقي علي قيد الحياة من المسيحيين في كربتهم قائلين: "سيدنا ، لقد ظلت كنائسنا في قبضة الوثنيين زمناً طويلاً ، واقترفوا فيها شراً لايمكن التلفظ به ، وفي الحقيقة إذا ماتم طرد الأعداء بأيدي المسيحيين ، ستعم السعادة كل الملائكة في السماء " .

" ومن ثم ، أصدر إلي السيد تعليماته قائلاً : " ستيفن ، اخبر شعبي أن يرجع إليّ وسأعود أنا إليه : وبعد خمسة أيام سآمر باعظم مساعدة ممكنة للمسيحيين . وعلي كل أفراد الجيش أن ينشدوا يومياً " هوذا الملوك إجتمعوا " . بالإضافة إلي ذلك ، علي المسيحيين أن يقدموا كفارة . فعليهم أن يسيروا في المواكب حفاة الأقدام في كل الكنائس ، وأن يقدموا الصدقات للفقراء (٣١) . وعلي القسس أن يرتلوا القداس وأن يقيموا العشاء الرباني بجسد ودم المسيح . ثم يبدأون في القتال ، وسأقدم لهم مساعدة القديس جورج ، والقديس تيودور والقديس ديمتري ، وكل الحجاج الذين وافتهم المنية في الطريق إلي بيت المقدس"(٣٢) .

" حقيقة لقد أخبرني السيد بذلك . سادتي ، إن كنتم في شك من حقيقة رؤياي ، فسوف أعتلي برجاً عالياً وألقي بنفسي (٣٣) . وإذا كتبت لي النجاة ، فسوف تأخذون بروايتي كحقيقة . ومن ناحية أخري ، إذا ما مسني الضر بأي شكل ، فلتضربوا عنقي أو ألقوا بي في نار مشتعلة " .

ومنع أدهيمار القيام بهذا التحكيم وأمر بإحضار الكتاب المقدس والصليب ، وجعل ستيفن يقسم علي صدق ماقال .

وبعد هذا الحدث ، إجتمع قادتنا وقرروا حينئذ أن يقسموا علي أن لايهرب أحدهم من أنطاكية حياً أو يهرب من الموت أو يحاول إنقاذ حياته . وطُلب من بوهيمند أن يكون أول من يؤدي هذا القسم ، وأن يتبعه كل من الدوق جودفري ، وروبرت كونت الفلاندر ، والسادة الآخرون (٣٤) . وبالمثل ، وعد تنكريد أنه طالما توفر لديه أربعون فارساً فلن يتخلي عن مدينة أنطاكية أو الرحلة إلي بيت المقدس(٣٥) . ورفعت أنباء هذا القسم من معنويات الجيش المسيحي كله بدرجة كبيرة .

وقبل استيلائنا علي أنطاكية تمثل القديس أندرو لبطرس بارثلميو ، أحد حجاج جيشنا ، وخاطبه كما يلي : " أيها الرجل الطيب ، ماذا تفعل ؟ " وتساءل بارثلميو : " ومن عساك تكون ؟ ورد الزائر المقدس : " أنا الحواري أندرو " "يابني، انصت إلي هذه الحقيقة : لو أنك ذهبت إلي كنيسة القديس بطرس بعد أن تدخل أنطاكية ، ستجد حربة مخلّصنا ، عيسي المسيح ، التي جُرح بها بينما كان معلقاً بالصليب " . واختفي أندرو فوراً بعد هذه الكلمات .

ولأن بطرس بارثلميو كان يخشي الكشف عن عظات القديس أندرو ، فلم يروها لحجاجنا ، لأنه أدرك أنه قد شاهد رؤيا . وعاوده القديس أندرو وسأله : "لماذا لم تخبر الحجاج بتعليماتي ؟ " ورد بطرس : " ياسيدي من ذا الذي سيصدق هذا ؟".

وخلال دقيقتين ، أخذ القديس أندرو بطرس ، وحمله إلي أنطاكية حيث المكان المحتمل لاختفاء الحربة . " أنظر إلي هذه " . هكذا قال القديس أندرو وهو يسحب الحربة من الأرض ويضعها بين يدي بطرس وقال له : " هذه هي حربة سيدنا عيسي المسيح ، التي دفنتها أنا وأخي بطرس الحواري هنا . أنظر إليها " . ثم أعادها القديس بطرس إلي مكانها ، ثم خاطب بطرس بارثلميو قائلاً : " عد إلي الجيش " .

وسأله بطرس قائلاً : " ياسيدي ، كيف يتأتي لي أن أذهب وقد يقتلني الترك الموجودين أعلي أسوار أنطاكية بمجرد أن يلمحوني ؟ " .

فأمره الحواري قائلاً : " إمض ولاتخش شيئاً " .

وإذ ذاك بدأ بطرس في الرحيل عن أنطاكية ، ولم يتعرض له أفراد الحراسة الأتراك (٣٦) .

هوامش الفصل السابع

(١) أثار التماس أم كربوغا عدة مشاكل للمدافعين عن الدقة التاريخية للجستا.

انظر : Bréhier, Gesta , pp. vi - vii ; Hagenmeyer, Gesta, p. 323 , Fn. I .

فهم مجبرين علي القبول بأن هذه كانت قصة من قصص المعسكرات رددها فارس نورماندي كما تأخذ بهذا روزالين هيل . انظر : Rosalind Hill,1962,p.52.

أو الأخذ برأي بربيه بأنها مجرد إقحام علي النص قام به أحد الكهنة . وفي كلتي الحالتين فقد كشفت دراسة سطحية عن عدد كبير من العبارات الكنسية وأيضاً عن كتابة روائية كنسية .

- من المؤكد أن كل الحوار الذي دار بين كربوغا وأمه ، وأيضاً مادار - من قبل - من حوار بين كربوغا وشمس الدولة بن ياغي سيان ، ثم مادار بعد ذلك في معسكر الإمبراطور ألكسيس كومنين في فيلوميليوم من حوارات في منتصف يونيو ١٠٩٨م ، من المؤكد أن كل ذلك عبارة عن وصف تخيلي لمشاهد لم يراها المؤرخ . ولكنها نتاج لإنتقال الإشاعات والثرثرة بين الجنود في المعسكرات الصليبية خارج أسوار أنطاكية ، الأمر الذي تلائم في نفس الوقت مع إدراك المؤرخ لطبيعة أسلوب الكلام المطوّل الذي يتبعه البيزنطيون والمسلمون ، وهو مايتعارض مع أسلوب المؤلف المقتصد في استخدام العبارات لسرد رواياته ، حتي عندما يقدم لنا أحاديث بوهيمند إلي زملائه من قادة الفرنج . فالمؤرخ لايتوقع أن يتحدث كربوغا كما يتحدث بوهيمند أو تنكريد أو كونت صنجيل مثلاً . لذلك جاء الحوار مطولاً . حتي يوحي بأنه أصلي ودار بالفعل . ومع ذلك ، فإذا تمعنا في فقرات هذا الحوار ، نجد مايؤيد أنه من صنع المؤرخ ولم يكن حواراً حقيقياً . فهو يضع علي لسان أم =

= كربوغا الكثير من العبارات المقتبسة من الكتب المقدسة (التوراة والانجيل)

... هذا ما يكشف لنا عن عدم أصلية هذا الحوار. وربما تكون (١)

هذه العبارات المقتبسة من الكتب المقدسة هي السبب في ذهاب برنيه إلى أن

هذا الحوار قد أقحم على النص بواسطة أحد الكهنة، الأمر الذي لاتذهب

إليه روزاليند هيل انظر: Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. xv, xvi, 52.

وبعيداً عن القضايا السابقة المتعلقة بأصلية نص هذا الحوار، فالمتمعن فيه لابد وأن تبرز أمامه عدة جوانب أخرى هامة، فالمؤلف هنا يقدم لنا رواية تماثل روايات ريموند اجيل عن الرؤى وخاصة تلك المتعلقة بالحربة المقدسة، ويتيح لنا المؤلف بذلك الفرصة لمناقشة صحتها ودوافعه لإدراجها في القصة. فإذا كان ريموند اجيل قد هدف من سرد رواياته عن الرؤى والزوار السماويين الذين تجلوا لبعض أفراد جيش كونت صنجيل، كي يبرز الدور البروفنسالي في الحملة الصليبية الأولى. فإن المؤلف هنا يهدف إلى تأكيد الصبغة الدينية على هذه الحملة، وإثبات أنها عمل من أعمال الرب الذي يتولى الدفاع عن المسيحيين أطفاله الأثيرين، وتأكيد ثبوت ذلك لدى حكماء المسلمين ومنهم أم كربوغا، التي يضع على لسانها أيضاً ما يعطي الفرنج المغتصبين الحق في سلب الأراضي المقدسة من المسلمين.

إلى جانب ذلك، فإن الرواية تعكس لنا - بدون قصد من المؤرخ - مدى الدور البارز الذي أعطاه المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى للمرأة، فالمرأة المسنة العجوز هي المستشارة التي تحظى بكل الاحترام ...

انظر: Dorrya Fahmy, L'Histoire de France A Travers la Chanson, Alexandrie, 1950, p. 46.

= وعلى الجانب الآخر، فإن الرواية تعكس أيضاً سذاجة الفرنج الدينية وإيمانهم بالسحر =

= والخرافات . فالمؤرخ يجعل أم كربوغا تستطلع النجوم وتقوم بأعمال السحر وتتنبأ بالمستقبل وتعرف أن إبنها سيموت في نفس العام . وإذا كان المولف يستشهد بأم كربوغا المسلمة ، فإنه في مواضع أخري سيثبت لنا إيمانه - وإيمان بني جلدته من الفرنج - بالسحر والخرافات ، ومدي سذاجته الدينية بالرغم من أنه قد ألقي بتبعة ذلك علي أم كربوغا . فقد رأي الفرنج في هزة أرضية أو ظهور قطب شمالي أو خسوف للقمر أو كسوف للشمس أو سقوط شهاب من السماء في معسكر المسلمين تحذيرات أو علامات يعلن بها الرب لهم عن إرادته . وكانت سذاجة الفرنج الدينية التي جعلت ريموندا جيل ينجح في إقناع بعض فرنج الحملة الأولي بحقيقة الحرب المقدسة وروايته التي لفقها في هذا الشأن ، هي إحدي طبائع فرنج الحملات الصليبية ، وهو ما يعالجه بحث سنقوم علي نشره قريباً إنشاء الله .

(الترجمة العربية) .

(٢) أسماء كل الأرباب ، انظر : كتاب المزامير ، ٤٩ : ١ ؛ سفر الخروج ، ٢٣ : ١٣.

" بحق طيبتك" . انظر : كتاب المزامير ، ١١٨ : ٦٨ ؛ راجع أيضاً : Troper,p.21;Blaise, pp. 273 , 274 .

(٣) عمل طائش . انظر : الرسالة إلي أهل أفسوس ، ٥ : ١٧ .

(٤) تعبير الأسد الثائر كان موضوع الكتابة الكنسية دائماً . انظر : Prophetia Ezchilis, 22 - 25 ; Propheti Michaeae, 5 : 8 .

(٥) يذكرنا الحوار عند هذه النقطة بالحادثة التي تمت بين ربيكا ويعقوب . انظر : سفر التكوين ، ٢٧ .

(٦) يراقب الراعي غنمه . انظر : Prophetia Ezechielis, 34 : 12 ; Prophetia Jeremiae, 31 : 10 .

(٧) " شتت الذين لايصلّون لك " . انظر : كتاب المزامير ، ٦٧ : ٢ ، سفر العدد ، ١٠ : ٣٥ . ويستعمل الجستا كتاب المزامير ، ٧٨ : ٦ . أيضاً . انظر : Bréhier, Gesta, p. 120 .

(٨) عن " القدير " . انظر : . Blaise, pp. 254 - 255

(٩) " أبناء الموعد المختارون " . انظر : رسالة بولس إلي أهل رومية ، ٤ : ١٣ ؛ والرسالة إلي أهل أفسوس ، ١ : ٥ . والرسالة إلي أهل غلاطية ، ٤ : ٥ ، ٢٨ .

(١٠) " ورثة المسيح " . انظر : الرسالة إلي أهل غلاطية ، ٤ : ٧ ؛ رسالة بولس إلي أهل رومية ، ٨ : ١٧ .

(١١) " حددوكم من الشرق إلي الغرب " . انظر : كتاب المزامير ، ١١٢ : ٣ .

(١٢) مات كربوغا في عام ١١٠٢ م .

(١٣) " إنتابه حزن عميق " intimis visceribus تدل علي الشعور القوي . انظر: Blaise, p. 275 .

(١٤) " الموت فجأة " morte subitanea . انظر : Missal romanum Mediolani , 1444 , 2 . 1907 , p. 116 .

(١٥) لم نتمكن من التحقق من هذه التنبؤات . وقد قدم لنا القرن الحادي عشر كمًا كبيراً من النبوءات ، وكان أي رجل دين معتاد عليها لأنها جزء من مخزون قصصه . ويعتقد بريبه أن هذه النبؤات ربما تنسب إلي دانيال ، وإلي قارءات الطالع ، وإلي ليو الحكيم . انظر : Bréhier,Gesta,p.123.Fn.3

(١٦) نميل إلي الإعتقاد بأن هذه إشاعة جيدة . انظر : Baldricus Bolensis, Historia Jerusolimitana, in RHC - Occ, 4 , p. 63 .

(١٧) " الذي صنع السماء والأرض " . انظر : سفر التكوين ، ٢ : ٤ ؛ سفر الخروج ، ٢٠ : ١١ ؛ دستور الإيمان المسيحي .

(١٨) ٨ يونيو ١٠٩٨م . انظر : H. Chr., 276 .

(١٩) يقرر ريموندا جيل أن مائة رجل قد لقوا حتفهم . وهناك جدل أثير حول مكان القتال . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 50 .

- يفهم من رواية كل من مؤلف الجستا وتوديبود وريموندا جيل أن القتال وقع في الجهة الجنوبية من المدينة بالقرب من الجهة التي تقع بها قلعة المدينة . كما حدد ريموندا جيل عدد قتلي الفرنج بأكثر من مائة رجل .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٧٩ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٢١ - ١٢٢ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 56 .

(٢٠) ١٠ يونيو ١٠٩٨م . انظر : H. Chr. , 276 .

(٢١) ١١ يونيو ١٠٩٨م . انظر : H. Chr. 280 .

(٢٢) يحذف مؤلف الجستا هذه المعلومات . ولايذكرها أبداً ريموندا جيل . ويثبت ذكر أرفيدوس ، من المفروض أنه شقيق للمؤلف ، اشتراك توديبود شخصياً في الحملة الصليبية الأولي .

- نلاحظ أيضاً أن المؤلف لم يطلب من قراء كتابه أن يقدموا الصدقات أو يؤدون الصلوات من أجل روح الفرنج الذين لقوا حتفهم في القتال ضد المسلمين في أي موضع آخر إلا حين مات أرفيدوس هذا ، الأمر الذي يوحي بوجود صلة قرابة بينهما . وسيذكر المؤرخ فيما بعد شخصاً آخر يحمل لقب أرنولد =

= تودیبود ،سیلقي حتفه بالقرب من المعرة . انظر مايتقدم هامش رقم (١١) من الفصل رقم (٩) .

(الترجمة العربية) .

(٢٣) وليم جراند مسنل من إقليم جراند مسنل Grand - Mesnil أو جراند مينل Granmenil في منطقة Lisieux ، وكان أخوه يسمي البريك Alberic (Aubri) . ولانعرف مقدار أهمية إيفو جراند مسنل .

(٢٤) وليم برنيلا William of Bernella (Barnevilla, Barnavilla) من المحتمل أنه من Barneville - sur - Mer (Manche) .

(٢٥) جويد و تروسيللو Guido Trosellus ربما كان جي الأول تروسو Guy I Trousseau من قرية Montlhéry . وهي قرية تقع جنوب مدينة باريس . ووليم شقيق ريتشارد . لم يتم تحديد شخصيته . وكان جي يسمي الأحمر في كتاب رادولف أوف كان .

(٢٦) تم تحديد شخصية لامبرت الفقير Lambert بأنه كونت كلير مونت التي تقع بالقرب من لييج Liége . ولايذكر مؤلف الجستا أسماء كل من إيفو جراند مسنل ، ووليم برنيلا ، ووليم شقيق ريتشارد . وكان من الصعب علي ناقدي توديبود تفسير سبب حذف مؤلف الجستا لهذه الأسماء . ويتجاهل بربيه ذكر قراءات توديبود ويتمسك بقرائات المخطوطات C للجستا . انظر : Bréhier, Gesta, p. 127 , Fn. 7 وكتب ريموندا جيل عن الفارين الذين هبطوا أسوار أنطاكية بالحبال . ويشير إليهم أوردريك فيتاليس بعد ذلك واصفاً إياهم بالبهلوانات . انظر : . Liber, p. 68 وقد هرب هؤلاء في مساء ١٠ يونيو أو ١١ يونيو . انظر : . H. Chr. 278

- يشير ريموندا جيل هنا إلي هؤلاء قائلاً : " وعند صلاة الليل ، وهو وقت الثقة =

= في رحمة الرب ، فقد الكثيرون الأمل ، وربطوا أنفسهم بحبال ودلوّها من أعالي السور " .

وهو يقصد بهؤلاء الذين تخلوا عن حصار أنطاكية وانضموا إلي ستيفن كونت بلوا عند الأسكندرونة ثم أسرعوا بإخبار الإمبراطور ألكسيس كومنين عن محنة الصليبيين . والمعروف أن ستيفن قد هرب من المعسكر الصليبي خارج أسوار أنطاكية ، قبل سقوطها في أيدي الفرنج بيوم واحد (٢ يونيو ١٠٩٨م) . وهذا الحدث لم يذكره توديبود ولامؤلف الجستا في موضعه . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٢٢ .

(الترجمة العربية) .

(٢٧) لايقرر مؤلف الجستا هنا أن آخرين قد فكروا في الهرب . بل يلاحظ أن آخرين قد هربوا بالفعل .

- " وصاحبهم في فرارهم هذا كثيرون لا أعرفهم " .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٧٩ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 57 .

(الترجمة العربية) .

(٢٨) يتجاهل مؤلف الجستا ذكر أن القادة قد اجتمعوا فوق جبل لكنه يستعمل أعلي أمام القلعة sursum ante Castellum . ولايقدم لنا اسم القس - ويسميه كل من توديبود وريموندا جيل ستيفن . ومن المحتمل أنه من فالنس وظهر في رؤي ريموندا جيل - وقد أخبر القادة بروايته في ١١ يونيو ١٠٩٨م . انظر : . H. Chr. 279 , Bréhier, Gesta , p. 128

- جاءت روايتا كل من توديبود وريموندا جيل بالفعل أكثر دقة من رواية مؤلف الجستا . فقد ذكر ريموندا جيل أن ستيفن قد " صعد التل في مواجهة البرج =

= التركي (القلعة) حيث كان أمراؤنا ينتظرون . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٣٢ .

(الترجمة العربية) .

(٢٩) محادثة ستيفن مطابقة للرواية التي أوردها ريموندا جيل . انظر : Liber,pp.72, 73 .

- يضع ريموندا جيل رؤيا ستيفن بعد رؤيا بطرس بارثلميو بليلة واحدة . في حين يضعها كل من توديبود ومؤلف الجستا قبل رؤيا بطرس بارثلميو . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٢٧ ، ١٣٢ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨٠ ، ٨٢ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 57 , 59 .

(الترجمة العربية) .

(٣٠) يستعمل مؤلف الجستا وتوديبود جزءاً من رؤيا بطرس بارثلميو في رؤيا ستيفن عندما يقرران أن الرب قد منح الصليبيين مدينة نيقية . ويبين اضطراب الروايتين مرة أخري أن مؤلف الجستا وتوديبود كان يقتبسان من ريموندا جيل أو يستعملان مصدراً تاريخياً مشتركاً . انظر : Liber,p.86,Bréehier, Gesta, p. 130 .

(٣١) يقتبس ريموندا جيل عبارة " هوذا الملوك اجتمعوا" . ويستعملها أيضاً توديبود ومؤلف الجستا " Congregati sunt " . ويضعف استخدام المادة المستخدمة في أداء الطقوس الدينية من موقف فارس نورماندي بسيط . وتتشابه تعليمات ستيفن مع رؤياه عند ريموندا جيل . "الرب يعد أن يكون رحيما ويعود خلال خمسة أيام " وقد أخبر بطرس ديزيديريوس Peter Desiderius ، في رواية لاحقة عن رؤيا أخري ، أخبر الصليبيين أن =

= يسيروا حفاة الأقدام حول بين المقدس . انظر : Liber, p. 73 , Fns. , ٤ , 5 ;
Raymond d'Aguilers, pp. 56 , 122 , Bréhier, Gesta, p.130.

- " هوذا الملوك اجتمعوا " . انظر : كتاب المزامير ، ٤٧ : ٥ . (الترجمة العربية)

وتتوقف رواية ستيفن في الجستا عند ذكر الجزء المقتبس من المزامير وتستأنف عند إحضار الأناجيل حسب تعليمات المندوب البابوي أدهيمار . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨١ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. . Rosalind Hill, p. 58 .

(٣٢) في رؤيا لاحقة لبطرس بارثلميو ، كان من المفروض أن يقاتل من وافتهم المنية في المعركة القادمة . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 60.

ومن المحتمل أن القديس جورج قد استشهد في نيقوميديا حوالي عام ٣٠٠ م . ونقل رفاته إلي اللد ، مسقط رأسه . والقديس ثيودور المذكور هنا ربما كان هو القديس ثيودور من مدينة أماسيا . وهو قديس مقاتل صغير السن . وكان هناك من يدعي ثيودور ستراتولاتس Stratolates الذي مات في ٣١٩ م وأصبح قديساً لآسيا الصغري . انظر :

English Kalenders, ed. Wormwald, 1934 : pp. 22 , 54 , 136 , 1661 , passim.

والقديس ديمتريوس كان قديس بلغاريا . ويحذف مؤلف الجستا المساعدة المقدسة.

(٣٣) يقدم ريموندا جيل عرضاً مشابهاً لعرض ستيفن هنا ، لكنه يحذف احتمال ضرب عنقه . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 56 .

- " وأبلغهم ستيفن في اجتماع عقدوه ، برؤياه المذكورة ، وأقسم بالصليب علي صحتها وأعرب أخيراً عن استعداده لاختراق النار أو إلقاء نفسه من أعلي =

= برج إذا لزم الأمر لإقناع من لايصدقونه " .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٣٢ .

(الترجمة العربية) .

(٣٤) يحذف توديبود ريموند كونت صنجيل . ويذكر ريموندا جيل أن الأمراء قد أقسموا علي عدم التخلي عن الحصار ، لكنه لم يذكر أسماءهم . انظر :

Raymond d'Aguilers, p. 56 .

- في الحقيقة اختلفت روايات شاهدي العيان الثلاثة في تفاصيل رواية أداء القادة الصليبيين للقسم بعدم التخلي عن حصارهم لأنطاكية . وجاءت رواية مؤلف الجستا أكثر تفصيلاً . كما أنه ذكر تقريباً أسماء كل القادة مثل بوهيمند وكونت صنجيل والروبرتان وجودفري ، إلي جانب تنكريد الذي أضاف إلي قسمه بالتمسك بحصار أنطاكية المسير إلي بيت المقدس حتي ولو لم يتبق سوي أربعين فارساً . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨١ - ٨٢ .
راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 58 - 59.

أما ريموندا جيل فقد ذكر أن الأمراء بصفة عامة قد أقسموا علي عدم الهرب . دون ذكر أسماء . كما يلاحظ تشكك عامة الفرنج ومقاتليهم في نية القادة علي التخلي عن الحصار والهرب إلي الميناء . ثم يقرر أن القادة أقسموا علي عدم الهرب إلا بناء علي قرار مشترك . علي عكس روايتي توديبود ومؤلف الجستا اللذين أوضحا إلتزام القادة بمواصلة الحصار حتي الإستيلاء علي أنطاكية.

انظر : ريموندا جيل : أعمال الفرنجة ، ص ١٣٢ .

(الترجمة العربية) .

(٣٥) يتميز عرض تنكريد بالمسير بأربعين فارساً بالأهمية . ففي مرحلة لاحقة من الحملة يقرر ريموندا جيل أن تنكريد قد خرج من معرة النعمان بصحبة أربعين فارساً . وهذا يشير إلي إستخدام معومات تاريخية مشتركة في مواضع مختلفة . انظر :

Raymond d'Aguilers, p. 83 .

(٣٦) وردت رواية رؤيا بطرس بارثلميو بتفصيل شديد عند ريموندا جيل وعند توديبود نجد لها مجملاً أفضل مما نجده في الجستا . وفي بعض الأحيان نجد عند الجستا وتوديبود وريموندا جيل ، نفس العبارات ونفس الكلمات التي تضمنتها الحوارات بين القديس أندرو وبطرس بارثلميو . ويبدو لنا أنه غير عادي أن يستخدم المؤرخون الثلاثة نفس العبارات إلا إذا كانوا يستخدمون مصدراً تاريخياً مشتركاً . وبالطبع فإن مؤلف الجستا وتوديبود من الممكن أن يكونا قد نسخا رواية ريموندا جيل . وفي هذه الحالة ، فإن نقاء الجستا وأصالة نصها يكون محل جدل .

ومن أمثلة استخدام نفس الكلمات المشتركة في الأعمال الثلاثة مايأتي : "ماذا نفعل" ؟ Quid agis ، " من أنت" ؟ Tu quis es ..

وقد حرّف مؤلف الجستا القصة عندما جعل بطرس بارثلميو يخاطب القديس أندرو بعد أن اختفي من أمامه . انظر : Hagenmeyer, Gesta , p. 343,Fn.5.

وبعد إختفاء القديس أندرو ، حسب رواية توديبود ، فإن بطرس بارثلميو " أدرك أنه شاهد رؤيا ، وعاوده القديس أندرو وسأله : " لماذا لم تخبر الحجاج بتعليماتي ؟ " ورد بطرس : " ياسيدي ، من ذا الذي سيصدق هذا ؟ "

= " Estimbat autem se visum videre. Alia vice quoque venit ad

= eum sanctus andreas dicens : " Quare non dixiti peregrinis quod tibe precepi ? " Et ille respondit ad eum : " domine quis hoc crediderit ? " .

بينما يكتب مؤلف الجستا " لأنه ظن أنه قد رأي حلماً " ثم يحذف "وعاوده القديس أندرو وسأله " لماذا لم تخبر الحجاج بتعليماتي ؟ " ويضيف : " ياسيدي من ذا الذي سيصدق هذا ؟ " . ومن الواضح أن رواية مؤلف الجستا ليس لهذا معني . إلا إذا كان يستخدم نص توديبود ، أو ريموندا جيل ، أو مصدراً تاريخياً مشتركاً . انظر : Bréhier, Gesta , p. 132 .

- في الحقيقة ، هناك عدة قضايا تتعلق برؤي بطرس بارثلميو وغيره من الفرنج، يجب التعرض لها هنا . ومن هذه القضايا مايتعلق بالأعمال التاريخية لتوديبود ومؤلف الجستا وريموندا جيل ، وهم المؤرخون اللاتين الثلاثة شاهدو العيان علي الأحداث هنا . ومن هذه القضايا أيضاً ما يتعلق بإفرنج الحملة الأولي بصفة عامة .

أما عن أعمال المؤرخين الثلاثة ، فمن الطبيعي أن تكون روايات ريموندا جيل عن الرؤي أكثر تفصيلاً من روايتي مؤلف الجستا وتوديبدو . فمن جاءوا ورووا ماشاهدوه من رؤي ، كانوا جميعاً من بني جلدته البروفنساليين والذين تبعوا سيده كونت صنجيل إلي الشرق . وهو - أي ريموندا جيل - كان يشاركهم حياتهم اليومية ، وربما كان يجالسهم ليعرف منهم التفاصيل التي سجلها في تاريخه . وربما عرف كل من مؤلف الجستا وتوديبود بأمر هذه الرؤي ، إلا أن مايتعلق بها لم يكن ليصل إلي أسماعهما بنفس الشكل المفصل الذي وصل به إلي أسماع ريموندا جيل ، هذا إن لم يكن للأخير دور في إختلاق قصة هذه الرؤي .

=

= إلي جانب ذلك ، فإن الروايات المتعلقة بهذه الرؤي ، لم يكن لها في أعمال المؤرخين الثلاثة أية قيمة تاريخية ، وإن كان لوجودها أكثر تفصيلاً ، عند ريموندا جيل ، أثر كبير في إضطرار القارئ إلي أن يسترجع الأحداث التاريخية السابقة عليها ، إذا مافاجأه المؤرخ بتوقف أحداث الرؤي ، واستئنافه للحدث التاريخي الأصلي الذي تخللته هذه الرؤي ، وأدي هذا كله إلي الإضطراب في سياق الأحداث التي أوردها ريموندا جيل . ولانشعر بنفس الشئ عند توديبود أو مؤلف الجستا لإختصارهما للروايات المتعلقة بهذه الرؤي وسط مايروبانه من أحداث تاريخية . انظر : Jean Richard, Raymond d'Aguilers, Historien de la Premiére Croidade, in JS, 1971 , pp. 205 - 212 .

راجع أيضاً : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٣٥ ، هامش رقم (١) .

كما أن الروايات المتعلقة بهذه الرؤي ، خاصة رؤيا الحربة المقدسة ، والتي حرص ريموندا جيل علي إثبات حقيقتها والتمسك بصدق هذه الرؤي ، إنما تعكس ما أشرنا إليه من قبل عن مدي السذاجة الدينية التي اتصف بها فرنج الحملة الصليبية الأولي - كما اتصف بها فرنج الحملات الصليبية الأخري - وإيمانهم بالمعجزات والخرافة ، الأمر الذي استغله ريموندا جيل ، والمجموعة التي جاء هو علي رأسها من المتحمسين الصليبيين الذين أفادوا من حسن نية وخزعبلات الفرنج وسذاجتهم الدينية ، ليخطط مع هؤلاء المتواطئين ، وينفذ خدعة الحربة المقدسة في أنطاكية . انظر :

Oliver J. Tatcher, Critical work on the sources of the first Crusade, in A RAHA, vol. 1 , 1900 , p. 509 .

أما عن القضية الأصلية المتعلقة بحقيقة الحربة المقدسة فقد تمت معالجتها من قبل في الترجمة العربية لكتاب ريموندا جيل ، وتم التوصل إلي أن المؤرخ =

= ريموندا جيل - قد لفق هذه الرواية لإبراز الدور البروفنسالي في الحملة الصليبية الأولى . وكرجل دين ، فقد حاول جاهداً إثبات أن المشروع الصليبي كان من عمل الرب وبإرادته . وتمت مناقشة هذه القضية استشهاداً بآراء المؤرخين اللاتين المعاصرين ، وقادة الحملة من الصليبيين ، وجموع الفرنج ثم المندوب البابوي نفسه . وللمزيد عن هذه القضية والآراء التي أثيرت حولها ، انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٣٥ ، هامش رقم (١) الذي ينتهي في ص ١٣٧ .

(الترجمة العربية) .

الفصل الثامن

المحن والشدائد

وانتصار الصليبيين

وضغط الترك الموجودين في القلعة العالية على قواتنا بشدة حتى أنهم حاصروا ثلاثة من فرساننا في أحد الأيام في أحد الأبراج المواجهة لقلعتهم . واندفع الترك من قلعتهم وهاجموا المسيحيين بشدة حتى أنهم لم يتمكنوا من التصدي لهجومهم الشرس . فترك إثنان من الصليبيين الجرحى البرج ، بينما أخذ الثالث في الدفاع عن نفسه طوال اليوم بمهارة فائقة ضد هجمات الترك وتمكن من التغلب على إثنين من الأتراك عند مدخل الأسوار برمح مكسور . وخلال هذا اليوم (٨) إنكسرت في يديه ثلاثة رماح . وكان هذا الفارس ويدعى هيو فورسنت أحد أفراد جيش جودفري أوف مونت سكاليوزو (٣)

[illegible] قتالهم [illegible] (٤) [illegible] أبداً . [illegible] المنازل [illegible] عن القتال ، بعضهم [illegible] والبعض الآخر [illegible] [illegible] أمر بإشعال النيران في المدينة في الجهة التي كان يقيم بها [illegible] وعند مشاهدة الصليبيين لألسنة اللهب المتصاعدة وقد أثارتها ريح قوية ، غادروا المنازل وهربوا بالمغانم ، فاتجه بعضهم ناحية الجبل المواجه للقلعة ، بينما اتجه آخرون إلى بوابة ريموند كونت صنجيل ، واتجه فريق ثالث ناحية بوابة جودفري ، وهكذا عادوا كل إلى جماعته . وأثناء اشتعال النيران (٢٢) [illegible] كثيراً خوفاً من أن تحترق كنيستا القديس بطرس والقديسة مريم . فقد ظلت النيران متأججة من الساعة الثالثة حتى منتصف الليل ، وأتت على ألفي كنيسة ومنزل . وعند منتصف الليل هدأت الرياح وخمدت النيران .

واستمر الترك بداخل القلعة في قتالنا ليل نهار داخل أنطاكية ، ولم يكن يحول بينهم وبين النيل منا سوي دروعنا القوية . وفي إحدي المرات ، خرج أربعة أمراء مدججين تماماً بالدروع الذهبية بصحبة الترك يمتطون صهوة الخيول المغطاة أيضاً بالدروع الذهبية حتي المناصل . ولم يعد في مقدور رجالنا المجهدين والذين لم يجدوا وقتاً لتناول كسرة خبز أو شربة ماء ، وقد تأثروا بهذا المشهد ، لم يعد في مقدورهم تحمّله أكثر من ذلك (٦) . لذلك شيدوا حائطاً بينهم وبين الجبل وأقاموا مايشبه الحصن وبعض آلات الحرب حتي يكونوا في مأمن من العدو (٧) .

وكانت جماعة أخري من الترك قد أقامت معسكراً بالقرب من أنطاكية في أحد الأودية المحيطة بالمدينة ، وهؤلاء غير الترك الموجدين بالقلعة . وعندما حل المساء ، ظهرت نار آتية من السماء من جهة الغرب وسقطت وسط القوات التركية ، فاستولت الدهشة علي الترك والصليبيين علي حد سواء (٨) . ولما أشرق الصباح هرب الترك ، وقد استبد بهم الخوف من النار السماوية ، هنا وهناك . ومهما يكن من أمر ، فقد أحاطوا بنا داخل أنطاكية تماماً ، فلم يتجرأ أحد علي الدخول أو الخروج إلا خلسة وتحت جنح الظلام . وهكذا حاصرنا الوثنيون أعداء الرب وأعداء المسيحية المباركة ، وضيقوا علينا الخناق . وقد بلغ عددهم نحواً من ثلاثمائة وخمسة وستون ألفاً هذا إلي جانب قوات أمير بيت المقدس الذي كان موجوداً بصحبة جنوده ، وملك دمشق وشعبه ، وملك حلب أيضاً ورجاله (٩) .

وهكذا حصرنا الكفرة أعداد الرب داخل أنطاكية حتي مات الكثيرون منا جوعاً بسبب إرتفاع الأسعار . فقد وصل ثمن رغيف الخبز بيزنطاً ذهبياً (١٠) ولن أتحدث عن ثمن النبيذ ؛ فلم يتوفر منه حتي ملئ قارورة (١١) . وكانت الدجاجة الواحدة تباع بخمسين صولدياً ، وبيعت البيضة بصولديين ، والجوزة ببنس ، وكانت ثلاثة أو أربعة حبات من الفاصوليا تساوي بنساً . وكان ثمن العنزة الصغيرة ستون صولدياً . أما أمعاء العنزة الواحدة ، فكانت تباع بصولديين ! وكان يتراوح ثمن

ذنب الكبش مابين ثلاثة وتسعة بنسات . أما لسان الجمل الصغير ، فكان يساوي أربة صولديات [١٢] . وأكل الصليبيون أيضاً وباعوا لحم الخيل والحمير . وكانوا يقومون بطهي أوراق التين والكروم والأشجار ثم يأكلونها . وكان البعض يضعون جلود الخيل والحمير والجمال والثيران والبقر الوحشي ، التي ظلت جافة طيلة خمس أو ست سنوات ، في الماء لمدة يوم وليلتين ، وبعد خلطها بالماء المغلي يأكلونها[١٣]. لقد عاني الجميع القلاقل والشدائد باسم المسيح ومن أجل الرحلة لتحرير القبر المقدس [١٤] . وفي الواقع ، أكثر كثيراً مما يمكنني ذكره . وكخدم للرب ، فقد عانينا تلك الشدائد والموت جوعاً والخوف قرابة ستة وعشرين يوماً[١٥] .

أما ستيفن كونت بلوا الوقح ، قائد جيشنا ، الذي إختاره زعماؤنا قائداً لهم قبل سقوط أنطاكية ، فقد هرب بخسة ، متظاهراً بالمرض ، إلي مدينة أخر تسمي الإسكندرونة [١٦] . وكنا ننتظر حضوره في كل يوم لمساعدتنا بقدر طاقته ، ونحن محرومين من كل مساعدة تنقذنا ونحن محصورين داخل أنطاكية . إلا أنه ، بعد أن علم بتطويق الترك لنا ومحاصرتهم إيانا ، إنسل صاعداً جبل قريب [١٧] ، ورأي خيام العدو التي لاحصر لها ، فتراجع . وفجأة استبد به الذعر ولاذ بالفرار يجر أذيال العار هو وقواته . وعندما وصل إلي معسكره ، أخذ كل مؤنه وانسحب من فوره بخسة . ووصل بعد ذلك إلي ألكسيوس في إكسي شهر [١٨] واقترب منه سراً وخاطبه علي انفراد قائلاً : " لعلك تعرف حقيقة ماحدث أنت أيضاً . فقد سقطت أنطاكية ، ولم يتبق إلا القلعة ، وكل رجالنا محاصرون بشكل محزن حتي أنني أعتقد أنهم الآن قد لقوا حتفهم علي أيدي الترك . تراجع بأسرع مايمكن خشية أن يعثروا عليك أنت ومن تبعك من الرجال " .

ثم استدعي الإمبراطور الفزّع جي ، شقيق بوهيمند ، وآخرون وسألهم : "أيها السادة ماذا نحن فاعلون ؟ تدبروا الأمر . فقد أحدق بجنودنا في حصار

شديد ، وربما يكونوا في هذه اللحظة قد قتلوا بأيدي الترك أو اقتيدوا أسري ، علي الأقل كما يروي الكونت التعس والهارب المعيب . وإن شئتم ، فلنتراجع بسرعة أفضل من أن نموت بسرعة كما مات حلفاؤنا " .

وعندما سمع الفارس الفاضل جي مثل هذه الأكاذيب ، إنخرط ومن معه في البكاء ، والنحيب وأخذ يضرب علي صدره بشدة . وابتهل المسيحيون معاً : " أيها الرب الحق الثالوث (٢٠) ، لماذا سمحت بحدوث هذا ؟ لماذا تتخلي هكذا فجأة عن رحلتك وعن تحرير القبر المقدس ؟ (٢١) من المؤكد أننا وكل المسيحيين سنهجرك إذا كان مانطق به هذا الخسيس هو الحق ؛ ولن تخطر ببالنا في المستقبل ، ولن يتجرأ حتي شخص واحد منا علي التفوه بإسمك " . وغمرت أنباء هذه الأحداث الجيش كله بسحابة من الكآبة حتي أن أحداً سواء كان رئيس أساقفة أو أسقفاً أو راهباً أو قسيساً أو رجل دين أو أي من العلمانيين ، لم يتجرأ النطق باسم عيسي المسيح لبضعة أيام (٢٢) .

ولم يكن في وسع أحد أن يواسي جي الذي صرخ ، وضرب صدره ، واعتصر كفّيه ، وولول قائلاً : " يا لني من مسكين ! أهذا ماحدث لبوهيمند ، شرف ومجد العالم بأسره ، الرجل الذي أحبه وخشيه العالم . واحسرتاه ! يا لمبلغ حزني . أنا محروم من رؤية محياك الكريم ، وهي غايتي الوحيدة . هل لي أن أموت فداء لك، يا أغلي صديق وسيد لي ؟ لماذا لم أولد ميتاً ؟ لماذا لم ألق حتفي في البحر؟ لماذا لم أصادف الموت فجأة بسقوطي من فوق صهوة جوادي ويدق عنقي ؟ كم كنت أتمني أن أنال الشهادة السعيدة وأشهد موتتك المجيدة " (٢٣) .

وبعد ثورة المشاعر هذه ، اندفع الجميع لتهدئته حتي يكف عن النواح . وفي نهاية الأمر هدأ جي وقال : " علكم تصدقون هذا الفارس العجوز المعيب ، ستيفن. اسمعوني ، إنني لم أسمع قط عن أي مآثر عسكرية له . ولكنه هرب بحقارة وعار

تماماً مثل أي بائس شرير . وستعرفون أن كل ماينطق به هذا البائس ماهو إلا محض افتراء " .

وأثناء ذلك ، أصدر ألكسيوس أوامره إلي قواته قائلاً : " إذهبوا وقودوا أهل هذه المنطقة إلي بلغاريا (٢٤) ، واحملوا الأسلاب واحرقوا الأرض حتي لايجد الترك شيئاً عند وصولهم " . وتراجع رجالنا علي مضض ، يعتصرهم الألم والنحيب القاتل . ولم يتمكن كثير من الصليبيين ، وقد أقعدهم المرض ، من مجاراة الجيش في المسير . وهلكوا في الطريق ، بينما وصل الباقون إلي القسطنطينية (٢٥) .

أثناء ذلك ، كنا نحن الذين في أنطاكية قد سمعنا خبر بطرس بارثلميو ، الذي أخبرنا كيف أن القديس أندرو الحواري قد جاءه وجعله يري حربة عيسي المسيح ومكان إخفائها . ثم جاء بطرس إلي ريموند كونت صنجيل وأخبره بأن يذهب إلي كنيسة القديس بطرس حيث دفنت الحربة . بعد ذلك توجه ريموند بكل سرور إلي الكنيسة ، ودله بطرس علي المكان الواقع أمام باب المرتلين إلي الجانب الأيمن . وأخذ إثنا عشر رجلاً يحفرون منذ الصباح وحتي المساء حتي حفروا حفرة عميقة وعثر بطرس علي حربة عيسي المسيح ، تماماً كما أخبره القديس أندرو ، في اليوم الرابع عشر من شهر يونيو . وأخذوا الحربة وقد غمرتهم الفرحة ، وأخذوا ينشدون "الشكر لك يارب " Te deum laudamus ونقلوا الحربة إلي مذبح الكنيسة في سعادة . وعمت المدينة فرحة غامرة . وعند سماع نبأ إكتشاف الحربة ، توافدت جموع الجيش الفرنجي إلي كنيسة القديس بطرس لرؤية الحربة . وجاء اليونانيون والأرمن والسريان ينشدون بصوت عال رحماك ربنا . ويقولون : Kalo Francia Fundari Christo Exsi (٢٦) .

وبعد وقوع هذه الأحداث ، عقد الصليبيون مجلساً لتحديد كيفية خوض المعركة ضد الترك (٢٧) . وفي البداية وافق الجميع علي فكرة إيفاد رسول إلي كربوغا والترك أعداء الرب ، ليسألهم : " لماذا تقتحمون الأراضي المسيحية ؟ "

ومن ثم بعثوا ببطرس الناسك بصحبة مترجم يدّعي هرلوين Herluin [٢٨] ، وقالوا لهما : " إذهبا إلي الترك الملاعين وتحدثا إليهم بحكمة وأسألوهم لماذا اقتحموا بجرأة وغطرسة أراضينا المسيحية ؟ " واسألاهم أيضاً : " أتعرفون أن كثيراً من رجالنا يتسائلون عن سبب مجيئكم إلي هنا ؟ . نعتقد ، ربما أنكم جئتم لاعتناق المسيحية ، وأنكم تؤمنون بالسيد الواحد الحق ، الذي وضعته مريم العذراء ، الذي نؤمن به . وإذا كنتم قد جئتم حقاً دون الإيمان بذلك ، فإن قادتنا ، الكبير والصغير منهم ، يرجونكم أن تسارعوا بالرحيل من بلاد الرب والمسيحيين ، الأرض التي دعا فيها بطرس الحواري المبارك بالإنجيل منذ أمد بعيد ، ودعا به إلي الدين المسيحي ، ثم اختير كأول أسقف [٢٩] . وإذا نفذتم طلبات القادة ، فإنهم سيسمحون لكم بالرحيل بكل ممتلكاتكم مثل الجياد ، والبغال ، والحمير ، والجمال ، والأغنام ؛ كما أنهم سوف يسمحون لكم بأخذ الماشية وكل ماترغبون في نقله ، إلي حيث شئتم ، من عتاد " [٣٠] .

ورد كربوغا ، قائد جيش سلطان فارس ؛ وقد ازداد هو ورجاله غطرسة ، فرد بصلف قائلاً : " في الحقيقة ، إننا لانرغب ولا نريد ربكم أو مسيحيتكم ، وننبذكم كما ننبذ كل معتقداتكم . هل تظنون أننا قطعنا كل هذه المسافة حتي هنا لنسأل لماذا يدعي نبلاؤكم ، كبيرهم وصغيرهم ممن ذكرتموهم ، ملكية هذه الأرض ، التي سلبناها بكل شجاعة من شعب مخنث ؟ والآن هل ترغبون في سماع ردنا عليكم ؟ عودوا بأسرع مايمكن من حيث أتيتم ، وأخبروا قادتكم إن شاءت كل قواتكم أن تصبح تركية وأن تتبرأ من ربكم منحنية الرأس ، فسوف نمنحهم هذه الأرض وماهو أكثر من ذلك ، وأعني ، المدن والقلاع والزوجات وميراث عظيم لايبُقي علي راجل بينكم ، بل سيكون الجميع فرساناً مثلنا تماماً ؛ وسوف نعززهم دوماً بصداقتنا . وإن هم رفضوا ذلك ، فليكن معلوم لديهم أنهم سيلقون حتفهم ، أو سنقودهم في الأصفاء أسري علي الدوام ليقوموا علي خدمتنا في خراسان وخدمة خلفائنا إلي الأبد " [٣١] .

وسارع مبعوثونا بالعودة وأخبروا الصليبيين بكل ذلك ، وكيف كان رد القوم القساة . وفي أثناء ذلك تحير رجالنا وقد ثبط الخوف عزاءمهم ، ماذا هم فاعلون . وفي الحقيقة كان الجميع في حيص بيص : فمن جهة ، كان الجوع قد استبد بهم ، ومن جهة أخري كان الخوف من الترك قد شل تفكيرهم . ومع ذلك ، فقد نفذوا تعليمات السيد المسيح بكل دقة كما أمرهم علي لسان القس ستيفن ، فداوموا علي الصوم والاعتراف بخطاياهم لمدة ثلاثة أيام ، وبإخراج المواكب الدينية من كنيسة إلي أخري ، وبالاستغفار وبإقامة العشاء الرباني (٣٢) . كما قدموا الصدقات للفقراء ، وأقاموا القداس .

ثم قاموا بتشكيل ست فرق داخل أنطاكية . ضمت الفرقة الأولي هيو العظيم والفرنسيين وكونت الفلاندر ؛ بينما تألفت الفرقة الثانية من الدوق جودفري وقواته. وكان روبرت النورماندي ورجاله في الفرقة الثالثة . بينما ضمت الفرقة الرابعة أدهيمار أسقف لي بويه الذي كان يحمل حربة السيد المسيح ، ويصحبه قواته والجيش البروفنسالي . وبقي ريموند كونت صنجيل في المؤخرة داخل أنطاكية لحماية الجبل خشية قيام الأتراك الموجودين بالقلعة بالهجوم علي المدينة . وضمت الفرقة الخامسة تنكريد ابن المركيز ، بقواته ، وجاستون بيرن وجنوده وقوات كونت بواتو (٣٣) . وضمت الفرقة السادسة بوهيمند ورجاله .

وتدثر أساقفتنا وقساوستنا ورهباننا وكهنتنا بعباءاتهم الكهنوتية ، وخرجوا من أنطاكية في صحبة الجيش ، وهم يحملون الصلبان مبتهلين إلي الرب أن ينقذهم ويحرسهم وينجيهم من كل محنة وكل شر . بينما وقف آخرون فوق الأسوار القريبة من بوابة أنطاكية ، وفي أيديهم الصلبان المقدسة ، مشيرين بعلامة الصليب ، ومباركين الجيش . وبدأ الصليبيون في الخروج من المدينة ، وقد اصطفوا في تشكيل قتال تحميهم علامة الصليب ، من خلال البوابة المواجهة لقلعة المنبر (٣٤) .

وعندما شاهد كربوغا الجيش الفرنجي يخرج من أنطاكية فرقة تلو الأخري في

أحسن نسق ، أمر رجاله قائلاً : " أتركوهم يخرجوا من أنطاكية حتي يتسني لنا الإحداق بقوتهم الرئيسية " (٣٥) . وكان أول من خرج من المدينة قوات هيوفيرماندوا وكونت الفلاندر ، ثم تبعتها بقية الفرق كل في دورها . وبظهور الجيش المسيحي خارج المدينة ، استبد الذعر بكربوغا عندما رأي ماكان عليه الجيش الصليبي من حجم كبير . ومن ثم ، أصدر تعليماته للأمير الموكل إليه مهمة إدارة العمليات الحربية بأنه إذا ماشاهد إشارة نارية ترتفع في مقدمة الصفوف، فعليه الإسراع بالتراجع وسحب القوات التركية ، إذ يكون قد أدرك أنهم خسروا المعركة . وبدأ كربوغا في التراجع تدريجياً تجاه الجبل ، ورجالنا في إثره علي نفس المنوال (٣٦) .

ثم قسم الترك قواتهم إلي قسمين ، واتجه القسم الأول ناحية البحر بينما بقي القسم الثاني في مكانه . وكانوا بهذه الحركة علي أمل في أن يوقعوا بجيشنا بين شقي الرحي . وبملاحظة تحركات الترك ، كون رجالنا فرقة سابعة تضم قوات الدوق جودفري وروبرت النورماندي وجعلوا علي رأسها الكونت رينالد (٣٧) . وتحركت هذه الفرقة لمواجهة الفرق التركية القادمة من جهة البحر . واشتبك معهم الترك في قتال وأوقعوا بهم خسائر جسيمة برميهم إياهم بالنبال . واصطفت فرقنا الأخري بين النهر والجبل ، في مساحة ميلين . وبدأت القوات التركية الباقية في التقدم من مواقعها والإحاطة برجالنا وأخذت في رميهم بالنبال وقذفهم بالرماح وأصابتهم بجراح ثقيلة .

بالإضافة إلي ذلك ؛ اندفع من جهة الجبل جيش ضخم يمتطي أفراده صهوة جياد بيضاء يحملون رايات بيضاء خفاقة . وعندما شاهد رجالنا هذا الجيش أصابهم الذهول ، حتي أدركوا أن هذه هي المساعدة التي وعدهم بها المسيح ، تماماً كما تنبأ القس ستيفن . وكان علي رأس هذا الجيش السماوي القديس جورج ، وديمتري المبارك ، وتيودور المبارك (٣٨) . وأصبح هذا الأمر يقيناً بعد أن رآه كثير من

المسيحيين رأي العين . وأدرك الترك المتاخمون للبحر عدم قدرتهم علي تحمل أكثر من ذلك ، فأشعلوا النيران في الحشائش حتي يعجل الترك الذين في المعسكر بالفرار . وعندما شاهد الترك الإشارة سارعوا بالفرار محملين بكل ماهو ثمين من الأسلاب (٣٩) .

وشق جنودنا طريقهم إلي معسكر الترك حيث يكمن جيشهم الرئيسي . وسار الدوق جودفري وكونت الفلاندر وهيو فيرماندوا بطول ضفتي النهر حيث تتركز قوات الترك . وكانت هذه الفرقة هي أول من يقوم بهجوم منسق ضد قوات كربوغا . وعندما شاهد بقية رجالنا هذا الهجوم ، بادروا بالإندفاع نحو العدو . فصرخ الترك وسائر الوثنيين ؛ أما رجالنا ، فقد إمتطوا جيادهم ، وقد إلتجأوا إلي الرب الواحد الحق ، واندفعوا نحو العدو . وهكذا ، وباسم عيسي المسيح والضريح المقدس اشتبكوا مع الترك في قتال عنيف ، وبعون الرب دحر المسيحيون الكفرة .

ولاذ الترك بالفرار وقد أصابهم الذهول ، واقتفي رجالنا آثارهم حتي بلغوا معسكرهم . وطاردهم فرسان المسيح ، متحمسين لتعقبهم أكثر من تحمسهم للنهب والسلب ، حتي بلغوا جسر نهر العاصي وحتي موقع حصن تنكريد (٤٠) . وترك الترك وراءهم خيامهم بالإضافة إلي ذهبهم وفضتهم وحلي خيولهم ، وأغنامهم وماشيتهم وخيولهم وبغالهم وإبلهم وحبوبهم ونبيذهم ودقيقهم وكميات وفيرة من المؤن الضرورية لرخائنا (٤١) . وبعد أن علم الأرمن والسريان من سكان المنطقة بنبأ قهرنا للترك ، أحاطوا بالجبل لقطع الطريق عليهم ، وأخذوا في قتل كل من وقع في أيديهم من الترك (٤٢) . ورجعنا إلي أنطاكية فرحين ، نمجّد ونبارك الرب ، الذي كتب النصر لشعبه .

وعندما شاهد الأمير متولي القلعة كربوغا وكل الوثنيين وهم يلوذون بالفرار من ميدان القتال أمام الجيش الفرنجي استبد به الغضب واشتعل في نفس الوقت غضباً ، وسارع يطلب راية فرنجية . وأصدر كونت صنجيل الذي كان يقوم علي

مواجهة الترك في القلعة ، بأن يرسل علمه إلي الأمير الذي سارع باستلامها مسروراً ، ونصبها بعناية فوق أعلي أبراج القلعة [٤٣] . وطلب فيما بعد علم بوهيمند ، الذي سلمه إليه بعد انتهاء المعركة . وتسلم الأمير علم بوهيمند بسرور وفرح بالغين . إلي جانب أنه قام بعقد اتفاقية مع بوهيمند أصبح ، بمقتضاها ، في مقدور أولئك الذي يرغبون في اعتناق المسيحية للانضمام إلي القوات النورماندية ، أما الذين يرغبون في التوجه إلي خراسان ، فهؤلاء يمكنهم الرحيل آمنين مطمئنين .

ووافق بوهيمند علي طلبات الأمير ، وسارع بإحلال رجاله في القلعة . وبعد ذلك بفترة وجيزة تم تعميد الأمير مع أولئك الذين اعترفوا بالمسيح . وأمر بوهيمند برحيل من رفضوا الارتداد عن الإسلام إلي بلاد المسلمين [٤٤] . أما عن المعركة فقد وقعت في الثامن والعشرين من شهر يونيو ، الموافق ليلة عيد الحواريّن بطرس وبولس ، في حكم سيدنا عيسي المسيح له الشرف والمجد إلي الأبد . آمين[٤٥] .

هوامش الفصل الثامن

(١) لم يذكر توديبود أن الفارس قتل الأتراك . ويذكر مؤلف الجستا ذلك . انظر :
Bréhier, Gesta , p. 136 .

ويخبرنا ريموندا جيل عن قتال مشابه لقي خلاله بعض الترك مصرعهم . انظر :
Raymond d'Aguilers, p. 59 .

(٢) وهو لقب شائع من الفرنسية القديمة انظر : La chanson de la Croisade
''bigeoise, 1931 : p. 52 .

ويفضل مؤلف الجستا أن يسميه المجنون insanus . انظر : Bréhier, p. 136.

- ترجمت روزالين هيل هذه الكلمة بالإنجليزية بمعني Berserk أو المجنون . وهي
تعني المحارب الإسكندنافي الذي كان يقاتل بجنون وغضب - وتري أن هيو
هذا قد تحول إلي التقليد الإسكندنافي القديم المتسم بالهياج الشديد ، أو
الغضب الأعمي في المعارك .

انظر : Gesta Francorum , ed. Rosalind Hill, p. 61 , Fn. 1 .

وقد ترجم أستاذنا الدكتور حسن حبشي هذه الكلمة عن برييه بمعني الثائر . وهي
أقرب إلي المعني الصحيح . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ٨٤.

(٣) قُتل جودفري أوف مونت سكاليوزو عند دوريليوم .

(٤) يذكر توديبود هنا بوهيمند وتنكريد ، ويحذف مؤرخ الجستا اسم تنكريد .
انظر : Bréhier, Gesta , p. 136 .

- انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨٤ . راجع أيضاً : Gesta Francorum,
ed. Rosalined Hill, p. 61 .

(الترجمة العربية) .

(٥) أشعل بوهيمند النيران في جزء من أنطاكية في ١٢ يونيو ١٠٩٨م .

انظر: H. Chr., 281 .

- لم يذكر ريموندا جيل شيئاً عن قيام بوهيمند بإحراق هذا الجزء من المدينة . بينما ذكره كل من توديبود ومؤلف الجستا . إلا أن ريموندا جيل قد أورد رواية مسهبة عن متاعب الفرنج داخل أنطاكية وندرة الطعام وارتفاع أسعاره وهي الرواية التي ستأتي فيما بعد عند توديبود ومؤلف الجستا . وربما كان يروي حالة البؤس التي تعرض لها بنو جلدته من البروفنساليين الأمر الذي استغله رادولف أوف كان ليندد بسلوكهم أمام رقي النورمان ، بينما كان ريموندا جيل يحاول إبراز الدور الذي تحمله بنو جلدته في سبيل تحقيق هدف الحملة المنشود .

انظر : : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٣٢ ، ١٤١ . راجع أيضاً : Radulf of Caen, p. 675.

(الترجمة العربية) .

(٦) لم يخبرنا مؤلف الجستا بقصة الأمراء المستعرضين في موكب أمام الصليبيين. ويجعل توديبود من مشهد الأمراء المعيّرين سبباً لقيام الصليبيين ببناء جدار.

(٧) أشار توديبود إلي الجدار بين الصليبيين والقلعة . وقام ريموند كونت صنجيل علي حراسته ، وهو مريض ، بصحبة مائتين من الرجال . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 61.

- لم يذكر كل من توديبود ومؤلف الجستا تولي كونت صنجيل أمر حماية =

= التحصينات التي أقامها الفرنج لتقيهم هجمات الأتراك الموجودين في قلعة أنطاكية .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨٥ . انظر أيضاً :

Gesta Francorum , ed. Rosalind Hill, p. 62 .

(الترجمة العربية) .

(٨) يكتب ريموندا جيل عن نجم يتفتت ويسقط داخل المعسكر التركي .

انظر : . Raymond d'Aguiler, p. 57

ويستخدم توديبود " نار في السماء ignis caelo " المستخدمة في سفر الملوك .
انظر : . Liber Quartus Regum, 1 : 10 - 14

ويعتقد هاجنمير أن هذا كان شهاباً سقط في ليلة الثالث عشر أو الرابع عشر من يونيو ١٠٩٨م . انظر : . H. Chr., p. 282

- كانت الظواهر الطبيعية مثل الرؤي كثيراً ما تثير حماسة الصليبيين وتجذب إنتباههم. وقد آمنوا بها إيماناً ينم عن سذاجة دينية مفرطة وهي إحدي طبائع الفرنج التي نتأكد منها بتتبع الروايات المختلفة المتعلقة بهذا الحادث . فقد رأي كل من ريموندا جيل وتوديبود ومؤلف الجستا وفيتاليس في سقوط هذا الشهاب في معسكر كربوغا علامة إعجازية من القدرة الإلهية التي كانت تعبر عن تأييدها لهم بعد أن أصابت الترك بفزع شديد . ويري جيبرت دي نوجنت أن المسلمين " إذا كانوا علي أقل قدر من العلم بأمور الأرض والسماء ، لعرفوا أن الرب يعلن لهم عن غضبه " . ويذكر روبرت الراهب أن عدداً كبيراً من المسلمين قد ذهلوا فعلاً لتلك الظاهرة المشئومة . ولكن كان بينهم " بعض الحمقي الذي أصروا بعناد علي عدم رؤية المعجزة " .انظر : مجهول : =

= أعمال الفرنجة ، ص ٨٥ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٣٣ ؛ راجع أيضاً:

Or deric vitalis, Historia Ecclesiastica, ed. M. Chibnal 6 vols, Oxford, 1975, vol. 5 , p. 105; Guibert de Nogent, Gesta Dei Per Francos, in RHC- H. Occ., vol. 4 , p. 104 ; Robert Monachus, Historia Hierosolymitana, in RHC. - H.Occ., vol. 3, p. 827 ; Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p.

(الترجمة العربية) .

(٩) هذه الأرقام جزافية وبعيدة عن الدقة .

- لم يحدد مؤلف الجستا ولا ريموندا جيل هذه الأعداد. فقد ذكر الأول أن الترك كانوا في عدد كثيف ، بينما يذكر ريموندا جيل أن جيش كربوغا كان عظيماً. ويبدو أن توديبود هنا يبالغ في تحديد أعداد الجيش الإسلامي حتي يضخم من الإنجاز الصليبي بإنتصار الفرنج علي قوات كربوغا . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨٦ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٥ .

(الترجمة العربية) .

(١٠) يكتب توديبود " بيزنطاً ذهبياً " ، ومؤلف الجستا يكتب " بيزنطاً " .

انظر : Bréhier, Gesta , p. 138 .

(الترجمة العربية) .

(١١) هذه الأزمة التي ألمت بالفرنج لندرة الطعام هي التي تحدث عنها ريمونداجيل قبل سرد روايته عن رؤي ستيفن وبطرس بارثلميو . انظر : ريموندا جيل : تارخ الفرنجة ، ص ١٤١ . (الترجمة العربية).

(١٢) بعض هذه المعلومات لم ترد في الجستا . وقد أورد توديبود قائمة أسعار =

= أفضل بكثير مما أورده مؤلف الجستا وريموندا جيل . ولم ينقل توديبود عن الجستا أو ريموندا جيل في حالات عديدة . وقد حدد توديبود ثمن أمعاء الماعز بصولدين ، بينما حدده ريموندا جيل بخمسة .

انظر : Raymond d'Aguiler, p. 59 .

- في الحقيقة لم يحدد ريموندا جيل سوي أسعار رأس الحصان بدون لسان ، وهي التي انفرد بذكر سعرها ، وأمعاء الماعز والدجاجة والخبز . بينما انفرد توديبود بذكر أسعار حبات الفاصوليا والعنزة الصغيرة وذنب الكبش ولسان الجمل الصغير ، التي لم يذكرها مؤلف الجستا أو ريموندا جيل .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤١ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨٦ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p.62.

(الترجمة العربية) .

(١٣) أورد كل من ريموندا جيل ومؤلف الجستا روايات متشابهة عن طهي وأكل الجلود الجافة . وتشابه النصين عند هذه النقطة هو مثل آخر لخطأ سيبل Syble عندما قرر أن المصدرين لايتطابقان في بناء اللفظ . انظر :

Bréhier, Gesta, p. 140 ; Raymond d'Aguiler, p. 59 .

وتوديبود فقط هو الذي ذكر عمر الجلود وفترة طهيها وإعدادها . ومن الواضح أن البرت دكس قد نقل عن توديبود أو عن مصدر معلوماته ، لأنه يتحدث عن جلود عمرها ثلاث أو ست سنوات . انظر : Albert d'Aix , p. 412.

- هذا مثل آخر علي دقة توديبود ، وعلي اعتماد المصادر اللاتينية التي دونت في الغرب علي كتابه .

(الترجمة العربية) .

(١٤) يكتب توديبود عن الرحلة لتحرير القبر المقدس (via deliberanda) .
ويكتب مؤلف الجستا عن (deliberanda) . وهذا ليس له معني . وقد لاحظ بريبه هذا ، لكنه لم يعد تفسيراً لذلك . انظر :
Bréhier,Gesta,p.140.

ويتبع RHC - H. Occ. 3 , p. 73 المخطوط B حيث ورد فيه via liberanda وفي الهامش رقم ٢٤ يكتب deliberanda مثل المخطوطات AC . وقد لاحظ Grand gent, 88 استخدام de مع المجرور ليحل محل المضاف إليه ، كما لاحظ ذلك من قبل . Plautus, # 37 استخدام anda في صيغة المحايد (لا مذكر ولا مؤنث) الجمع للإسم المصدري كمفرد مؤنث . وحقيقة أن de و liberanda قد تم الربط بينهما ، ليصيرا كلمة واحدة في المخطوط ، ليس لها أهمية .

(١٥) " فقد عانينا تلك الشدائد " . انظر : رسالة بولس إلي أهل رومية ، ٨ : ٣٥.

(١٦) ستيفن أوف بلوا Stephen of Blois ، هو كونت بلوا وشارتر ، تزوج من أديلا Adela ، ابنة وليم الفاتح ، وكان روبرت النورماندي الأخ الأكبر لزوجته . وعاد إلي الشرق ولقي حتفه عند الرملة في عام ١١٠٢م . انظر :
Brundage, 1960, pp. 380 - 395.

ويلاحظ ريموندا جيل أن ستيفن قد اختير قائداً للحملة لكنه يقدم تفاصيل قليلة . ولايتحدث مؤلف الجستا عن ستيفن كقائد للجيش : Raymond d'Aguilers, p. 39, Bréhier, Gesta, p. 140 .

والإسكندرونة Alexandretta (Iskenderun) ميناء يقع شمال أنطاكية . وقد ذهب ستيفن إلي الإسكندرونة في ٢ يونيو ١٠٩٨م .
=

= - في الحقيقة ، تضطرنا قضية تخلي ستيفن كونت بلوا عن المشروع الصليبي إلي التعرض لعدة قضايا أخري تضمنها تاريخ الحملة الصليبية الأولي ، ويتوقف الأخذ برأي قاطع فيها علي قضية هروب ستيفن . فإذا كان مؤلف الجستا قد علل هروبه بحجة المرض ، بينما أرجع ريموندا جيل ذلك إلي ماالتصف به من الجبن ، فإن فولشر أوف شارتر قد تركنا نتخير دافعه إلي الهرب بعد أن ذكر أن بعض الفرنج قد تخلي عن الحملة الصليبية بسبب الحاجة وبعضهم بسبب الجبن والبعض الآخر خشية الموت دون أن يحدد الدافع الخاص بستيفن نفسه، ومع ذلك فإن جيبرت دي نوجنت بالرغم من توجيهه اللوم الشديد إلي شخص ستيفن علي فعلته إلا أنه يلتمس له العذر في الرحيل . بينما حدد لنا أوردريك فيتاليس بدقة ماقدمه ستيفن من عذر للرحيل حيث يذكر أنه ذهب إلي الإسكندرونة لقضاء فترة النقاهة " Conualescendi " .

ومع ذلك فإن النية كانت مبيتة لدي ستيفن علي التخلي عن المشروع الصليبي بأكلمه. ودليلنا علي ذلك العبارة التي إختتم بها رسالته التي بعث بها من المعسكر الصليبي خارج أنطاكية إلي زوجته أديلا في ٢٩ مارس ١٠٩٨م حيث يذكر لها أن صديقه ألكسندر يخط الرسالة التي أملاها عليه زوجها ، ويعدها بلقاء قريب .

وبالتأكيد سوف تريني سريعا " citius me certe videbis " وهكذا وبصرف النظر عن الأعذار التي وردت في مختلف المصادر يمكننا أن نقرر أن ستيفن قد قرر العودة إلي بلاده وقد تمكن الفرنج من التغلب علي رد الفعل الإسلامي الذي جاء من دمشق ثم من حلب بعد ذلك وحتي قبل أن تصل إليهم أنباء حملة كربوغا ، التي تمثل رد الفعل الإسلامي الآتي من العراق ، بعدة أشهر.

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٨٦ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤١ - ١٤٢ . راجع أيضاً : =

Fulcher of Chartres, p. 97; Guibert de Nogent, Gesta Dei, p. 200; Orderic Vitalis, Historia, vol. 5, p. 106; Epistolae, ed. Hagenmeyer, p. 152; James Brundage , An Errant Crusader, Stephen of Blois, in Traditio, 16, 1960, pp. 380 - 395. =

هذا وقد اتجه ستيفن إلي الاسكندرونة ومنها سار إلي أسكي شهر حيث قابل الإمبراطور ألكسيس كومنين وشرح له كيف حاقت القوات السلجوقية بالصليبيين في أنطاكية ودفعه إلي العودة إلي بلاده قائلاً " فكر في نجاتك ونجاة جيشك " كما يذكر فيتاليس . وإذا كان مؤرخ الجستا قد اتهم الإمبراطور البيزنطي بالتخلي عن الصليبيين ، فهذا ليس بمستغرب علي مؤرخ لاتيني ، ورجل بوهيمند عدو ألكسيس الأول ، إلا أن رواية فيتاليس، وهو نورماندي ولاتيني ، قد ألقت بالتبعة علي كونت بلوا كما برأت القائد البيزنطي تاتيكيوس في نفس الوقت من تهمة الهرب ، فيذكر فيتاليس أنه عندما قدم تاتيكيوس تقريره إلي سيده الإمبراطور ، استعد الأخير واتخذ طريقه إلي أنطاكية ، إلا أن السبب في عودته إلي بلاده هو اضطراره إلي أن يصدق رواية كونت بلوا بأن السلاجقة قد قضوا علي كل القوات الصليبية داخل أنطاكية . فرأي الإمبراطور أن يراعي مصالح دولته خاصة بعد أن وصلته تقارير تفيد بتقدم قوات تركية من الشرق تحاول قطع الطريق علي الإمبراطور . انظر : Vitalis, vol. 5 , pp. 77 , 106 ; Anne Comnene, Alexi ad, p. 288.

(الترجمة العربية) .

(١٧) يحدد بريبه الجبل بأنه جبل الأحمر . انظر : Bréhier, Gesta, p. 14,Fn.6.

(١٨) فيلوميليوم Philomelium أو اسكي شهر Akshehir وتقع في الأناضول بين دوريليوم وقونية . وحسب وعده ، كان ألكسيس في طريقه لمساعدة =

= الصليبيين . انظر : Bréhier, Gesta, p. 142 , n. 1 , a.

(١٩) كان جي ابنا لروبرت جويسكار ومن زوجته الثانية Sykelgalte . وكان أخا غير شقيق لبوهيمند .

(٢٠) أيها الرب الحق ، الثالوث ، الواحد Deus, verus, trinus et unus . انظر:
Blaise, pp. 150, 287, 353, 354, Troper, p. 61.

(٢١) تذكرنا مناقشة قضاء الرب بأسفار المراثي . وأصبحت مناقشة أعمال الرب في الحروب الصليبية أمراً مألوفاً طالما خفتت روح الصليبية . انظر :
Lamentiones Jeremiae 5 : 20; Plamer Throop, 1940, pp. 68 - 213.

(٢٢) يضيف توديبود رئيس أساقفة وقسيساً . ولاتشمل الجستا هذه المعلومة .
انظر : Bréhier, Gesta, p. 144 .

(٢٣) جاء نواح جي عبارة عن قطعة أدبية نسخها الكتاب اللاحقين . ولايمكننا الإعتقاد بأن فارساً بسيطاً ، الذي كان علي حد تعبير فون سيبل من الصعب أن يجرفه ماهو غريب ، أو عجيب ، أو خيالي ، لايمكننا أن نصدق أنه كتب هذا . انظر :

Heinrich Von Sybel, The History and Literature of the Crusades, ed and trus. Lady DuffGordon, (London, 1861), p.155.

وهذا النواح هو جزء من نص عن حزن داود علي إبنه أبشالوم . وتتطابق رغبة داود في الموت مع رواية كل من توديبود ومؤلف الجستا . هل لي أن أموت فداء لك ؟ Quis mihi det ut ego moriar pro te ? . هذا ماكتبه المؤرخان.
انظر : Bréhier, Gesta, p. 144 .

انظر : Liber secundo Samuelis, 18 : 33 .

(٢٤) كان ألكسيوس ، إذا صدقنا آن كومنين ، مرعوباً . ومن الصعب شرح سبب استعمال بلغاريا . انظر : Bréhier, Gesta, p. 146 , n. 1.

- فسرت روزالين هيل استخدام بلغاريا هنا علي أنها كانت تستخدم بصفة عامة للتعبير عن أجزاء الإمبراطورية الواقعة في أوربا . انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 65 , n. 1.

(الترجمة العربية) .

(٢٥) أصبح ألكسيوس عرضة لإتهام بوهيمند له بنقض عهده بمساعدة الفرنج ، بعد أن انسحب إلي بلاده .

(٢٦) جاءت رواية توديبود ملخصاً لرواية ريموندا جيل لكنها تضمنت مادة تاريخية متنوعة . ويتبع مؤلف الجستا - بالمثل - رواية ريموندا جيل ويستخدم بعض كلماته . ولم يذكر اسم بطرس بارثلميو ويقرر أن ثلاثة عشرة رجلاً قد قاموا بالحفر هناك - ويقرر مؤلف الجستا أنه كان شاهد عيان لما حدث في كنيسة القديس بطرس أثناء الحفر . ومن الواضح لنا أنه يستخدم ضمير المتكلم هنا ليدفعنا إلي الوثوق في روايته . ولكن روايته مختصرة وخالية من التفاصيل . ويبدو أن شاهد العيان كان سيعرف المزيد . انظر : Bréhier, Gesta , p. 146 .

ويروي توديبود أنه بعد إكتشاف الحربة قد أتي الحشد لمشاهدة الحربة في كنيسة القديس بطرس . وكتب توديبود : (وجاء اليونانيون والأرمن والسريان ينشدون بصوت عال " رحماك ربنا ") ويقولون Kalo Francia Fundari Christo exsi . وهذه المعلومات لم ترد في عمل ريموندا جيل ولافي الجستا. وخاصة تعبير Kyrie محل إضافات أو حشو . انظر :
= Troper,p.xix.

= وقد تم العثور على الحربة المقدسة في ١٤ يونيو ١٠٩٨م .
انظر : H Chr., 294.
وقد أورد المخطوط MS. Latin 5134 A . الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس كلمة Fundari دون أن يترجمها . أما المخطوط MS.C. الموجود بمكتبة المتحف البريطاني (M.S. Latin 3904) فيورد كلمة Condari ويترجم العبارة بالمعنى الآتي " طيبون الفرنج الذين يملكون حربة المسيح " .
- لم نتمكن من الوقوف على الترجمة المناسبة للعبارة التي أوردها توديبود ، ربما لكونها تتضمن عبارات من تركيبات لفظية يونانية ولاتينية معاً .
(الترجمة العربية) .

(٢٧) تقودنا الجستا إلى الإعتقاد بأن المجلس الصليبي قد انعقد في ١٤ يونيو، وأن البعثة إلى كربوغا أوفدت فور ذلك . ويعدل توديبود ذلك بكتابة كلمة وبعد ذلك (وقوع هذه الأحداث) Postea التي تعني أن المجلس قد انعقد بعد إكتشاف الحربة . وقد تم إرسال السفارة إلى كربوغا في ٢٧ يونيو ١٠٩٧م. انظر : H. Chr. 290.

(٢٨) فكرة الأراضي المسيحية تستند إلى إدعاء بطرس .

(٢٩) انظر هامش رقم ٤٧ ، الفصل رقم ٣ .

(٣٠) الرواية المتعلقة بمهمة بطرس الناسك هي نفسها في الجستا وعند توديبود مع أن الأسلوب يختلف في عدة مواضع . ويورد لنا ريموندا جيل تقريراً مشابهاً لكنه مختصراً . فهو يقرر أن الأراضي كانت تدخل في نطاق اختصاص القديس بطرس . انظر : Bréhier, Gesta , p. 148, Raymond d'Aguilers, pp. 60 - 61 .

(٣١) يكرر حديث كربوغا نصاً سابقاً . فقد قدمت عدة وعود لبروشيه إذا مانبذ المسيحية . وبالمثل كان كربوغا متعجرفاً ومتكبراً . ويأتي التكبر قبل السقوط . ويتضمن الحديث بعض العبارات الكنسية مثل أعز dilectissimus ودائم sempiterna . =
انظر : Blaise, pp. 151 , 524 .

= - كان هرلوين هو المترجم الذي بعث به الصليبيون ليساعد بطرس الناسك علي التفاهم مع كربوغا ، وذلك في ٢٧ يونية ١٠٩٨م / ٢٥ رجب ٤٩١ هـ .
وفي الحقيقة لم نعرف حقيقة ماجري علي لسان كربوغا وبطرس الناسك .
فريموندا جيل لم يذكر سوي اسم بطرس الناسك . ولم يذكر هرلوين سوي توديبود ومؤلف الجستا . كما لم ترد تفاصيل هذا الحوار عند ريموندا جيل .
ويبدو أن بطرساً قد حاول في البداية إخافة كربوغا وتهديده بالحديث عن إمكانيات الصليبيين ، وربما جرت إقتراحات بإجراء مبارزات فردية لحسم الأمر بين الطرفين ، إلا أن السفارة الصليبية اصطدمت بعناد كربوغا الذي رأي أن يستسلم له الصليبيون دون شروط ، أو أن يكون السيف هو الذي يحدد مصير أنطاكية . وقد جاءت الرواية المتعلقة بسفارة بطرس أكثر تفصيلاً في أنشودة أنطاكية ، حيث يجعل مؤلفها المترجم هرلوين يبقي لدي كربوغا حتي شاهد الأخير جموع الفرنج وهي تخرج من أنطاكية لملاقاته ويستفسر من هرلوين عن شخصية قائد كل فرقة من فرق الجيش الصليبي الست في صباح ٢٨ يونية ١٠٩٨م / ٢٦ رجب ٤٩١ هـ .

ويذكر المؤرخ الإنجليزي وليم مالمسبري أن كربوغا قد رفض التفاهم مع بطرس أو الرد عليه واستمر في لعب النرد ، وصرّ علي أسنانه وصرف بطرس كما جاء. انظر : Albert d'Aix, p. 420 ; Gregory Beshada, Chanson, pp. 495 - 501 ; William of malmesbery, Gesta Regum Angolorum , 2 vols, ed. W. Stubbs, in R. S. , London, 1889, vol. 2 , p. 419 .

راجع أيضاً : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٣ .

(الترجمة العربية) .

(٣٢) يكتب توديبود بعد مناقشة أمر الجوع والخوف من الترك " ومع ذلك فقد نفذوا تعليمات المسيح " . وقد بدأ هذه الفقرة بكلمة " مع ذلك Tamen " =

= ويستخدم مؤلف الجستا كلمة أخيراً Tandem ، ليبدأ بها نفس الفقرة ويتجاهل أن الفرنج كانوا ينفذون تعليمات القس ستيفن . وكانت رواية توديبود أكثر وضوحاً في هذا الموضع . وقد تم الإحتفال الديني في ٢٥ - ٢٧ يونيو ١٠٩٨م . انظر : H. Chr, 289 ; Bréhier, Gesta, p. 150, 151 , Fn. 2 ; Hagenmeyer, Gesta , p. 368 , Fn. 1.

- راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٩٢ . وأيضاً :

Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 67 .

(الترجمة العربية) .

(٣٣) يتفق كل من توديبود ومؤلف الجستا وريموندا جيل علي عدد الفرق الصليبية . وانفرد توديبود بذكر جاستون بيرن وجنود كونت بواتو . ويجعل توديبود جاستون في صحبة تنكريد . وقد عرّف بسلي توديبود بأنه من الفرقة التي تنتمي إلي بواتو . ويدّعي ريموندا جيل أنه قام بحمل الحربة المقدسة بنفسه . انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 61 , 63 ; Bréhier,Gesta, pp. 150 , 152 .

- " وقد كنت شاهدا علي هذه الحوادث ، وحاملاً للحربة المقدسة " .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٦ .

(الترجمة العربية) .

(٣٤) جاء وصف صفوف رجال الدين عند ريموندا جيل ومؤلف الجستا وتوديبود متشابهاً لدرجة يتضح معها أن هناك عملية نسخ قد تمت بين المؤرخين الثلاثة . ويستخدم مؤلف الجستا ضمير المتكلم ليضفي صفة الأصالة علي روايته . =

= انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 62 , 63 ; Bréhier, Gesta , p. 152.

- انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٥ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٧٢ . راجع أيضاً :

Gesta Francorum , ed . Rosalind Hill , p. 68

(الترجمة العربية) .

(٢٥) وريموندا جيل أيضاً يذكر أن كربوغا قد سمح للصليبيين بالخروج دون أن يتعرض لهم أحد بسوء كما يضيف حديثاً لكربوغا وميردالين . وقد انفرد توديبود بذكر خروج مشاة هيو العظيم وكونت الفلاندر . وهذا مثال لما يقدمه توديبود من معلومات إضافية .

- لم يرد ذكر الحديث الذي دار بين كربوغا وبين ميردالين إلا عندما ريموندا جيل ، وينقله عنه بشادة في أنشودة أنطاكية ، ويجعل هيرلوين المترجم الذي اصطحب بطرس الناسك للتفاهم مع كربوغا قبل نشوب القتال بدلاً من ميردالين الذي كان يستفسر منه كربوغا عن قادة الفرنج ، ويعرفه لنا ريموندا جيل بأنه "أمير تركي من أنطاكية ونبيل شجاع معروف" . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٤ . راجع أيضاً : Gregory Beshada, Chanson, pp. 496 FF.

ولم يتم التعرف على من يحمل لقب ميردالين Mirdalin من رجال كربوغا . وربما كان في الاسم تحريفاً للكلمة الفرنسية القديمة أميرال Amiral ، من كلمة أمير العربية .

انظر : ريموندا جيل : المصدر السابق ، ص . ١٥ ، هامش رقم (٥) .

وكان خطأ كربوغا القاتل هو عدم أخذه بنصيحة قائده وثاب بن محمود بأن ينقض =

= علي الفرنج بمجرد خروجهم من مدينة أنطاكية ، واختار كربوغا أن يهاجمهم جميعاً دفعة واحدة علي أمل أن يحقق نصراً كاملاً . وربما اغتر كربوغا بضخامة جيشه حيث أمر كاتبه أن يرسل إلي الخليفة العباسي وإلي السلطان السلجوقي يخبرهما بحصاره للفرنج ، ويؤكد إنتصاره عليهم . وربما أكد له فكرته هذه ماسمعه عما سببته المجاعات للفرنج من متاعب . انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ . ١ ، ص ١١٥ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب، جـ ٢ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

وقد أورد الدكتور محمد الشيخ تحليلاً شاملاً دقيقاً للمعركة بين كربوغا والصليبيين ، وأسباب انتصار الفرنج ، انظر : محمد محمد مرسي الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتي سقوط الرها (١٠٩٧م - ١١٤٤م) ، الأسكندرية ١٩٧٢ م ، ص ١٣٩ - ١٥٠ .

(الترجمة العربية) .

(٣٦) ربما كانت تعليمات كربوغا مجرد استنباط أدبي . ومن المشكوك فيه أن تتوفر المعلومات عن تعليمات كربوغا إلي رجاله ، لدي المؤرخين .

(٣٧) يعتقد بربيه أن الفرقة السابعة تبين حكمة بوهيمند . ولايتحدث ريموندأجيل عن هذه الفرقة . وحسب وليم الصوري فإن رينالد Rainaldus من مواطني تول Toul . وورد في المخطوط AC من مخطوطات الجستا أنه من بيفيه Beauvais . انظر : Hagenmeyer, Gesta , p. 373 , Fn. 21 ; Bréhier, Gesta, p. 155 , Fn. 3 ; La Chanson d'antioche 2 : p. 219 (Rainars de Tors)

(٣٨) لايذكر مؤلف الجستا أن هذه هي المساعدة التي وعد بها ستيفن، ويحذف توديبود مرغوريوس ويضيف تيودور . وكان مرغوريوس جندياً أرمينياً مات في عام ٢٥٩ م . وهناك من يعرف بالقديس مرغوريوس عُرف بذبحه =

= لجوليان . وعند ريموندا جيل رواية عن مخلفات القديس جورج والقديس مرغوريوس . انظر : ; Raymond d'Aguilers, pp. 111 - 113
Hagenmeyer, Gesta , p. 375 , Fn. 28 .

ويكتب بريبه عن الثلاثة كحماة للجيش البيزنطي . انظر : Bréhier, Gesta,p.155, Fn. 5.

وعن ممتطي صهوة الجياد السماويين انظر : Prophetia Zachariae, 6 : 1 - 7;
Apocalypsis B. Joannis Apostoli, 6 : 1 - 3 ; 19 : 11 .

وعن الرايات البيضاء ، انظر : . Hill and Hill , 1960 , p. 76

- وفيما يخص الجيوش السماوية التي قادها القديسون المسيحيون فقد غصت المصادر اللاتينية التي عالجت تاريخ وأحداث الحملات الصليبية بعامة ، وأحداث الحملة الأولي منها بخاصة ، غصت بكثير من الروايات التي تثبت سذاجة الفرنج الدينية وإيمانهم بالظواهر الخارقة للطبيعة . وكان المؤرخون اللاتين أحياناً يميلون إلي تأكيد صحة وحقيقة مايحدث لإثارة الحماسة الصليبية في غرب أوربا ، فكانوا يستشهدون أحياناً بأسراهم من المسلمين عندما يسجلون في أعمالهم هذه الظواهر الخارقة للطبيعة . فيخبرنا ريموندا جيل - مثلاً - أنه بعد انتصار الفرنج علي سلاجقة الروم بالقرب من دوريليوم (أول يوليو ١٠٩٧م) ، حكي بعض الأتراك الذين كانوا تحت سيطرة الفرنج " عن معجزة كبيرة رأوا فيها فارسين وسيمين في دروع لها بريق ، وهما يركبان أمام جنودنا ولايبدو أن طعنات رماح الترك تؤثر فيهما.." . كما يضع جريجوري بشادة رواية مشابهة علي لسان كربوغا حين يجعله يري من بين القوات الصليبية التي خرجت لملاقاته من أنطاكية فرساناً =

= يرتدون ملابس بيضاء ويحملون أسلحة بيضاء ورايات بيضاء ، وأدرك أنهم ملائكة جاءوا لمساعدة الفرنج .

وهكذا لم يضع المؤرخون اللاتين في اعتبارهم تملق الأسري لعقائد الفرنج المنتصرين وسذاجتهم الدينية ، دون النظر إلي إحتمال - إذا كان المسلمون قد نطقوا بذلك - حدوث خلط بين رجال الدين الذين دائماً ما ارتدوا الملابس البيضاء وهم يصحبون الجيوش الصليبية ، كما كانوا يخرجون في مواكب دينية قبل خوض المعارك ضد المسلمين ، وبين مايعتقد فيه - أو يلفقه - المؤرخون اللاتين ، كما روي لنا منذ قليل توديبود ومؤلف الجستا عن خروج رجال الدين بصحبة الجيش الصليبي من أنطاكية لملاقاة كربوغا وقد تدثروا بالملابس البيضاء . ومما يؤكد إيمان الفرنج وحدهم بهذه الظاهرة ، ما حدث الآن ، فإن مؤلف الجستا وتوديبود وهما مشاركان في المعركة ضد كربوغا ، يذكران أن الفرنج قد شاهدوا القوات المحاربة السماوية بقيادة القديسين جرجس ومرغوريوس وديمتري وتيودور ، ويختتم المؤلفان روايتيهما بعبارة نشعر معها أنهما يخشيان أن يتشكك قراء تاريخيهما في صحة هذه الوقعة" لأن الكثيرين من رجالنا شاهدوا تلك الآية " .

وهكذا فإن الإيمان بالظواهر الخارقة للطبيعة وبالسحر والخرافة كان أحد طبائع فرنج الحملات الصليبية التي أكدتها المصادر اللاتينية . وهو موضوع بحيث نقوم علي نشره قريباً بإذن الله .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٧٩ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٩٢، ٩٤ . راجع أيضاً : Gregory Beshada, Chamson, p. 498.

(الترجمة العربية) .

(٣٩) لم يذكر ريموندا جيل أن النيران قد أشعلت كإشارة للإنسحاب .

انظر : . Raymond d'Aguilers, p. 63

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٦ .

(الترجمة العربية) .

(٤٠) من الغريب أن نلاحظ أن مؤلف الجستا وتوديبود يذكران أن الصليبيين لم يقفوا للسلب والنهب . وقد كان بطرس بارثلميو قد أمرهم بذلك كما أورد ريموندا جيل . وهذا دليل آخر علي أن توديبود ومؤلف الجستا كانا يستخدمان مصدراً تاريخياً مشتركاً لأنهما لم يذكرا تعليمات بطرس بارثلميو بالتفصيل . فإما أنهما قد اقتبسا رواية ريموندا جيل أو أن هناك مصدراً مشتركاً نقل عنه المؤرخون الثلاثة . وهناك جدل حول مدي هروب الترك . ويعتقد بريبه أنه حدثت مطاردة غرباً حتي جبل تنكريد ، وشرقاً حتي جسر نهر العاصي . انظر : , Bréhier, Gesta, p. 157 , Fn. 3
Hagenmeyer, Gesta, p. 378 , Fn. 42 .

وقد وقعت المعركة في ٢٨ يونيو ١٠٩٨م . انظر : . H. Chr., 291

- " ولكن لاتتحولوا إلي خيام الأعداء طلباً للذهب والفضة " . هذه هي تعليمات القديس أندرو التي وردت علي لسان بارثلميو ليحث الفرنج علي عدم الإنشغال بالسلب والنهب دون مطاردة الترك والقضاء عليهم حسب رواية ريموندا جيل . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٢ .

(الترجمة العربية) .

(٤١) جاءت روايات كل من مؤلف الجستا وتوديبود وريموندا جيل عن الأسلاب متشابهة . ويربط ريموندا جيل بين هروب الترك وبين هروب السريان من السامرة . انظر : . Raymond d'Aguilers, p. 64

- " فضلاً عن ذلك فإن الغنائم كانت تتضمن كل خيام الأتراك بالكثير من الذهب والفضة ، والكثير من الأسلاب ، وكميات لاتقدر من الحبوب ، وأعداداً لاتحصي من الماشية والجمال " فذكرتنا بهروب السريان في سامرة . " هذا التشبيه مقتبس من سفر الملوك ، ٧ : ١٨ .

انظر : ريموندا جيل : ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(الترجمة العربية) .

(٤٢) تصرف الأرمن والسريان نفس تصرفهم بعد هزيمة ياغي سيان .

(٤٣) أحمد بن مروان ، متولي أمر القلعة ، وسلمها لبوهيمند وكونت صنجيل ، والدوق جودفري ، وكونت الفلاندر كما يذكر ريموندا جيل . ويذكر توديبود أن الأمير قد وافق علي تسليمها في حالة هزيمة كربوغا . ونلاحظ وجود إقحام علي نص الجستا في هذا الموضع لتمجيد بوهيمند وليضيف طعماً لقصته . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 65 ; Bréhier, Gesta,p.158.

- يذكر مؤلف الجستا أن أحمد بن مروان عندما رفع العلم الأول وعلم أنه ليس علم بوهيمند انتزعه من موضعه وطلب علم بوهيمند وتسلمه بكل سرور .

وهكذا يجعل مؤلف الجستا أحمد بن مروان يعدل عن رأيه ويسلم القلعة لبوهيمند =

= دون بقية الأمراء الصليبيين وهي محاولة لإبراز دور بوهيمند في الحملة الصليبية الأولي ، الأمر الذي حرص عليه إما مؤلف الجستا أو من أقحم هذه الرواية علي نص الجستا .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٩٥ ، راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 71 .

(الترجمة العربية) .

(٤٤) يذكر ريموندا جيل أن بوهيمند قد طالب بأخذ القلعة والبوابات . ولم يعترض سوي كونت صنجيل . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 65 .

- " فجاء يطالب بالقلعة وبأبواب أنطاكية التي كان يحميها ريموند وأدهيمار باستثناء الكونت ، فرغم حالة الضعف التي كان عليها ريموند ، فإنه لم يشأ أن يتنازل عن باب الجسر . " انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٥١ .

أما عن إرتداد بعض المسلمين عن الدين الإسلامي الحنيف ، فإن ورود مثل هذه الروايات في المصادر اللاتينية التي عالجت تاريخ الحملات الصليبية ، أمر لايعدو أن يكون مجرد محاولة منهم لإثارة الحماسة الصليبية في غرب أوربا . أما بالنسبة لمؤلف الجستا بصفة خاصة فهي دعاية لبوهيمند في غرب أوربا ، ومن المعروف أن بوهيمند قد استخدم نص الجستا للدعاية لنفسه ولقضيته لإمتلاك أنطاكية في غرب أوربا ، وربما لم يجد غضاضة في إظهار نفسه بمظهر المتسامح في سبيل الدين المسيحي أمام الرأي العام الغربي ، علي عكس مافعله ريموند بيليه فيما بعد حين قام بذبح أسراه من المسلمين الذين لم يقبلوا اعتناق المسيحية ، بالقرب من قرية تل منس . وعلي أية حال ، فإن قضية ارتداد المسلمين هنا تحتاج لدراسات مستفيضة ومتأنية .=

= انظر : Norman Daniel , The Arabs and Mediaeval Europe,
Liban, 1975, p. 193 .

راجع أيضاً مايتقدم من الفصل التاسع ، ص ٢٥٧.

(الترجمة العربية) .

(٤٥) ينهي ريموندا جيل روايته بأسلوب مشابه . ونعتقد أن إنهاء الفصول بتسبيحة الشكر لم يكن أمراً مشتركاً تماماً بين الجستا وتوديبود . ففي الحقيقة أن نهايات فصول الجستا وتوديبود ليست متشابهة في كثير من المواضع . ولكن تسبيحة الشكر كانت مشتركة بينهما . انظر :
Absolution (office) Ordinary , 11 Noc turn ; Bréhier, Gesta, p. xi; Raymond d'Aguilers, p. 64 .

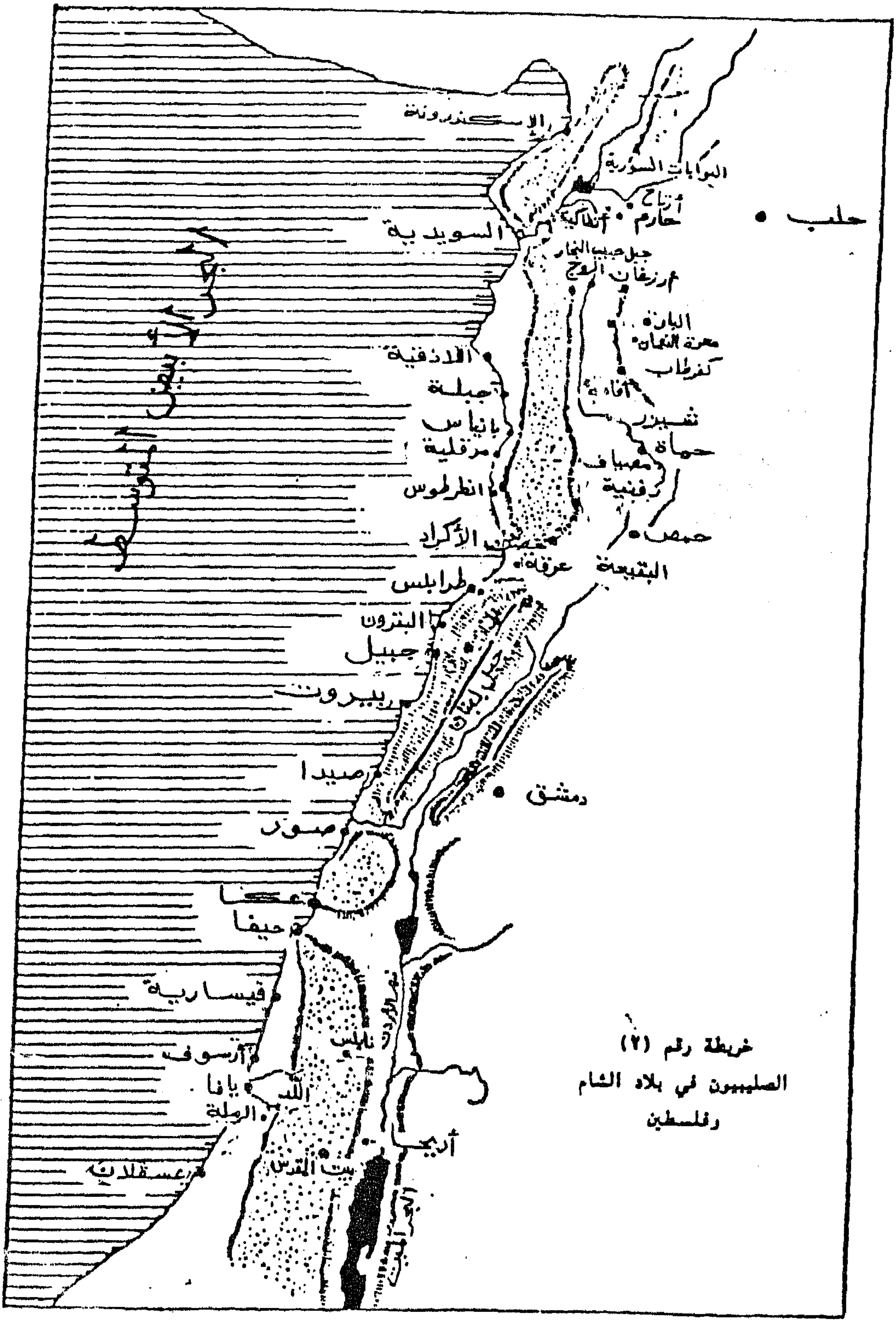

خريطة رقم (٢)
الصليبيون في بلاد الشام وفلسطين

الفصل التاسع

الإقامة المؤقتة في أنطاكية وغارات الصليبيين

بعد اندحار كل أعدائنا ، الأمر الذي استوجب تقديم الشكر والثناء للرب القدير وللقبر المقدس ، ولي الترك الأدبار في فوضي ؛ ولجأوا إلي الأودية والحدائق والحقول ، بعضهم بين الحياة والموت وبعضهم مثخنا بالجراح . ولقوا حتفهم في الطريق ، فقد كمن لهم اليونانيون والأرمن والسريان ، بعد أن علموا بانهزامهم ، وتخطفوهم وقتلوهم وأصابوهم بجراح بالغة . وعاد حجاجنا إلي أنطاكية فرحين متباهين بانتصارهم البطولي الساحق علي أعداء الرب والمسيحية المقدسة (١) .

ثم اجتمع قادتنا في كنيسة القديس بطرس ليقرروا كيف يحكمون ويقودون الناس بسداد ، حتي يستأنفوا الرحلة إلي القبر المقدس ، تلك الرحلة التي تحمل الكثيرون ، بإخلاص ، من أجلها أشد الصعاب . وعقد المجتمعون العزم علي عدم الشروع في دخول بلاد المسلمين في ذلك الوقت ، نظراً لما يسودها صيفاً من جفاف وشدة القيظ ؛ فلن يجازفوا بقطع هذا الطريق لأنه لن يكون في مقدورهم قيادة وحماية شعب المسيح . لذلك حددوا أول شهر نوفبمر ، عيد كل القديسين ، موعداً لتجمعهم في أنطاكية لبدء الرحلة السعيدة إلي القبر المقدس . ووافق الجميع علي هذا القرار الصائب الحكيم (٢) .

ومن ثم ، رحل كل قائد إلي أرضه ، أقصد إلي القلاع والمدن حتي يحين ميعاد الرحيل (٣) . وأصدر جميع الأمراء أوامرهم بأن يعلن في كل أرجاء أنطاكية ، أنه إذا كان أي صليبي في عوز ويحتاج للذهب أو الفضة ويرغب في عقد اتفاق معهم ، فلايتردد في البقاء معهم حيث سيمنحونه عن طيب خاطر كل ما يُتفق عليه (٤) .

وكان في جيش ريموند كونت صنجيل أحد الفرسان يدعي ريموند بيليه [٥] ، كان في معيته كثير من الفرسان والأتباع . ورحل هذا الفارس بصحبة رجاله واخترق حدود بلاد المسلمين ماراً بمدينتين اسلاميتين ، ووصل إلي قلعة تسمي تل مَنَّس [٦] . فسارع سكانها السريان بتسليمها إليه . وأقام الصليبيون في هذا الموضع قرابة ثمانية أيام حتي وصلت الرسل برسالة تقول : " يوجد علي مقربة منكم حصن يعج بالمسلمين " . فخرج الفرسان المسيحيون وأحكموا تطويق الحصن ، وأستولوا عليه في الحال بعون الرب [٧] والقبر المقدس . وأسروا كل من فيه من المسلمين ، وأبقوا علي حياة من اعترفوا بالمسيح كمخلصهم ورغبوا في أن يعمّدوا ، وقتلوا كل من رفض منهم اعتناق المسيحية .

وعادوا فرحين إلي الحصن الذي جاءوا منه ، وبعد ثلاثة أيام عاودوا الرحيل حتي وصلوا إلي مدينة معرة النعمان القريبة [٨] التي اجتمع بها كثير من الترك والعرب وغيرهم من مسلمي مدن حلب ودمشق والقلاع المجاورة .

وخرج البرابرة للقتال ، وظن جنودنا أنهم سيتعرضون للهجوم ؛ إلا أن العدو بدأ في الهرب ليعود مرة أخري لقتال رجالنا طوال اليوم حتي غروب الشمس . ولم يكن في مقدور قواتنا تحمل الجفاف بسبب حرارة الصيف ، وآثروا العودة إلي معسكرهم سالمين لأنهم لم يتمكنوا من العثور علي مايكسروا به عطشهم من المياه . وانسحب السريان والفقراء ، الذين نال منهم العطش الشديد وأصابهم الهوس ، بسبب خطاياهم وذنوبهم [٩] ، في سرعة إلي قلعتهم . وبدأ الترك في تشديد الهجوم حين رأوا المسيحيين يتراجعون أمامهم ؛ وليس مستغرباً أن يمنحهم النصر قوة . وأسلم كثير من الصليبيين أرواحهم بسعادة إلي الرب الذي اجمعتوا هناك من أجله [١٠] . وكان من بين القتلي الفارس العظيم أرنولد توديبود [١١] . وعند انتهاء المعركة عاد من تبقي علي قيد الحياة من المسيحيين إلي قلعتهم ، حيث بقوا هناك عدة أيام .

وفي أثناء ذلك ، كان الصليبيون الذي مكثوا بأنطاكية ينعمون بالسعادة والبهجة لعدم وصول الأنباء السيئة إليهم ، وكانوا يجهلون ما آل إليه مصير إخوانهم . وكان قائدهم وراعيهم هو أدهيمار أسقف لي بويه ، الذي وقع بمشيئة الرب فريسة لمرض عضال ، وفاضت روحه في سلام ليرقد عند الرب ، وبالتحديد في رحاب إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وكان موته في عيد القديس بطرس في الأصفاد(١٢) . وابتهجت روحه السعيدة مع الملائكة . وعم الكرب واليأس(١٣) والألم الذي لايوصف كل الجيش الصليبي لأنه كان سند الفقير وناصح الغني . وكان أدهيمار قد نظم الإكليروس ، وكرز ووعظ الفرسان وغيرهم من الموسرين محذراً إياهم بقوله" " لن يجد أحدكم خلاصه إن لم تكرموا الفقراء من الكهنة ، وتأخذوا بأيديهم. فلن يكتب لكم الخلاص بدونهم ، وهم لايستطيعون العيش بدونكم . وقد وجب عليكم أن يصلوا للرب يومياً ليغفر خطاياكم التي ارتكبتم بسببها السيئات بوسائل كثيرة لاتغتفر ، وعليكم أنتم أن تطعموا الفقراء الذين لم تتوفر فيهم الحكمة ليبحثوا ويجدوا مثلكم . لذلك ، أطلب منكم إعانتهم حباً في الرب ، ومساندتهم بكل ماتملكون " (١٤) .

وبعد ذلك بفترة وجيزة دخل ريموند كونت صنجيل المبجل أراضي المسلمين ووصل إلي بلدة تسمي البارة وحاصرها بقواته (١٥) . واستولي عليها بمشيئة الرب في فترة وجيزة ثم قام بقتل كل من وجده فيها من المسلمين ، رجل أو امرأة ، كبير أو صغير . وبعد أن وطد سلطته أعاد ريموند المدينة إلي الدين المسيحي ؛ ثم بدأ دونما تأجيل بالتشاور مع أكثر مستشاريه حكمة كيف يختار بإخلاص الأسقف الذي يكرس نفسه تماماً ليعيد البارة إلي عناية الرب ، وليقيم هناك محاريب القديسين تكريماً لهم . بعد ذلك إختار كاهناً وأرسله إلي أنطاكية لرسامته . وبعد هذه الشعائر ، عقد الأسقف الجديد المجالس بصفته بديلاً عن أدهيمار أسقف لي بويه(١٦) .

ولما اقترب موعد الرحيل ، وهو عيد جميع القديسين ، رجع كل قادتنا إلي أنطاكية باستثناء بوهيمند الذي كان طريح الفراش في آسيا الصغري بعد أن أقعده مرض عضال (١٧) . ولهذا السبب تأجل موعد الرحيل .

ثم حان الوقت حين أصبح في مقدرور بوهيمند أن يخوض المعارك ، لذلك حضر إلي أنطاكية في الحال ، حيث اجتمع كل القادة الآخرين . بعد ذلك عقد كل السادة مجلساً وبدأوا في بحث الوسائل التي يستأنفون بها الرحلة إلي القبر المقدس قائلين : " طالما حان الوقت المناسب للرحيل ، ففيم الانتظار ؟ " (١٨) .

ولكن بوهيمند ظل ينشد كل يوم إتمام الاتفاق ؛ أي ، إعادة أنطاكية إليه، الأمر الذي أكده جميع القادة . واشتكي بوهيمند بمرارة من أن ريموند كونت صنجيل لم يكن طرفاً في الإتفاق الذي ينشد بوهيمند عقده لأن الكونت كان يخشي أن يحنث بيمينه للإمبراطور . وتكررت لقاءات القادة في كنيسة القديس بطرس ، وكرر بوهيمند خلالها قراءة بنود الإتفاق علي الملأ ، كما قرأ ريموند تعهده ويمينه الذي أداه أمام ألكسيوس بناء علي نصيحة بوهيمند (١٩) .

واختلي الأساقفة والدوق جودفري وروبرت كونت الفلاندر وروبرت النورماندي والكونت يوستاس وغيرهم من القادة ، ودلفوا إلي الكنيسة بجوار كرسي القديس بطرس حتي يتسني لهم داخل الكنيسة أن ينطقوا بحكم في النزاع القائم بين بوهيمند وريموند (٢٠) . ولكن لخشيتهم أن لاتستأنف الرحلة إلي القبر المقدس ، فقد عمدوا إلي المماطلة . ولما علم ريموند كونت صنجيل بأمر هذه المشكلة عرض : "حتي لانقلع عن مواصلة الرحلة إلي القبر المقدس ، فإنني سأنفذ طوعاً كل مايوصي به الأساقفة والدوق جودفري وروبرت النورماندي وكنت الفلاندر وبقية الأمراء ، إذا ما وافق بوهيمند علي المجئ معنا ، إن لم يتعارض ذلك مع وفائي لألكسيوس " .

وأثني بوهيمند علي الإقتراح ووافق عليه . ووعد الإثنان ، وقد عقدا الأيدي مع الأساقفة (٢١) وفي حضور الحجاج ، بأن لايتخلي أي منهما عن الرحلة إلي القبر المقدس تحت أي ظرف من الظروف . ومن ثم استشار بوهيمند رجاله حول أفضل الوسائل لتحصين القلعة في أعلي الجبل بالأسلحة والمؤن الكافية لإقامة طويلة الأمد (٢٢) . وقام ريموند ، بدوره ، بتحصين قصر باغي سيان والبرج الواقع أعلي باب الجسر في القطاع المواجه لميناء السويدية (٢٣) .

وأنطاكية مدينة هامة ، جميلة ، ذائعة الصيت ، داخل أسوارها تقوم أربعة جبال ضخمة شاهقة (٢٤) . يتوج أعلي هذه الجبال قلعة منيعة ضخمة . وفي السفح تقع المدينة الشهيرة المنشودة دائماً . وقد صممت بشكل بديع ، ففي داخلها تتوفر أعذب المياه التي تتدفق من خلال الينابيع الجبلية . وبها ألف ومائتي كنيسة، وثلاثمائة وستون ديراً برهبانها ، ويخضع لسلطة بطريركها مائة وثلاثة وخمسون أسقفاً . ويحيط بأنطاكية سوران وقد شيد أكبرها وأهمها بالأحجار القوية ، وتنتشر فوقه أربعمائة برج . وباختصار ، فقد صممت أنطاكية أعظم تصميم . ويحيط بها من جهة الشرق أربعة جبال شاهقة ، ومن جهة الغرب يجري نهر العاصي العظيم بمحازاة الأسوار . وكانت أنطاكية محط الأنظار لجمالها الفائق ، ولم يكن أحد ليتخلي عن هذه المدينة الملكية إلا إذا كان علي درجة كبيرة من الحماقة (٢٥) . وكانت ذو قوة وسلطة ، فقد حكمها في الماضي خمسة وسبعون ملكاً وهم : ....

....

....

....

وأنطيوخوس ، وهو أعظم هؤلاء ، وهو الذي سميت المدينة بإسمه (٢٧) .

وقد قام الصليبيون ، كما سمعتم من قبل ، علي حصار أنطاكية قرابة ثمانية أشهر ويوم واحد (٢٨) . ثم حاصر الترك الصليبيين داخل أنطاكية لمدة ستة وعشرين يوماً (٢٩) . ثم بقي الصليبيون بعون الرب والقبر المقدس في أنطاكية هانئين فرحين لمدة خمسة أشهر ونصف (٣٠) .

وفي اليوم الثامن قبل نهاية شهر نوفمبر (٢٣ نوفمبر ١٠٩٨م) رحل ريموند كونت صنجيل بصحبة جيشه عن أنطاكية ، ووصل مدينة تسمي الروج ومنها سار نحو البارة . وفي اليوم الرابع قبل نهاية نوفمبر (٢٧ نوفمبر ١٠٩٨م) وصل قيالة معرة النعمان ، وهي مدينة تعج بالمسلمين ، والترك ، والعرب ، وغيرهم من الكفرة (٣١) وف اليوم التالي ، شن ريموند وقواته هجوماً علي المدينة ، ولكنه لم يتمكن من أخذها لأن الرب لم يشأ ذلك . واقتفي بوهيمند وجيشه أثر ريموند ، ووصلوا إلي معرة النعمان واشتركوا في حصارها وذلك في يوم الأحد (٣٢). وفي يوم الإثنين شنوا هجوماً عنيفاً علي المدينة من كل الجهات ودفعوا بالسلالم نحو الأسوار . واختلط الحابل بالنابل ، ووجه الصليبيون ضرباتهم للمسلمين مستخدمين الحراب والسيوف ، إلا أن قوة المسلمين كانت عظيمة في ذلك اليوم حتي أن الصليبيين لم يتمكنوا من إيقاع الأذي بهم بأية وسيلة ، بل إنهم عانوا الكثير من الشرور .

وندر الطعام بين صفوف رجالنا الذين لم يتجرأوا علي التجول في أي مكان، فقد طافت دوريات المسلمين كبيرة العدد بسواد المدينة . وأخبر أندرو البصير المبارك، الذي لايغفل والذي حرص علي مراقبة مخاوف المسيحيين ، أخبر بطرس بارثلميو ، إذا ماعاد الصليبيون جميعاً عن آثامهم ، وآمنوا بمصلحة الآخرين ، فعلي بارثلميو أن يقول لهم : " أحبوا إخوانكم كما تحبون أنفسكم ؛ وأعيدوا حصته التي احتفظ بها حين خلق هذا العالم وكل مافيه من مخلوقات ؛ أي ، عُشْر كل ماتملكون . وسوف يمنحهم معرة النعمان في أقرب وقت ويحقق كل رغباتكم .

وطلب أن يقسّم العشر المذكور آنفاً إلي أربعة أجزاء . الأول ، يمنح للأسقف ، وجزء للقساوسة ، وجزء للكنائس ، وجزء للفقراء " (٣٣) . وافق الجميع علي هذا الطلب.

وعلي الفور ، قام ريموند كونت صنجيل ببناء برج خشبي عال ومتين يسير علي أربع عجلات . واعتلاه عدد كبير من الفرسان ، بينما وقف إبرادوس الصياد يقرع طبلته والرايات خفاقة أمامه ؛ حقيقة كان مشهداً جميلاً (٣٤) . وفي الجزء الأسفل من البرج كان هناك أكثر من مائة فارس مدججين بالسلاح ، ودفعوا البرج ناحية المدينة بجوار أحد الأبراج (٣٥) . ودفع هذا المشهد العدو إلي إقامة العديد من آلات الحرب ، ورشق المسلمون برجنا منها بأحجار ضخمة فقتلوا كل فرساننا تقريباً (٣٦) . ومزقوا الأعلام التي كانت تخفق أعلي البرج بالسهام والصخور ، وأمطروا البرج بالنار الإغريقية عساهم يحرقونه (٣٧) . ولكن الرب الطيب الرحيم لم يشأ أن يحترق البرج ، واستمر شامخاً أعلي من كل أسوار وأبراج معرة النعمان. في الواقع ، قام وليم مونتبيليه (٣٨) وكثير من الفرسان الآخرين الذين كانوا في أعلي متراس في البرج ، بقذف المسلمين الذين قاموا علي حراسة السور بأحجار ضخمة . وكانت الأحجار تصطدم بالتروس ، فكان الرجل يكبو ومعه ترسه ، وسئ الحظ من كان يسقط قتيلاً من أعلي السور . وأمسك آخرون برماح عقدوا بها رايات ، وبرماحهم هذه وبخطافات حديدية حاولوا سحب الأعداء نحوهم (٣٩) . وقاتل الفرسان وأتباعهم ، بينما تدثر القساوسة والرهبان بعباءاتهم المقدسة ، ووقفوا خلف البرج يصلون ويتضرعون إلي سيدنا عيسي المسيح ليحمي شعبه ، ويمنح فرسان المسيح النصر ، ويمجد المسيحية ، ويدمر الوثنية . وظلوا هكذا يقاتلون حتي الغروب (٤٠) .

وكان أول من تسلق السلم المثبت علي الأسوار هو الفارس النبيل جوفييه(٤١). وعلي أية حال ، فسرعان ماتحطم السلم تحت ثقل عدد كبير ممن

تبعوه . إلا أن جوفييه ومعه آخرون ممن وصلوا إلي أعلي السور ، بدأوا في قتال العدو بحراب مميتة . ووجد مسيحيون آخرون سلماً آخر فثبتوه بسرعة علي السور؛ وتسلقه حشد كبير من الفرسان والرجالة حتي أن السور لم يكد يتحملهم. فاندفع المسلمون نحو الصليبيين بضراوة من أعلي السور ومن الأرض ، وقذفوهم بالسهام ، واشتبكوا معهم يداً بيد مستخدمين الحراب ، فاستبد الذعر بالمسيحيين فقفزوا من أعلي السور . واستمر بعض الرجال البواسل ، تحت ضغط شديد ، في الدفاع عن الأسوار أمام هجوم المسلمين ، بينما كان آخرون أسفل البرج يحاولون أن ينقبوا السور . وأصاب هذا المشهد المسلمين بالهلع ، فاندفعوا هاربين إلي داخل المدينة في هرج ومرج . وقد وقعت هذه الأحداث في يوم السبت الحادي عشر من شهر ديسمبر (١٠٩٨م) ساعة صلاة المساء عند غروب الشمس [٤٢] .

وبعث بوهيمند برسالة إلي زعماء المسلمين داخل المدينة ، عن طريق مترجم ، يخبرهم بأنه سيحافظ علي حياتهم إذا ما أخذوا متاعهم وتوجهوا إلي القصر الواقع فوق بوابة المدينة ، بصحبة زوجاتهم وأطفالهم . واقتحم جميع رجالنا معرة النعمان ، وأخذ كل منهم ما وجده من أسلاب في المنازل والأقبية . ولما أشرق الصباح قاموا بذبح كل من وجدوه من المسلمين من الرجال والنساء . ولم يخل ركن من أكان المدينة من جثث المسلمين ، ولم يكن فئ استطاعة أحد عبور الشوارع دون أن يخطو فوق جثث الموتي . واعتقل بوهيمند أولئك الذين أمرهم باللجوء إلي القصر ، وسلبهم كل مايملكون ، من ذهب وفضة وغيرها من المتاع . وقام بقتل البعض ، وأمر باقتياد البعض الآخر ليباعوا في سوق النخاسة في أنطاكية [٤٣] . واستولي كثير من رجالنا علي الضروريات ، إلا أن الكثيرين منهم لم يصادفوا أية أسلاب . بعد ذلك ، حدث شئ من التراخي في معرة النعمان ، حتي شعر الكثيرون بالضيق لأنهم لم يتجرأوا علي الابتعاد داخل أراضي المسلمين ، ولم يعثروا علي أية أسلاب في المناطق القريبة . ونتيجة لذلك ، لم يجلب مسيحيو المنطقة شيئاً يبيعونه . ومن ثم ، بدأ فقراؤنا في بقر بطون موتي المسلمين لعثورهم علي مابتلعوه من

نقود (بيزنطات) . وهناك آخرون كانوا يتضرعون جوعاً لدرجة أنهم قاموا بتقطيع لحوم الموتي إلي قطع صغيرة ، وقاموا بطهيها والتهامها . وعندما لاحظ القادة ذلك ، أمروا بسحب جثث المسلمين خارج أبواب المدينة ، وجمعها في أكوام ثم حرقها [٤٤] .

وعاد بوهيمند إلي أنطاكية بعد أن عجز عن الاتفاق مع ريموند كونت صنجيل . وبعد ذلك بفترة وجيزة بعث ريموند مبعوثيه إلي كل من الدوق جودفري، وكونت الفلاندرز ، وروبرت النورماندي ، وبوهيمند يدعوهم للقدوم إلي قلعة الروج للتفاوض معه . وحضر كل الرؤساء وتناقشوا حول الوسائل التي يستأنفون بها الرحلة إلي القبر المقدس ، الذي كان استرداده باعثاً لهم علي الحضور إلي هذه البلاد البعيدة [٤٥] . ونشأت مشكلة بمطالبة بوهيمند بتملك أنطاكية وبرفض ريموند لارتباطه بالقسم الذي أداه لألكسيوس . ومن ثم ، عاد الدوق جودفري وسائر الكونتات إلي أنطاكية . وعاد ريموند جندي المسيح هذا ، إلي معرة النعمان ، حيث عسكر حجاج القبر المقدس . كما أرسل رجاله إلي أنطاكية وأمرهم بتحصين وحراسة قصر ياغي سيان الذي يخضع لسلطته ، والقائم أعلي باب الجسر المواجه لقلعة المنبر .

وفي معرة النعمان مات أسقف أورانج الحكيم [٤٦] ، وتمهل الحجاج هناك لمدة شهر وثلاثة أيام . وفي تلك الفترة ، قام بوهيمند بطرد جميع رجال ريموند كونت صنجيل من أنطاكية ، رغبة منه في الاستحواذ علي المدينة وحده . وعندما تلقي المحارب الصليبي ريموند أنباء ذلك ، لم يكترث ، وكخادم لسيدنا عيسي المسيح ، استأنف المسير إلي القبر المقدس [٤٧] .

هوامش الفصل التاسع

(١) يشير ريموندا جيل إلي أن عودة الصليبيين كانت نصراً . ويقدم توديبود الشكر للرب القدير وللقبر المقدس ، بينما يقدم مؤلف الجستا الشكر للرب الثالوث trino الأوحد uno . وينفذ كل من توديبود ومؤلف الجستا فكرة النصر المسيحي . انظر : Apocalypsis B. Joannis 19 : 6 , 7 ; Prophetia Sophoniae 3 ; 14 - 17 .

ويكتب توديبود عن اليونانيين والأرمن والسريان المنشغلين بالمذبحة . بينما يحذف مؤلف الجستا هذه المعلومات في هذا الموضع . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 64; Bréhier, Gesta, p. 160 .

- لم يذكر إشتراك الأرمن واليونانيين والسريان في مطاردة فلول جيش كربوغا سوي توديبود . ولم يذكر ريموندا جيل سوي الأسلاب المتنوعة التي استولي عليها الصليبيون . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(الترجمة العربية) .

(٢) يحذف توديبود الرواية المتعلقة بإرسال هيو فيرماندوا إلي القسطنطينية . وكذلك فعل ريموندا جيل . وكان قرار المجلس قراراً حكيماً لكنه لم ينل تأييد رجال الدين والحجاج ، الذين اعتمدوا علي رحمة الرب أكثر من اعتمادهم علي العقل . ويناقش بريبه الأحوال الجوية التي كان لها تأثير في إتخاذ القرار. انظر : Bréhier, Gesta , p. 162 , n. 2 . .

ويعكس ريموندا جيل رد الفعل الكهنوتي بالنسبة لقرار المجلس .

انظر : Raymond d'Aguilers, p. 65.

= وقد حدد كل من ريموندا جيل ومؤلف الجستا تاريخ الرحيل بأول نوفمبر ، ويضيف توديبود عيد كل القديسين ، كما يضيف أيضاً أن الاجتماع كان ودياً . وقد عقد المجلس في ٣ يوليو ١٠٩٨م .

انظر : . H. Chr., 298

- يذكر مؤلف الجستا أن هيو لم يعد إلي بلاد الشام إلا أنه قابل الإمبراطور بالفعل، فقد رحل هيو في أوائل يوليو ١٠٩٨م بصحبة بلدوين هينولت ، وتعرضوا لهجوم تركي في آسيا الصغري اختفي علي أثره بلدوين ولم يعرف مصيره ، بينما وصل هيو إلي القسطنطينية في خريف العام نفسه حيث قابل الإمبراطور البيزنطي وأخبره بقصة الإستيلاء علي أنطاكية ، ويعرض عليه القدوم إلي الشام لإستلامها كما تم الإتفاق عليه بين الفرنج والإمبراطور . ثم توجه هيو بعد ذلك إلي فرنسا كما ذكر فولشر أوف شارتر.

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٩٨ .

راجع أيضاً : Albert d'Aix, pp. 434 - 435 ; Fulcher of Chartres, p. 107.

(الترجمة العربية) .

(٣) يقرر مؤلف الجستا أن السادة " تفرقوا divisi sunt " ثم رحلوا . ويستخدم ريموندا جيل – فيما بعد – تعبير " تفرقوا فيما بينهم inter se divisi " .

انظر : Bréhier , Gesta , p. 162 ; Raymond d'Aguilers, Liber, p. 84

وقد ناقشنا هذه المشكلة في كتابنا : . Raymond IV , p. 95 =

= انظر : Hagenmeyer, Gesta, p. 385 , Fn. 13.

(٤) يقدم نص توديبود هنا فكرة تعاقد إقطاعي ، وهي فكرة لم ينقلها إلينا مؤلف الجستا بهذا الوضوح . انظر : Bréhier, Gesta, p. 162.

- لا يفهم من نص الجستا من المقصود بهم الذين سيحتاجون للأموال . أهم الصليبيون أم الأرمن واليونانيون والسريان . حيث ينهي عبارته بقوله "يستطيعون أن يقيموا معهم إذا شاءوا حسب إتفاق يبرم بين الطرفين ، وأنهم - يقصد الأمراء - يتلقونهم علي الرحب والسعة " . وإذا كان الأمر يتعلق بفقراء الفرنج فإنه من الطبيعي أنهم سيبقون بصحبة أمرائهم ولن يتركوا أنطاكية إلي أي مكان وخاصة إلي بيت المقدس دون قادتهم ، ومن الطبيعي أيضاً أن يكونوا محل ترحيب من قبل هؤلاء القادة الذين أتوا بهم من غرب أوربا . أما من كان من المحتمل أن يترك أنطاكية فهم المسيحيين الشرقيين فقط . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٩٨ ، راجع أيضاً :
Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 72 - 73 .

(الترجمة العربية) .

(٥) عُرف ريموند بيليه بأنه فارس من ليموزين كما يري بريبه . وهو سيد Alais حسب إحدي مخطوطات الجستا . انظر : . HGL. 3 ; p. 483

ويعتقد هاجنمير أن ريموند بيليه قد رحل في ١٤ يوليو ١٠٩٨م . ويري رنسيمان أنه ترك أنطاكية في ١٧ يوليو ١٠٩٨م .

انظر : . Runciman, 1951 , p. 251 ; H. Chr., 301

(٦) تل منس ، قرية تقع جنوب أنطاكية ، بالقرب من معرة النعمان . وقد تسلمها كونت صنجيل في ١٧ يوليو ١٠٩٨م . انظر :. H. Chr. 302 =

– يضع رنسيمان إستيلاء ريموند بيليه علي تل منس في ٢٠ يوليو ١٠٩٨م . ولم يقدم لنا ابن العديم الذي أورد هذه الحادثة تاريخاً لإستيلاء الفرنج علي المدينة .

انظر : . Runciman , A History , vol. 1 , p. 251

راجع أيضاً : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

(الترجمة العربية) .

(٧) يضيف مؤلف الجستا " بعون الرب " . انظر : .Bréhier, Gesta , p .162

وقد تم الإستيلاء علي الحصن في ٢٥ يوليو ١٠٩٨م . انظر : .H. Chr., 306

(٨) كانت معرة النعمان تقع جنوب شرق أنطاكية علي الطريق من حماة إلي حلب. وقد نشب القتال في ٢٧ يوليو ١٠٩٨م . انظر : .H. Chr., 307

ويخطئ مؤلف الجستا حين يقرر أن القتال قد نشب في الخامس من يوليو . ولم يقع توديبود في نفس الخطأ .

انظر : . Gesta , p. 164

– عن مسألة دخول بعض المسلمين في المسيحية ، التي لم يعلق عليها المترجمان . انظر : الفصل الثامن ، هامش رقم (٤٤) .

(الترجمة العربية) .

(٩) " بسبب خطاياهم وذنوبهم " . انظر : The Offer tory (Missal Order of the Mass) .

(١٠) من الواضح أن الحجاج والسريان كانوا مسئولين عن الهزيمة . وكانت القوات التركية التي دحرت الفرنج هنا هي قوات رضوان صاحب حلب .

= - " ... فوصلت قطعة من عسكر حلب إليهم ..... " . انظر :

ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

(الترجمة العربية) .

(١١) كان توديبود هو المؤرخ الوحيد الذي ذكر موت أرنولد توديبود . ومن المحتمل أنه شقيق للمؤلف ، إلا أن المؤرخ لم يقرر ذلك . ومن المستغرب أن تكون هذه الإشارة بمثل هذا الإيجاز .

انظر : Hagenmeyer, Gesta , p. 388 , 389 , Fn. 32 .

- هذا هو الشخص الثاني الذي يحمل لقب توديبود ويموت أثناء الحملة الصليبية الأولي . دون أن يذكر المؤرخ أنه شقيق له . انظر ماسبق ، هامش رقم (٢٢) من الفصل السابع . ومن المحتمل أنه أيضاً شقيق للمؤرخ .

ونلاحظ أن ريموندا جيل لم يذكر أيا من أعمال ريموند بيليه وهو من اتباع سيده كونت صنجيل .

(الترجمة العربية) .

(١٢) مات أدهيمار في أول أغسطس ١٠٩٨م . انظر : H. Chr., 308 .

"في رحاب إبراهيم واسحق ويعقوب " ربما نجدها في كتاب الصلوات .

انظر : Missale 1474 , I , p. 487 .

وقد جعل توديبود - من قبل - بروشيه Prochet يطلب أن يحمل إلي الجنة وفي رحاب إبراهيم . انظر : لوقا ، ١٦ : ٢٢ .

وإضافة اسحق ويعقوب تبين تأثير الطقوس الدينية ، ولم تتضمن الجستا هذه المعلومات . ووصف موت إبراهيم (يرقد عند الرب) هو وصف كنسي . :

= انظر: الرسالة الأولي إلي أهل كورنثوس ، ١٥ : ١٦ - ١٨ .

(١٣) الكرب واليأس angustia et tribulatio . انظر الرسالة إلي أهل رومية ، ٢ : ٩ . وأيضاً : Prophetia Isaiae, 30 : 6 .

(١٤) دعوة أدهيمار ، من المحتمل أنها إقحام علي النص مقتبسة من العظات . وعند ريموندا جيل نجد نفس التعليمات لإطعام الفقراء عندما ظهر أدهيمار والقديس أندرو لبطرس بارثلميو في إحدي الرؤي . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 69 .

- انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٥٤ .

وقد كان موت أدهيمار نتيجة لوباء تفشي في أنطاكية لكثرة الجثث التي لم يتم مواراتها التراب . انظر : . Albert d'Aix, p. 435

(الترجمة العربية) .

(١٥) البارة Albara (Al - Barâh) وتقع علي بعد ٤٢ ميلاً جنوب شرق أنطاكية . وقد حُدِّدت تحركات ريموند كونت صنجيل بركاكة . فهو لم يخرج قبل أول سبتمبر ١٠٩٨م . ومن المحتمل أنه خرج لمهاجمة البارة من قلعة الروج واستولي علي البارة في حوالي ٢٥ سبتمبر ١٠٩٨م . انظر : H.Chr., 316 .

- في الحقيقة لم يكن كل من توديبود ومؤلف الجستا هنا - كما يبدو من روايتيهما - علي علم تام بتحركات كونت صنجيل . كما أن رواياتهما عن تحركات الأمراء الصليبيين بعد هزيمة كربوغا جاءت مضطربة وغير وافية كما كانت روايات ريموندا جيل .

فبعد وفاة المندوب البابوي أدهيمار ، وإنتشار الوباء في أنطاكية التمس الزعماء =

= الفرنج لهم ملاذاً في شتي الأنحاء . فاجتاز بوهيمند جبال الآمانوس إلي قيليقية ، وتوجه جودفري إلي تل باشر والراوندان حيث سلمهما إليه أخوه بلدوين ، وتوجه روبرت النورماندي إلي اللاذقية ، ومن المحتمل أن يكون كونت صنجيل قد بقي في أنطاكية ، فقد استدعاه جودفري لمشاركته في مهاجمة مدينة عزاز ، الواقعة علي الطريق من الرها إلي أنطاكية ، حيث خرج صاحبها ابن عمر علي سيده رضوان ملك حلب الذي بادر بالخروج لتأديب تابعه الذي استنجد بجودفري وكان أن انسحب رضوان بقدوم الفرنج لنجدة ابن عمر . وكانت هذه الأحداث قد وقعت في الفترة من ١٤ إلي ١٧ سبتمبر ١٠٩٨م . ثم عاد ريموند إلي أنطاكية ، ليخرج بعد ذلك إلي الروج ومنها إلي البارة . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٥٢ ، ١٥٥ - ١٥٦ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٤١ . راجع أيضاً : Albert d'Aix, pp. 435 - 440.

والبارة حصن وذات بساتين ، كما يذكر ياقوت الحموي . لذا لم تكن غارة الفرنج عليها أمراً عشوائياً ، فهم بدأوا استراتيجيتهم بفتح البلدان التي لايستغرق الاستيلاء عليها وقتاً طويلاً . إلي جانب ماستوفره البارة وبساتينها لهم من المؤن . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٦٥ .

(الترجمة العربية) .

(١٦) بطرس أوف ناربون Peter of Narbonne كان قسيساً في جيش ريموند كونت صنجيل . وهذه هي أول خطوة لإقامة هيئة كنسية في الشرق الأدني. وعلي أية حال ، فقد قام البطريرك اليوناني ، يوحنا ، بترسيم بطرس أسقفاً للبارة . ويتطابق توديبود مع الجستا في هذا الموضع . انظر : = Bréhier,Gesta, pp. 166 - 168 .

- كان تعيين بطرس الناربوني أسقفاً للبارة هي أول مناسبة يعين فيها الصليبيون أساقفة من اللاتين في بلاد الشام ، علي الرغم من أنهم لم يغيروا - حتي ذلك الوقت - من هيئة الكنيسة اليونانية في أنطاكية ، انتظاراً لقدوم الإمبراطور البيزنطي . وكان تعيين بطرس أمراً غير عادي في حدود القانون الكنسي . فربما كان الهدف من تعيينه هو أن يقوم بإدارة شئون البارة نيابة عن كونت تولوز أكثر منه لأن يقوم بأداء الخدمات الروحية لسكانها الذين لم يكن من بينهم من اللاتين سوي الحامية التي تركها الكونت بالمدينة .

وللمزيد عن أسباب تعيين بطرس . انظر : Bernard Hamilton, The Latin Chrch in the Crusader States, The Secular Church, London, 1980, p. 10.

وقد منح كونت تولوز نصف المدينة إلي الأسقف الجديد . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٦٣ ، ص ١٧٥ ، هامش رقم (٢) ، الذي ينتهي في ص ١٧٦.

(الترجمة العربية) .

(١٧) لايدرك كل من مؤلف الجستا وريموندا جيل حقيقة أن بوهيمند قد جاء متأخراً بسبب المرض . وعيد كل القديسين موعده الأول من نوفمبر . وقد عاد بوهيمند إلي أنطاكية في الثالث من نوفمبر ١٠٩٨م . انظر : H.Chr., 322.

- ربما يرجع جهل ريموندا جيل بحالة مرض بوهيمند إلي انشغاله بأحوال سيده كونت تولوز . أما بالنسبة لمؤلف الجستا فربما آثر عدم إظهار سيده بوهيمند كرجل مريض في الوقت الذي بدأ كلامه عن إجتماع الفرنج بأسلوب يبدو معه بوهيمند مملوءاً بالنشاط والحيوية لإبراز دوره في إدارة شئون الفرنج . وهو الأمر الذي حرص بوهيمند نفسه عليه حتي يكون له الحق في إمتلاك =

= أنطاكية . أما بالنسبة لتوديبود فإلي جانب عدم تحيزه إلي أي طرف من الأطراف ، فهو هنا يثبت وجوده كمؤرخ في إمكانه أن يمدنا بمعلومات لم ترد عندي قرينية ، ريموندا جيل ومؤلف الجستا .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٦٤ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠١ .

(الترجمة العربية) .

(١٨) يكتب توديبود ان المجلس قد أقر : " طالما حان الوقت المناسب للرحيل ففيم الإنتظار ؟ " . ويكتب مؤلف الجستا : " ليس هذا وقت لمزيد من المشاحنات". انظر : . Bréhier, Gesta, p. 168

ويبدو لنا أن مؤلف الجستا كان يكتب بعد وقوع الحدث كما كان يفعل ريموندا جيل، وأن المشاحنات جاءت أكثر حدة بعد هذا الاجتماع بعدة أسابيع . وقد كتب ريموندا جيل عن تسوية الخلاف . انظر : Raymond d'Aguilers, p.74,75.

– وأثرت هذه الآراء وغيرها في ريموند وبوهيمند ، فعملا علي تسوية الخلاف . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٦٥ .

هذا ما سجله ريموندا جيل ، وقد وضعه بعد روايته عن اجتماع القادة وتذمر عامة الفرنجة من تأجيل الرحلة إلي بيت المقدس . بينما يضع مؤلف الجستا إشارته عن ذلك قبل أن يورد روايته عن اجتماع القادة .

انظر : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 75.

(الترجمة العربية) .

(١٩) من المدهش ملاحظة أن كلا من مؤلف الجستا وتوديبود يكتبان عن ريموند كونت صنجيل وهو يؤدي يمين الولاء لألكسيوس بناء علي نصيحة بوهيمند. انظر : Bréhier, Gesta , p. 169 , Fn. 6 .

حيث يورد بريبه رأيه بأن كونت صنجيل أصبح متعاطفاً مع ألكسيوس لحصر بوهيمند . ونحن لانتفق مع هذا الرأي . ونعتقد أن ريموند قد اتبع سياسة ثابتة وهي الحرص علي صداقته مع الإمبراطور . انظر : John Hugh Hill,1951.

- دفعت الظروف التي مرت بها الحملة الصليبية الأولي بصفة عامة ، والتي واجهت كونت صنجيل بصفة خاصة ، الكونت إلي أن يغير من سياسته التي اتبعها منذ قابل قادة الحملة الإمبراطور الكسيس مع القسطنطينية عام ١٠٩٧م . هذا إذا نظرنا إلي أحداث الحملة ككل . أما إذا نظرنا إلي أحداثها حتي سقوط أنطاكية في أيدي صليبيها فسنجد بالطبع أن كونت تولوز - كما يري المترجمان الأمريكيان - قد بقي علي تأييده للإمبراطور ، سواء كان ذلك إرتباطاً منه وتمسكاً بقسمه للإمبراطور أو تصدياً لطموحات منافسه بوهيمند .

فقد كانت تصرفات كونت صنجيل - حتي رحيل الفرنج من أنطاكية في أواخر نوفمبر ١٠٩٨م - تدل علي حرصه علي مصالح بيزنطة ، وعلي القسم الذي أداه أمام الإمبراطور ، وعلي عهده له بأن تعود إلي بيزنطة كل أملاكها التي سبق وانتزعها منها السلاجقة .

إلا أن ماقام به بعد ذلك وحتي استيلاء الفرنج علي بيت المقدس (يوليو ١٠٩٩م) كان يدل علي أنه بدأ يعمل لصالحه هو . ويري المؤرخ اللاتيني البرت دكس أن ريموند في نزاعه مع بوهيمند حول ملكية أنطاكية كان يبتغيها لنفسه . =

= ولم يكن ذلك حرصاً علي مصالح الإمبراطور البيزنطي . ويبدو أن ريموند ، في حقيقة الأمر ، كان ينتظر مكافأته من ألكسيس وعندما فشل في الإحتفاظ له بأنطاكية ، وعندما خرج من الحملة علي فلسطين خالي الوفاض، بعد أن فشل في الحصول علي عرش بيت المقدس ، وبعد فشل حملة ١١٠١م التي شارك فيها لصالح بيزنطة أيضاً ، وجد أنه لم يجن شيئاً من نضاله من أجل بيزنطة ، فراح يعمل مرة أخري علي تأسيس إمارة لنفسه في بلاد الشام .

وللمزيد عن سياسة ريموند تجاه كل من الكسيس وبوهيمند :

انظر : Albert d'Aix , p. 434 .

راجع أيضاً : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٧٦، هامش رقم (٤) . وأيضاً: جوزيف نسيم يوسف : العرب والروام ، ص ٢٤٤ ، ومابعدها .

(الترجمة العربية) .

(٢٠) لم يذكر كل من مؤلف الجستا وريموندا جيل حضور الكونت يوستاس Eustace . وقد اجتمع الصليبيون في جوقة مرتلي الكنيسة ، من المحتمل في ٥ نوفمبر إلي ١٨ نوفمبر ١٠٩٨م . انظر : H. Chr., 323 .

(٢١) يذكر مؤلف الجستا حضور الأساقفة هنا . أما ريموندا جيل فيجعل الخلاف أكثر خطورة . ويقرر أيضاً أن عامة الفرنج قد ضغطوا علي كل من ريموند وبوهيمند . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 75 ; Bréhier , Gesta,p.168.

- لم يذكر كل من توديبود ومؤلف الجستا أي شئ عن التذمر الذي أبداه عامة الفرنج حيال الخلافات التي نشبت بين كونت تولوز وبوهيمند في أنطاكية ، =

= وأيضاً حين كان الفرنج في المعرة ، وأثر هذا التذمر علي قادة الحملة - دون بوهيمند - الأمر الذي دفعهم - بقيادة كونت تولوز - إلي الإسراع باستئناف مسيرة الحملة إلي بيت المقدس . وقد ذكر ريموندا جيل كل هذا بالتفصيل. وهو أمر يحسب له كمؤرخ للحملة الأولي مس عن قرب أحوال فقراء الفرنج ، وغاص في الوسط الذي عاشوا فيه ، وكانوا موضع عنايته أكثر من أي مؤرخ آخر . ولم يحصر اهتمامه علي العلاقات بين قادة الحملة وأحوالهم . وفي الحقيقة فإن هذا القطاع من بسطاء الصليبيين لم ينل حظه من اهتمام المؤرخين الحديثين الذين عالجوا تاريخ الحملات الصليبية ، وركزوا اهتمامهم علي أحداثها وإنجازاتها وعلاقات قادتها بالمسلمين ، وببعضهم البعض . انظر: ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٣٢ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
راجع أيضاً : Walter Porges, The Clergy, the Poor and the Non-combatanton Crusade, in Speculum , 21 , 1946, pp. 21 - 22.

(الترجمة العربية) .

(٢٢) كانت مسألة تسوية الخلاف ، بلا شك ، تناسب بوهيمند الذي لم تتوفر لديه النية - كما هو واضح - للرحيل من أنطاكية .

(٢٣) قام كونت صنجيل بتحصين قصر ياغي سيان والبوابة التي تقع بالقرب من قلعة المنبر . أما بوهيمند فقد كانت له الأفضلية باستحواذه علي القلعة . كما أنه لم يكن عليه أن يقلق لما ستكون عليه صورته أمام الفرنج .

(٢٤) يفضل بريبه وضع وصف أنطاكية في ملحق وينظر إليه باعتباره نصاً مقحماً علي نص الكتاب - ويتبع هاجنمير عمل بونجار ، الذي يتطابق تقريباً مع توديبود في هذا الموضع ، ويضعه حيث وضعه توديبود . وكان وصف المدن والأماكن جزءاً من الكتابة التاريخية . وقد أورد ريموندا جيل =

= وصفاً لأنطاكية في الفقرة الافتتاحية لروايته عن الحصار . انظر :
Raymond d'Aguilers, pp. 30 - 31 ..

وللقديس إمبروز وصف لأنطاكية . انظر : Ambrrose De Excidio Urbis
Hierosolimitanae, MPL . 15v : 2175.

- أورد كل من مؤلف الجستا وتوديبود وريموندا جيل وصفاً لمدينة أنطاكية . إلا أن توديبود ينفرد بذكر أسماء ملوكها وحكامها الخمسة وسبعين . بينما أحصى مؤلف الجستا عددهم دون ذكر أسمائهم ماعدا أولهم وهو أنطيوخس ، الذي يضعه توديبود في نهاية قائمة ملوك وحكام أنطاكية .

وإذا كان ريموندا جيل قد أورد وصف أنطاكية في بداية حديثه عن حصار الصليبيين لها . وهو المكان الأنسب لوضع هذا الوصف ، فإنه لم يتركنا للتخمين عن سبب ذلك وأمدنا بالسبب الذي يميزه كمؤرخ انتهج منهجاً علمياً سليماً في هذا الصدد . فقد ذكر أنه ينتهز الفرصة ليصف أنطاكية وتضاريسها حتي يمكن لقرائه " الذين لم يروها أن يتابعوا المعارك والهجمات". انظر ك ريموندا جيل ك تاريخ الفرنجة ، ص ٨٥ .

وهو بذلك يعطينا نموذجاً لاستخدام المعلومات الجغرافية والوصف الطبوغرافي لإثبات الحقائق التاريخية .

أما عند توديبود ومؤلف الجستا ، فربما يكونا قد وضعا وصفهما لأنطاكية عند الحديث عن الخلاف الذي دب حولها بين أمراء الحملة لإظهار أهميتها كمدينة تتمتع بأهمية عسكرية واستراتيجية ودينية ، وتصلح لأن تكون عاصمة قوية لمن يحكمها . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٣ . راجع أيضاً: Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 76 - 77 .

وللمزيد عن أهمية أنطاكية انظر : Cahen, La Syrie du Nord, pp.127ff; E. =

G. Rey, Etudes Monuments de l'architecture militaire des croises, Paris, 1871, pp. 202 ff ; W. M. Wiener, Castles of the Crusaders, London, 1960, p. 59 ; H. Pirenne, Medieval Cities, trans. by Frank D. princeton, 1948, p. 4

اجع أيضاً : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الأسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتي الفتح العثماني ، الأسكندرية ١٩٦١م ، ص ٥٧ - ٥٨ ؛ حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية ، ص ١٠٦ ومابعدها .

الترجمة العربية) .

(٢٥) كان توديبود وصفياً أكثر قليلاً من مؤرخ الجستا ، فهو يكتب عن النافورات والكنائس (الألف ومائتين) . انظر : Bréhier, Gesta, p.221,append. Fn. 4.

(٢٦) جاءت قائمة ملوك أنطاكية التي أوردها توديبود - وحده - علي جانب كبير من الأهمية لأنها تتضمن أسماء إسلامية توفرت لدي الكتّاب السابقين علي شكل أناشيد الملاحم في شكلها الحالي .

وقد ذكر مخطوط الجستا الذي نشره برييه وجود مثل هذه الأسماء دون أن يدونها لنا . انظر : Bréhier, Gesta , p. 222 , Fn. 1 .

وقد ذكر البرت دكس مجموعة أطلق عليها القادة الأتراك . انظر : Albert d'Aix, p. 394 ; La Chanson d'antioche, 2 : p. 260 .

(٢٧) يُنهي توديبود القائمة بقوله أن أنطيوخوس " كان أعظم هؤلاء الملوك " . ويمكن أن نذهب - تخميناً - إلي أن مؤلف الجستا قد حذف قائمة توديبود ، أو أن توديبود قد أضاف إلي الجستا .

(٢٨) يستخدم توديبود عبارة " كما سمعتم من قبل " التي تجعل لنصه مغزي أكثر من نص مؤلف الجستا . ويخبر توديبود قارءه بأنه يوجز . أما مؤلف =

= الجستا فهو يسترسل . ويضع بريبه ، الذي خلق نصاً حسب تصوره هو ، هذا التوقيت في الملحق حيث لايكون له أي معني . انظر : Bréhier,Gesta, p. 223 , Fn. 3 , 4 ; Hagenmeyer, Gesta , p.400, Fn. 16 .

(٢٩) يقرر مؤلف الجستا أنهم حوصروا لمدة ثلاثة أسابيع . انظر : Bréhier, Gesta, p. 222 .

بينما يقرر توديبود أنهم كانوا محاصرين لمدة ستة وعشرين يوماً .

- حدد أمراء الصليبيين في رسالتهم التي بعثوا بها إلي البابا في شهر يوليو ١٠٩٨م، الفترة التي حاصرهم فيها كربوغا بخمسة وعشرين يوماً ، وبذلك تكون فترة الحصار التي حددها توديبود أقرب إلي الصحة عما أورده مولف الجستا (٢١ يوماً) . انظر : Epistolae , ed. Hagenmeyer, pp.162-163.

(الترجمة العربية) .

(٣٠) يقرر مؤلف الجستا أن الفرنج أقاموا في أنطاكية مطمئنين لمدة خمسة أشهر وثمانية أيام . انظر : . Bréhier, Gesta, p. 222

ويحدد توديبود هذه الفترة بخمسة أشهر ونصف .

- مرة أخري نري توديبود أقرب إلي الدقة من مؤلف الجستا . فمن المفروض أن تبدأ إقامة الفرنج المطمئنة في أنطاكية من يوم ٢٩ يونيو ١٠٩٨م أي بأول يوم يلي انتصارهم علي كربوغا ، وتنتهي بخروجهم لمواصلة أعمال الحملة الصليبية المتجهة إلي بيت المقدس ، أي في يوم ١١ ديسمبر ١٠٩٨م/ ٢٤ محرم ٤٩٢ هـ . وهو اليوم الذي استولوا فيه علي مدينة معرة النعمان. وبذلك تكون هذه الفترة قد بلغت خمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً . =

= انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٦ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 79.
(الترجمة العربية) .

(٣١) كان في صحبة كونت صنجيل روبرت كونت الفلاندر . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 75 .

وقد رحل الفرنج من أنطاكية في ٢٣ نوفمبر ١٠٩٨م ، ووصلوا إلي معرة النعمان في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٨م ، وهاجموا المدينة في اليوم التالي (٢٨ نوفمبر ١٠٩٨م) . انظر : . H. Chr., 324 , 325 , 326

(٣٢) لم يذكر كل من توديبود ومؤلف الجستا حضور الأمراء الآخرين . انظر: Bréhier, Gesta , p. 173 , Fn. 5.

وعلي أية حال ، فإن مؤلف الجستا يجعل بوهيمند متعقباً لريموند ومشاركاً منذ البداية في الحصار . وكذلك ، فإن توديبود يجعل بوهيمند يقتفي أثر ريموند ويشارك في الهجوم في يوم الإثنين . ونحن نعلم أن ريموندا جيل يأخذ علي بوهيمند فتور الهمة في الحصار . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 79 .

- نفهم من رواية كل من توديبود ومؤلف الجستا أن ريموند قد رحل من أنطاكية ووصل إلي المعرة دون أن يصحبه بوهيمند الذي لحق به ومن معه من الكونتات " في يوم أحد in die dominica " ثم يشارك في الهجوم علي المعرة في يوم الإثنين - ومن المعروف أن ريموند كان قد بدأ الهجوم علي المعرة في يوم ٢٨ نوفمبر (يوم الأحد) وفشل في دخول المدينة ، وجاء بوهيمند وحاصر قطاعاً من المدينة وشجع وصوله الفرنج علي القيام بهجوم جديد - كما يذكر ريموندا جيل - علي المعرة " ولكن هجومنا الجديد الذي =

= كان أكثر تعاسة من الأول ، لم يكن مجدياً " . وهذا ما أورده ريموندا جيل قبل أن يحدثنا عن الهجوم الذي قام به الفرنج في يوم الإثنين ٢٩ نوفمبر ١٠٩٨م علي المدينة . وبذلك يمكن أن نقرر أن ريموند وبقية الأمراء قد قاموا بالهجوم علي المعرة في صباح يوم الأحد وفشلوا في دخولها . ثم وصل بوهيمند بعد ظهر ذلك اليوم وشاركهم في القيام بهجوم جديد في نفس اليوم، وكان مصيره الفشل أيضاً . وبذلك يكون ريموندا جيل أكثر دقة في وصف الأحداث من كل من توديبود ومؤلف الجستا اللذين سببت روايتيهما الاضطراب للمترجمان الأمريكيان . أما عن اتهام ريموندا جيل لبوهيمند بفتور الهمة في الحصار فهو أمر لايؤثر علي تحديد توقيت اشتراك بوهيمند في الحصار . وإنما يوضح حنق ريموندا جيل علي بوهيمند الذي فاز هو وأتباعه من النورمان بنصيب الأسد من الأسلاب التي استولي عليها الفرنج من المعرة بالرغم من عدم مشاركته في الحصار منذ بدايته . انظر : ريموندا جيل ، ص ١٦٥ - ١٦٦ ، ١٦٩ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 77 - 78 .

وأيضاً : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(الترجمة العربية) .

(٣٣) يلخص توديبود رؤيا لبطرس بارثلميو أوردها ريموندا جيل . وكما ذكر الأخير، فإن القديسين بطرس وأندرو قد ظهرا لبارثلميو في رؤياه . انظر :
Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 78 .

وتختلف رواية توديبود نوعاً ما عن رواية ريموندا جيل ولاتعكس لنا مجرد النقل عن الأخير .

=

= - لم يذكر مؤلف الجستا شيئاً عن هذه الرؤيا . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٤ . راجع أيضاً : Gesta Francorum , ed . Rosalind Hill, p. 78 .

(الترجمة العربية) .

(٣٤) يكتب توديبود عن الرايات الخفّاقة ، مشهداً جميلاً . فهذه اللمسة الواقعية، التي لاتتكرر في الجستا ، تدفعنا إلي الإعتقاد بأن توديبود كان شاهد عيان . انظر : . Bréhier, Gesta, p. 172

(٣٥) يضع توديبود مائة فارس في البرج . ولايعطينا مؤلف الجستا مثل هذا العدد . انظر : Bréhier, Gesta, p. 172.

- يذكر مؤلف الجستا وجود الفرسان في أعلي وأسفل البرج دون أن يحدد عددهم . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٤ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 78 .

ولم يحدد ريموندا جيل أيضاً عدد هؤلاء الفرسان .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٦٨ .

(الترجمة العربية) .

(٣٦) كانت الآلات عبارة عن منجنيقات (قاذفة صخور) .

- يشوب الاضطراب رواية توديبود هنا . فهو يذكر أن كل الفرسان الذين في البرج قد لقوا حتفهم تقريباً بسبب قذف المسلمين إياهم بالصخور . بينما يذكر بعد ذلك بقليل أن الفرسان الموجودين في البرج قد تسلقوا الأسوار . فربما يكون بعضهم قد لقي حتفه أثناء قذف المسلمين إياهم بآلات الحرب .

(الترجمة العربية).

(٣٧) لايذكر مؤلف الجستا شيئاً عن الأعلام التي مزقتها السهام والصخور . ومرة أخري يضفي توديبود شيئاً من الواقعية علي روايته . ومن الواضح أن الترك كانوا علي دراية بأمر النار الإغريقية التي كانت من أدق أسرار العالم البيزنطي . انظر : Bréhier, Gesta , p. 174 .

- يضيف ريموندا جيل إلي جانب السهام والصخور التي استعملها مسلمو المعرة في قذف الفرنج النيران وخلايا النحل والجير . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٦٨ .

(الترجمة العربية) .

(٣٨) عن وليم مونتبليه William Montpellier انظر هامش رقم (٤٦) من الفصل الخامس .

(٣٩) يستخدم مؤلف الجستا تعبير " رماح مزينة برايات " Honorabilia Signa. انظر : Bréhier, Gesta , p. 174 .

ويستخدم توديبود تعبير astis vexilla . وهي رايات أو أعلام .

(٤٠) تختلف رواية توديبود عن رواية الجستا هنا عدة اختلافات . ويحذف ريموندا جيل نشاطات رجال الدين هنا . وهو حذف غريب حسب حب ريموندا جيل للإسهام الكنسي . وعلي أية حال ، فإنه يذهب إلي أقصي حد من التفصيل في روايته عن هزيمة كربوغا فيما يخص هذه النشاطات الدينية. وكانت روايتا توديبود والجستا تقريباً متشابهة فيما يخص معركة معرة النعمان . فقد كتب توديبود عن معرة النعمان : " يتضرعون إلي سيدنا المسيح ليحمي شعبه. Obsecrantes dominum nostrum = Ihesum Christum ut suum defendabat populum".

= وبالمثل ، يكتب مؤلف الجستا وهو يخبرنا عن أحداث معرة النعمان قائلاً :
"يتضرعون إلي الرب أن يحمي شعبه Obsecrantes Deum ut suum defenderet populum " وقد كتب ريموندا جيل وهو يخبرنا عن الأحداث التي جرت وقت هزيمة كربوغا قائلاً : " يبتهلون إلي الرب أن يحمي شعبه Deum in vocates ut populum suum defederet " .

انظر : Liber, p. 81 .

لاحظ كيف تشابه أسلوبا الجستا وريموندا جيل في هذا الموضع . ومرة أخري لانفهم كيف كان كل من هاجنمير وسيبل علي يقين من أن مؤلف الجستا لم ينقل عن ريموندا جيل في عدة مواضع أو عن مصدر مشترك بينهما .

- انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٥ .

(الترجمة العربية) .

(٤١) جوفييه لاستورز Gouffier of Lastours هو لورد لاستورز بالقرب من نكسون Nexon (أعالي فيينا) .

انظر : Notitiae duae lemovicenses, p. 351 ; L'Abbé Arbellot, 1881,p.10, 11.

ويكرر أربيلو قصة غريبة جداً عن الأسد الذي صار أليفاً لجوفييه وأخيراً غرق عندما فشل في العودة إلي موطنه في سفينة متجهة إلي بلاده .

(٤٢) تم الإستيلاء علي معرة النعمان في ١١ ديسمبر ١٠٩٨م .

انظر : H. Chr., 329 .

- في الحقيقة ، جاءت روايات كل من توديبود ومؤلف الجستا وريموندا جيل كلها =

= ذات أسلوب وصفي وتركزت علي إبراز جهد الفرنج في دخول مدينة معرة النعمان دون إبراز ما أبداه مسلمو المعرة من مقاومة وبأس شديدين أمام الهجوم الصليبي علي مدينتهم . وهو الأسلوب الذي اتبعه غالبية مؤرخي الحروب الصليبية من اللاتين حين يصفون المعارك بين المسلمين والصليبيين. وهنا نشعر بأهمية أسلوب وليم الصوري وقيمة رواياته في هذا الشأن . فهو - أي وليم الصوري - تميز عن غيره من المؤرخين اللاتين بعرض الحقائق التاريخية ، ولم يجد غضاضة في إبراز بطولات المسلمين وانتصاراتهم علي الفرنج علي عكس غيره من المؤرخين اللاتين الذين تقتصر رواياتهم علي عدة أسطر فقط إذا ماكان النصر حليفاً للمسلمين .

إلي جانب ذلك فلم يذكر ريموندا جيل شيئاً عن الوعد الذي منحه الفرنج لسكان المعرة بالأمان إذا ما أقلعوا عن المقاومة " وغدروا بهم ، ولم يفوا بشئ مما قرّروه ، ونهبوا ماوجدوه ، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به " علي حد تعبير ابن القلانسي .

هذا ، بينما أوضح كل ذلك توديبود ومؤلف الجستا كيف نقض بوهيمند عهده لسكان المعرة بالأمان وكيف قام الفرنج بقتل جميع المسلمين الذين لجأوا إلي القلعة بناء علي طلب بوهيمند. ولم يبرز شدة المقاومة الإسلامية في معرة النعمان سوي المؤرخ اللاتيني رادولف أوف كان . وقد قرر ابن الأثير عدد قتلي مسلمي المعرة بمائة ألف قتيل ، بينما قدره ابن العديم بعشرين ألف رجل وامرأة وصبي .

انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣، ص ١١٥ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ؛ ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة ، ص ١٦٨ ومابعدها . راجع أيضاً : Radulf of Caen,p.679.

(الترجمة العربية) .

(٤٣) لم يكن دور بوهيمند في استيلاء الفرنج علي المعرة ليضعه في دائرة الضوء. وهذا علي عكس معاملته لحامية القلعة وامتناع بوهيمند عن مهاجمة المدن اليونانية . ولسبب ما ، يبدو أن صورة بوهيمند قد اختفت بعد الاستيلاء علي أنطاكية . وإذا كانت هناك مراجعة للجستا فيما بعد ، كما يعتقد بعض النقاد ، فإن الناسخ لم يقلق بشأن هذه الحادثة . وقد قرر ريموندا جيل أن الفرسان الذين كانوا تحت إمرة بوهيمند قد استولوا علي الجزء الأعظم من الأسلاب . انظر : . Raymond d'Aguilers, p. 79

- من الطبيعي أن يتضاءل دور بوهيمند في الجهد الصليبي بعد سقوط أنطاكية في أيدي الفرنج ، وقد ضمن هو إمتلاكها لنفسه . وإذا كان قد حرص علي أن يضع يده علي بعض أبراج معرة النعمان بعد أن حرص علي المشاركة في إستيلاء الفرنج عليها ، فيرجع ذلك إلي رغبته في أن يقايض بها كونت تولوز حتي يتخلي له الأخير عن دعاويه في أنطاكية . وهذا ماسيحدث بالفعل بعد قليل . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٦٩. (الترجمة العربية) .

(٤٤) يخبرنا توديبود أن جثث المسلمين قد تم سحبها خارج المدينة ثم حرقها بعد ذلك . ولا يمدنا مؤلف الجستا بهذه المعلومات . ويقرر ريموندا جيل أن جثث "الأعداء قد ألقي بها في المستنقعات" . وتتفق الروايات الثلاث علي أكل لحوم البشر . انظر : Bréhier, Gesta, p. 176 , 178 ; Raymond d'Aguilers, p. 81 .

- كانت رواية ريموندا جيل أكثر تفصيلاً فيما يخص الأزمة الاقتصادية التي واجهت الفرنج بعد استيلائهم علي المعرة ، وربما يرجع ذلك إلي أنه كان يحدثنا عن أحوال بني جلدته من البروفنساليين الذين لم يبرحوا المعرة كما فعل بوهيمند =

= وأتباعه من النورمان ومن هنا كان حديث ريموندا جيل أكثر تفصيلاً عن حديث قرينه مولف الجستا تابع بوهيمند . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٦٩، ١٧١ - ١٧٢ .

(الترجمة العربية) .

(٤٥) من المحتمل أن يكون الاجتماع في قلعة الروج قد تم في ٤ يناير ١٠٩٩م .

انظر : H. Chr., 335 ; Raymond d'Aguilers, p. 80 , Fn. 11.

- يذكر ريموندا جيل أن كونت تولوز قد عرض علي جودفري وروبرت النورماندي عشرة آلاف صولدي لكل منهما ، وستة آلاف لروبرت كونت الفلاندر ، وخمسة آلاف لتنكريد ، ومبالغ مناسبة للآخرين ، بعد أن شعر أن الجميع يميلون إلي عدم استئناف الرحلة إلي بيت المقدس . ويري رنسيمان أن عرض كونت تولوز كان مجرد رشوة ، ويري جروسيه أن الكونت قد طمع في بيت المقدس في ذلك الوقت ، ورغب في نيل المساعدة من زملائه الفرنج . ونميل إلي الأخذ بتفسير جروسيه ، خاصة أن الأحداث التي تلت ذلك ، حيث واصل القادة رحلتهم إلي الأراضي المقدسة بصحبة كونت تولوز ، وبقي بوهيمند وحده في أنطاكية ، تثبت أنهم قبلوا عرض الكونت . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، هامش رم (١١) ، ص ١٧٨ .

(٤٦) وهذا هو وليم أسقف أورانج الذي كان ضمن الجيش البروفنسالي . وقد حظي باحترام الجميع ، وحل محل المندوب البابوي أدهيمار في قيادة الحملة ، بالرغم من أنه لم يكتسب شهرته . وقد مات بالمعرة في ٢٠ ديسمبر ١٠٩٨م. ومن المحتمل أن يكون قد دفن في كنيسة القديس أندرو .

انظر : H. Chr., 332 .

(٤٧) لم يذكر مؤلف الجستا طرد بوهيمند لقوات ريموند من أنطاكية . ويذكر ريموندا جيل ذلك عرضاً عند حديثه عن حصار عرقة ، ويقرر أن بوهيمند قد قام بذلك بعد رحيل ريموند . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 105.

ويدعي مؤلف الجستا أن ريموند قد رحل حين رأي أن القادة لم يرغبوا في استئناف الرحلة . انظر : Bréhier, Gesta , p. 180.

ويقرر توديبود أن بوهيمند قد أبعد رجال ريموند عن أنطاكية قبل أن يستأنف الكونت المسير وأن ريموند قد قبل الخسارة دون اكتراث نظراً إلي الاجتماع الأخير للقادة . ويبدو واضحاً أن خطط الرحيل قد وضعت بالفعل وأن ريموند لم يرحل ببساطة حافي القدمين بصحبة حفنة من الرجال لذلك ، وعلي ضوء الأحداث اللاحقة ، فإن رواية توديبود هنا أكثر ثقة من روايتي ريموندا جيل ومؤلف الجستا . انظر كتابنا : Raymond IV, p. 114.

ونعتقد أن المؤرخين الحديثين قد أولوا الخلافات بين بوهيمند وريموند أهمية غير ضرورية . وقد قام ريموند بالإغارة علي الأراضي القريبة في ٨ يناير ١٠٩٩م . وسار من معرة النعمان في ١٣ يناير ١٠٩٩م . انظر : H.Chr.,338, 339 .

- من الطبيعي أن لايذكر مؤلف الجستا شيئاً عن قيام سيده بوهيمند بطرد رجال كونت تولوز من أنطاكية حتي لايدين سيده في مشكلة أنطاكية وأحقية بيزنطة فيها . ومن الطبيعي أيضاً أن يحرص ريموندا جيل علي ذكر ذلك ، وهو يكره بوهيمند وينتصر لسيده كونت تولوز دائماً في منافسة لبوهيمند. أما بالنسبة لتوديبود ، فإنه يروي الحقائق - حتي لو كان قد نقلها عن ريموندا جيل - التاريخية ، وهو لا يتحيز لبوهيمند مثل مؤلف الجستا . وهذا يؤيد رواية ريموندا جيل . =

= وإذا كان المترجمان الأمريكيان يأخذان علي المؤرخين الحديثين إهتمامهم بالخلافات بين بوهيمند وكونت صنجيل ، فنحن لانتفق معهما هنا . فكيف لانهتم بما شجر من خلافات عديدة بين القائدين الصليبيين وقد أثارت نفس الخلافات حنق عامة الصليبيين ، الأمر الذي شعروا معه بعدم إهتمام هذين القائدين بالهدف الأساسي الذي خرجت من أجله الحملة الصليبية ، وهو الاستيلاء علي بيت المقدس ، واهتما فقط بمصالحهما الشخصية ، مما دفع عامة الفرنج إلي تدمير أسوار المعرة إعلاناً لسخطهم علي بوهيمند وريموند بعد أن أدركوا أن المسألة مجرد " صراع في أنطاكية ، وصراع في معرة النعمان" . وكادت الحملة الصليبية أن تتفكك ، وبدا أن أرض الميعاد - بالنسبة لبوهيمند وكونت تولوز - تقع علي ضفاف العاصي ، وليست في بيت المقدس ، الأمر الذي يثبت أن الحركة الصليبية في معناها الدقيق ، بالنسبة لقادة الحملة الأولي ، لم تكن إلا مشروعاً يخص البابوية وحدها . وأن الرحلة إلي الشرق لم تكن فقط من أجل المدينة المقدسة . انظر : ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة ، ص ١٧١ ، ٢١٦ . راجع أيضاً : Orderic Vitalis, Historia,vol. 5 , p. 6 .

(الترجمة العربية) .

الفصل العاشر

الرحيل من معرة النعمان

إلي بيت المقدس

وهكذا ، في الثالث عشر من شهر يناير ، خرج ريموند كونت صنجيل من معرة النعمان حافي القدمين ، ووصل إلي كفرطاب التي تقع علي بعد ثمانية أميال من المعرة ومكث هناك حوالي ثلاثة أيام ليلحق به روبرت النورماندي (١) . وداوم ملك شيزر علي إيفاد مندوبيه إلي كونت صنجيل حين كان الأخير في معرة النعمان وأيضاً حين أقام في كفرطاب . وحمل هؤلاء رسالة تقول أن ملكهم يرغب في الإتفاق مع ريموند ، وأن يمنح الكونت ما يطلبه من ريع شيزر . وقال المبعوثون أيضاً أن ملك شيزر حريص علي مساعدة المسيحيين ، ويتعهد بأن يجعل الحجاج آمنين مطمئنين داخل نطاق إمارته . كما عرض أيضاً أن يمدهم بما يحتاجونه من خيل ومؤن . ونتيجة لذلك ، تحرك الحجاج وضربوا خيامهم بجوار نهر العاصي بالقرب من شيزر (٢) .

وعندما رأي ملك شيزر الفرنج قرب المدينة إنزعج وشعر بالخطر حتي أنه منع تقديم المؤن إليهم إن لم يبتعدوا . وفي اليوم التالي بعث إليهم برجلين يدلانهم إلي مخاضة علي النهر وليقودانهم إلي حيث يجدوا ما تصبو إليه أنفسهم من مغانم . وفي النهاية ، دخلوا أحد الأودية تحميه قلعة حيث وجدوا أكثر من خمسة آلاف رأس من الغنم إلي جانب ماوجدوه من الحبوب وغيرها من المؤن التي تكفي كل الجيش المسيحي (٣) . وعقد متولي القلعة اتفاقاً مع ريموند ، وأمده بالجياد وبغيرها من الإمدادات ، وأقسم له بدينه أنه لن يتعرض للصليبيين بأي أذي . ومكث ريموند وقواته هناك لمدة خمسة أيام . وبعد رحليهم ، بلغوا قلعة عربية أخري عقد صاحبها إتفاقاً مماثلاً مع كونت صنجيل (٤) .

وساروا من هذه الناحية ليصلوا إلي رفنية . وهي مدينة جميلة تقع في أحد الأودية ومليئة بكل الضروريات . وعندما انتشر نبأ اقتراب الصليبيين ، غادر السكان مدينتهم بحقولها الغنية بالخضروات ومنازلها المليئة بالأطعمة (٥) . وفي اليوم الثالث غادر الصليبيون رفنية مجتازين أحد الجبال الشاهقة ، وهبطوا إلي وادي البقيعة حيث وجدوا وفرة من المؤن والحبوب والماشية (٦) . ومكث الصليبيون في هذه الناحية خمسة عشر يوماً . وكانت هناك إحدي القلاع التي هجرها سكانها بعد أن أشعلوا فيها النيران (٧) . وكانت بالقرب منها قلعة أخري مكتظة بجيش من الكفرة (٨) . وشن حجاجنا هجوماً غير موفق علي القلعة ، حتي أنها كادت أن تستسلم لولا أن دفع المسلمون بقطيع ضخم من الماشية خارج الأسوار . وهكذا عاد الصليبيون إلي خيامهم بعدد وافر من الماشية .

وفي الصباح رفع المسيحيون معسكرهم ووصلوا أمام الحصن المذكور آنفاً بنية إقامة معسكرهم هناك وضرب الحصار حوله . ولكن القوم الكفرة ، إختفوا أثناء الليل وتركوا حصنهم لحجاج القبر المقدس . وعندما دخل الحجاج القلعة ، وجدوا وفرة من الفيض الرباني : أعني بذلك ، الحبوب والنبيذ والدقيق ، والزيت ، والدجاج ، وكل ماهو نافع لهم . واحتفلوا في ذلك المكان في خشوع بعيد تطهر القديسة مريم في اليوم الثاني من أيام شهر فبراير (١٠٩٩م) (٩) .

ووصل رسل من مدينة حمص (١٠) ومعهم الخيول والذهب ، الذي أرسله ملك هذه المدينة إلي ريموند كونت صنجيل ، وقالوا أن حاكمهم يرغب في عقد إتفاق مع الكونت ، ويعد باحترام رغبات المسيحيين في كل شئ ، وأن يغمرهم بكرمه في بلاده . كما بعث ملك طرابلس أيضاً بمبعوثيه إلي كونت صنجيل لعقد إتفاق سلام إذا رغب الكونت في ذلك كما أرسل إليه بعشرة من الجياد وأربعة من البغال ومبلغ من المال (١١) . غير أن ريموند صرح بأنه لن يقبل عروض السلم ما لم يعتنق ملك طرابلس المسيحية . ووعد الملك بذلك (١٢) .

وبعد رحلينا عن هذا الوادي الخصيب ، وصل الصليبيون إلي قلعة تسمي عرقة [١٣] . وعسكروا في هذا المكان في يوم الإثنين ثاني أيام الأسبوع في منتصف فبراير . وكانت القلعة مكتظة بحشد من الترك والمسلمين والعرب والبيالصة وآخرين غيرهم ممن قاموا علي حمايتها وتحصينها . كانت القلعة عالية ومنيعة ، وتقع علي جبل ويحيط بها سوران [١٤] . وفي أحد الأيام ، غادر أربعة عشر من رجالنا المعسكر إلي طرابلس ، التي تبعد مسافة ثمانية أميال عن عرقة . وضمت فرقة الاستكشاف هذه كلا من ريموند فيكونت تورين ، وبطرس فيكونت كاستيلون وإيمري أوف لوبينز ، وسيكارد وبيجو أوف ريبيرا ، ووليم بوتينوس وآخرين لا أعرف أسماءهم [١٥] . وصادف هؤلاء الأربعة عشر رجلاً ستين رجلاً من الترك ، والمسلمين والأكراد كانوا يسوقون أمامهم مايقرب من خمسمائة رأساً من الغنم . وهاجمهم رجالنا الذين شدت من أزرهم علامة الصليب ، وبعون الرب أطبقوا عليهم ، فقتلوا ستة منهم ، واستولوا علي ستة من الجياد .

وفي أحد الأيام وصل ريموند بيليه وريموند فيكونت تورين ، بصحبة فرسانهم ، أمام طرطوس وشنوا هجوماً عنيفاً علي البلدة التي يقوم علي حمايتها جيش من الكفرة . وعند حلول المساء ، ارتدت قواتنا جهة ركن منعزل وسط الأشجار حيث أقاموا معسكرهم ، وأشعلوا نيراناً كثيرة تظاهراً بكثرة الجيش المسيحي . وأوقعت الحيلة الذعر بقلوب المدافعين عن طرطوس ، الذين انسلوا تحت جنح الظلام تاركين المدينة [١٦] بإمداداتها الوفيرة من السلع ، وميناءها المتاز للصليبيين . وفي اليوم التالي وصل فرساننا للهجوم علي البلدة ، فلم يجدوا إلا مدينة أشباح . فاحتلوها طيلة مدة حصار عرقة . وعقد معنا أمير مدينة مرقية القريبة اتفاقاً ووافق علي السماح لرجالنا بدخول مدينته ورفع أعلامنا فوقها [١٧] .

وخرج السادة الآخرون الذين بقوا في أنطاكية ، وهم الدوق جودفري وروبرت كونت الفلاندر وبوهيمند في أثر كونت صنجيل حتي وصلوا إلي اللاذقية [١٨] .

وهناك زايد عليهم بوهيمند وعاد إلي أنطاكية تصحبه السلامة (١٩) . واستمر الدوق جودفري وكونت الفلاندر في طريقهما خلف كونت صنجيل حتي بلغوا مدينة جبلة فحاصروها وهاجموها بعنف (٢٠) .

وأثناء ذلك ، جاء الرسل إلي ريموند وهو علي حصار عرقة ليبلغوه بنبأ اقتراب جيش من المسلمين لقتاله . ومن ثم بعث ريموند بأسقف البارة إلي الدوق جودفري وروبرت كونت الفلاندر يطلب منهم المجئ إلي عرقة لأن الكفرة قد إجتمعوا في كل الجهات لقتاله هو وقواته . وعندما تلقي الدوق جودفري وكونت الفلاندر تلك الأنباء ، عقدا اتفاقاً مع أمير جبلة قدم لهما بمقتضاه الجياد ومبلغاً من المال ووعد بعدم مضايقة الحجاج أثناء مسيرهم إلي القبر المقدس (٢١) .

واندفع الدوق جودفري وكونت الفلاندر لتقديم العون لكونت صنجيل ؛ وأقاما معسكراً علي الجانب الآخر من النهر واشتركا في حصار عرقة (٢٢) . وخلال ذلك لم يظهر الكفرة المذكورون آنفاً . وبعد ثلاثة أيام أغارت قواتنا علي إقليم طرابلس ورأت خارج المدينة كثيراً من الترك والعرب والمسلمين فشنت عليهم هجوماً قوياً ، وقتل رجالنا صفوة أهل طرابلس . وكثر القتل وتدفقت الدماء بغزارة حتي بدا وكأن مياه المجري المائي دماء قانية تدفقت في صهاريج المدينة ، واستبد الحزن والأسي بمن تبقي علي قيد الحياة من المسلمين المذعورين ، وندر أن يتجرأ أحدهم علي المجازفة بالخروج من بوابة المدينة (٢٣) .

وحدث أن أغار رجالنا مرة أخري علي المنطقة الواقعة فيما وراء وادي البقيعة، فوجدوا الماشية والحمير والأغنام وكثيراً من الأنعام الأخري . وانفصل ستون صليبياً عن زملائهم فعثروا علي ثلاثة آلاف من البعير . واقتادوا في طريق عودتهم كل هذه الماشية ، وبذلك جلبوا البهجة إلي نفوس الجند المسيحيين (٢٤) . ورست سفننا بالميناء القريب خلال حصارنا لعرقة ، وجلبت أفضل السلع من حبوب ،

ونبيذ ولحم ، وزيت وشعير ، حتي توفرت الإمدادات للجميع [٢٥] . وخلال هذا الحصار تقبل الشهادة كل من بونز أوف بلازون وأنسلم أوف ريبمونت ، ووليم بيكارد وكثيرون لا أعرف أسماءهم [٢٦] . وقام المسيحيون علي حصار القلعة المذكورة لمدة ثلاثة أشهر دون يوم واحد . واحتفلنا هنا بعيد القيامة ، أربعة أيام قبل Ides الثالث عشر أبريل [٢٧] .

وداوم ملك طرابلس علي إيفاد مبعوثيه إلي كونت صنجيل [٢٨] ، يحثه علي رفع الحصار وعقد إتفاق سلام معه . وتأثر الكونت ريموند والدوق جودفري وروبرت كونت الفلاندر وروبرت النورماندي ، وحجاج آخرون بكشافي السلم هؤلاء، وأيضاً بمشهد المحصول الجديد القادم من مناطق أخري ، لأننا كنا نأكل البقول الطازجة في منتصف مارس والحبوب الجديدة في منتصف أبريل . ومن ثم ، عقد الجميع الكبار والصغار مجلساً واتفقوا علي أنه من سداد الرأي أن نستأنف الرحلة إلي بيت المقدس وقت جني محصول الفاكهة ! لذلك وافق الجميع علي موادعة ملك طرابلس .

ورحلوا عن عرقة ووصلوا قبالة طرابلس في سادس أيام الأسبوع في الثالث عشر من مايو ، حيث مكثوا هناك لمدة ثلاثة أيام [٢٩] . وعقد ملك طرابلس اتفاقاً مع كونت صنجيل والسادة الآخرين سارع بمقتضاه بفك أسر ثلاثمائة شخصاً كان قد أخذهم أسري في معارك سابقة . كما قدم لكونت صنجيل خمسة عشر بيزنطاً ، وخمسة عشر حصاناً ثميناً ، وأكد أنه سيبيع لنا عدداً وفيراً من الخيول ، والحمير والخبز ، وكل السلع الضرورية ، وهكذا ضمن لكل الجيش المسيحي وفرة من الخير [٣٠] . واتفق ملك طرابلس مع الصليبيين علي أن يعتنق هو المسيحية ويتسلم أراضيه منهم إذا ما انتصروا علي أمير بيت المقدس ، في المعركة المقبلة التي خطط لها ضدهم ، وتمكنوا من الاستيلاء علي بيت المقدس . وناقش الصليبيون في إجتماعهم الإتفاقية وأبرموها معه [٣١] .

ورحل الصليبيون بعد ذلك من طرابلس في يوم الإثنين في منتصف شهر مايو واستغرقوا يوماً كاملاً في إجتياز طريق ضيق شديد الإنحدار ، ووصلوا ليلاً رأي حصن البترون (٣٢) . ثم بلغوا مدينة ساحلية تسمي جبيل (٣٣) حيث عانوا كثيراً من العطش ؛ ووصلوا عند نهر يسمي Brahim نهر إبراهيم (٣٤) وقد أضناهم التعب (٣٤) . ثم اجتاز الجيش المسيحي - طوال نهار وليل يوم عيد صعود السيد المسيح (٣٥) - طريقاً غاية في الضيق توقعوا أن يكمن لهم العدو فيه ، ولكن بفضل من الرب لم يظهر أي من أفراد العدو . ثم توجه جيش المسيح إلي مدينة بيروت ثم إلي مدينة صيدا ثم إلي مدينة صور (٣٦) ، ومنها وصل إلي عكا ؛ ثم ساروا إلي مدينة قريبة تسمي يافا ثم وصلوا بالقرب من مدينة قيسارية(٣٧) ، حيث احتلفوا بعيد العنصرة يوم ٢٩ مايو ١٠٩٩م (٣٨) . ومن هناك رحلوا إلي الرملة (٣٩) ، التي هجرها سكانها المسلمون فزعين عند اقتراب الفرنجة . وكانت بالقرب من الرملة كنيسة شهيرة ، يرقد بها جثمان القديس جورج الطاهر (٤٠) ، الذي استشهد غدراً علي أيدي الوثنيين في سبيل المسيح .

وسرعان ما اجتمع قادتنا هناك حتي يتعين لهم انتخاب أسقف يقوم علي حماية الكنيسة ورد الاعتبار إليها ، ومنحوا هذا الأسقف العشر من الذهب والفضة والأنعام والخيول كي ينعم بحياة كريمة وسط من بقوا معه (٤١) . وهكذا أقام هناك في رغد من العيش .

هوامش الفصل العاشر

(١) اهتم المؤرخون الثلاثة باستئناف ريموند المسير حافي القدمين . ويوضح هذا التصرف حقيقة أن ريموند كان يعتبر حاجاً . انظر كتابنا : Raymond IV, p. 155 .

ويذكر ريموندا جيل أن تنكريد قد سار ، بصحبة أربعين فارساً ، مع كونت تولوز . ولا يذكر ريموندا جيل وصول روبرت النورماندي .

وقد وصل إليها ريموند في ١٣ يناير ١٠٩٩م وكان بصحبته روبرت النورماندي في ١٤ يناير ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 339 , 340 .

- ذكر ريموندا جيل أن كونت تولوز قد سار حافي القدمين ، وكذلك كهنته وأسقف البارة . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨١ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٧ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 81 .

وكفر طاب ، بلدة صغيرة من جند حمص غربي حلب ، علي الطريق بين معرة النعمان وشيزر . بينها وبين المعرة وشيزر إثنا عشر ميلاً . انظر : القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ١٤ جـ ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩٣٣ ، جـ ٤ ، ص ١٢٥ .

(الترجمة العربية) .

(٢) يقرر ريموندا جيل حقيقة أن حكام الأقاليم المجاورة قد بعثوا برسائل إلي كونت تولوز . كما يقرر أن حاكم شيزر قد خدع الصليبيين . وشيزر تقع جنوبي معرة النعمان ، وكان يحكمها عز الدين أبو العساكر سلطان من بني منقذ . انظر : Grousset , 1934 , 1 : p. 126 , Raymond d'Aguilers,pp.83, 87 .

=

= وقد وصل الصليبيون إلي شيزر في ١٦ يناير ١٠٩٩م . انظر : H. Chr. 341.

- لم تكن حالة التفكك علي الجبهة الإسلامية لتسمح لحكام الشرق الأدني الإسلامي بالتحرك متضافري الجهود للتصدي للهجمة الصليبية علي بلاد الشام . ولم تحركهم المقاومة الباسلة التي أبداها مسلمو المعرة وعرقة بعد ذلك. وسنري أن الأسرات العربية المحلية بالشام تظهر الإستعداد لعقد إتفاقات مع الفرنجة ، فنجد أمراء حماة وحمص يتخلون عن فكرة مقاومة الفرنج ، وسنجد أمراء شيزر يمدونهم بالأدلاء علي طريق الساحل ، بينما سنجد أمراء طرابلس من بني عمار يمدونهم بالمؤن ويطلقون سراح من كان في طرابلس من الفرنج . وتعتبر رواية ريموندا جيل عن رحلة الصليبيين حتي بيت المقدس من أدق الروايات اللاتينية في هذا الصدد . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٧ - ١١٤ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨١ - ٢٣٤ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 72 - 87 ; Albert d'Aix , pp. 453 - 463 ; Radulf of Caen , pp. 680 - 680 FF.

راجع أيضاً : ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٥ - ١١٧ ؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

وعن موقف أمراء الشام من صليبي الحملة الأولي أثناء مسيرتهم من المعرة وحتي وصولهم إلي بيت المقدس ، ودوافعهم في ذلك انظر : محمد محمد الشيخ : الإمارات العربية في بلاد الشام ، الأسكندرية ١٩٨٠ ، صفحات متفرقة.

(الترجمة العربية) .

(٣) يري هاجنمير أن وادي العاصي كان بين شيزر وحماة . انظر : Hagenmeyer, Gesta, p. 417 , Fn. 27 .

وقد بقي الصليبيون هناك من ١٧ إلي ٢٢ يناير ١٠٩٩م .

انظر : H. Chr., 342 , 343 .

(٤) عرّف هاجنمير القلعة بأنها Massyas مصياف .

انظر : Hagenmeyer, Gesta , p. 418 , Fn. 29 .

(٥) وصل الصليبيون إلي رفنية (في الجستا Kephalia) في ٢٣ يناير ١٠٩٩م. ورحلوا عنها في ٢٥ يناير ١٠٩٩م .

انظر : H. Chr., 344 , 345 .

- رفينة ، بلدة بين حلب وأنطاكية . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٢، ص ٧٩٦ .

(الترجمة العربية) .

(٦) وادي Sem عُرِّف بوادي البُقيعَة . وقد وصل الصليبيون هناك في ٢٧ يناير ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 345 .

ومكثوا في هذه المنطقة حتي ١٤ فبراير ١٠٩٩م . انظر : Bréhier, Gesta, p.183, Fns. 3 , 4 .

ويصف ريموندا جيل النزاع حول الطريق الذي يسلكه الفرنج .

انظر : Raymond d'Aguilers, p. 84 .

- تعد الفقرة التي أورد فيها ريموندا جيل الجدل الذي ثار بين الفرنج حول الطريق الذي يجب أن يسلكونه جنوباً إلي بيت المقدس ، من أهم الفقرات التي تميز تاريخه عن تاريخي كل من توديبود ومؤلف الجستا ، فهي إلي جانب عدم ورودها عند الأخيرين ، فهي تجسد الاستراتيجية الصليبية التي فرضتها الظروف الجغرافية والسياسية لبلاد الشام علي قادة الفرنج ليس فقط فيما يخص الطرق التي يسلكونها في تحركاتهم في المنطقة حتي بعد استقرارهم فيها ، بل لأنها أيضاً حددت منذ البداية المناطق التي كان عليهم الاستقرار =

= فيها . فإذا كان - كما انتهوا إليه هم - عليهم أن يسلكوا الطريق الساحلي حتي يتجنبوا المقاومة التي من المؤكد أن يبديها سكان الأقاليم الداخلية التي يحكمها دقاق ملك دمشق ، هذا من جهة ، فمن جهة أخري سيكون من الأيسر لهم الاتصال بالفرنج في أنطاكية والحصول علي المؤن من السلطات البيزنطية في قبرص والجزر الأخري . وهذا هو الرأي الذي أخذ به الفرنج ، دون رأي تنكريد الذي رأي أن يسلك الفرنج طريقاً مستقيماً إلي بيت المقدس حتي يتجنبوا القيام بجهد الاستيلاء علي المواقع الساحلية وقد تناقص عددهم ، متناسياً خطر دقاق .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٧) لم ايذكر مؤلف الجستا هذه القلعة .

(٨) يشير توديبود إلي حصن الأكراد Krak des Chevaliers .

انظر : . Dussaud, 1927 , p. 92 ; Deschamps , 1934 , pp. 113 - 115

ويعطينا ريموندا جيل وصفاً موجزاً للحصن . انظر : Raymond d'Aguilers,p.86.

وكان يقوم علي حراسة الحصن قوات من الأكراد . انظر : Hagenmeyer, Gesta,p. 419 , Fn. 36 .

وكان حصن الأكراد يتحكم في الطرق من حمص وحماة - إلي طرابلس .

وقد احتله الصليبيون في ٢٩ يناير ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 347

(٩) تتطابق روايتي توديبود والجستا هنا بشكل مدهش . فقد كتب توديبود "وجدوا وفرة من الفيض الرباني ، أعني بذلك الحبوب والنبيذ .. " بينما كتب مؤلف الجستا " ووجدوا وفرة من النبيذ ... " . انظر :

= Bréhier,Gesta, p. 182.

= ولم يلاحظ مؤلف الجستا وجود الدجاج ضمن الغنائم .

(١٠) حمص Camela أو Emesa القديمة .

انظر : Bréhier, Gesta , p. 183 , Fn . 7 ; Hagenmeyer, Gesta , p. 422 , Fn. 43 .

وكان ذلك في ٤ فبراير ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 350 .

- كان أمير حمص في ذلك الوقت هو جناح الدولة خلف بن ملاعب الذي عينه صاحب حلب شرف الدولة مسلم العقيلي والياً علي حمص في عام ١٠٨٢م / ٤٧٥ هـ ، ليكون حاجزاً بينه وبين تاج الدولة تتش السلجوقي . وبقي ابن ملاعب في حمص حتي اغتاله الباطنية في عام ١١٠٦م / ٤٩٩ هـ . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣١ ، ١٥٠ ، ٣١٨ - ٣١٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٧٠ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب، جـ ٢ ، ص ١٢٢ .

(الترجمة العربية) .

(١١) طرابلس Tripoli ، Tripolis ، Tarabulus . مدينة ساحلية وميناء يقع عند سفح جبل لبنان . وكان أميرها هو جلال الملك بن عمار . ولدي ريموندا جيل رواية مشابهة . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 87 .

(١٢) لم يذكر مؤلف الجستا وعد أمير طرابلس باعتناق المسيحية . ولم يذكره أيضاً ريموندا جيل . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٩ ، ١١٣ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨٥ ، ٢١٦ .

وعن موقف أمير طرابلس انظر مايتقدم هامش رقم ٣١ من هذا الفصل .

(الترجمة العربية) .

(١٣) عرقة Arqah ، Irqah ، Arca ، وتتحكم في الطرق من طرابلس إلي اللاذقية وحمص . وقد تعرض كونت صنجيل بسبب حصارها لإنتقادات كثيرة. انظر كتابنا : . Raymond IV, pp. 121 - 126

وقد وصل ريموند قبالة عرقة في ١٤ فبراير ١٠٩٩م . انظر : . H.Chr., 352

- وعرقة " بلدة شرقي طرابلس ، بينهما أربعة فراسخ ، وهي آخر أعمال دمشق، وفي سفح جبل ، بينها وبين البحر نحو ميل وعلي جبلها قلعة . " انظر : القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ١٤ ، ص ١٤٥ .

(الترجمة العربية) .

(١٤) يقدم لنا توديبود هنا وصفاً موجزاً لعرقة ، لا يقدمه كل من مؤلف الجستا أو ريموندا جيل اللذان جاءت روايتاهما عن حصانة عرقة متشابهتين .

- لم يذكر مؤلف الجستا سوي أن عرقة مكان حصين . بينما ذكر ريموندا جيل أنها موقع يتمتع بدفاعات قوية لايمكن أن تتغلب عليها القوة البشرية . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص . ١١ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨٥.

(الترجمة العربية) .

(١٥) عن بطرس أوف كاستيلون ، انظر الفصل الثالث ، هامش رقم (٤١) . وريموند أوف تورين هو فيكونت تورين Turenne في إقليم ليموزين . انظر: .Arbellot . 1881 : p. 43 ; RHC. Occ. 5 : 351

ولم يمكن التعرف علي أسماء بقية الفرسان . انظر : Hagenmeyer, Gesta,p.426. Fn. 54 .

وقد قام الفرنج بهذه الغارة في ١٦ فبراير ١٠٩٩م .

= انظر : . H. Chr., 353

(١٦) طرطوس أو أنطرطوس Tortosa, Antaradus كانت مدينة وميناء الشام . ويكتب ريموندا جيل عن تحصيناتها ولا يعطينا تفاصيل عن الاستيلاء عليها . انظر .: Raymond d'Aguilers, p. 88

وقد سقطت المدينة في ١٧ فبراير ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 354

- انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨٦ .

يذكر ياقوت الحموي أن أنطرطوس " مطلة علي البحر في شرقي عرقة ، بينهما ثمانية فراسخ ولها برجان حصينان كالقلعتين " .

انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٦٥٣ .

(الترجمة العربية) .

(١٧) مرقلية Maraqlyah , Maraclea ميناء يقع شمالي أنطرطوس .

(١٨) اللاذقية Al - Lôdhiqiyah, Laodicea ميناء يقع إلي الشمال من مرقلية.

- يذكر القلقشندي أن اللاذقية " أجلّ مدينة بالساحل منعة وعمارة ، ولها ميناء حسنة ، ومنها إلي أنطاكية ثمانية وأربعون ميلاً " .

انظر : القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ .

(الترجمة العربية) .

(١٩) وصل الصليبيون إلي اللاذقية حوالي نهاية فبراير ١٠٩٩م . انظر : H.Chr., 356 .

ويشير ألبرت دكس إلي أن بوهيمند قد عاد طمعاً في أنطاكية . انظر : Albert =

d'Aix , p. 453 . =

(٢٠) جبلة Jabalah , Gabala , Gibellum ، ميناء صغير بين اللاذقية وأنطرطوس . وقد حاصرها الصليبيون حوالي أول مارس ١٠٩٩م . انظر : H.Chr., 357 .

- وجبلة " قلعة علي الساحل الشامي بينها وبين اللاذقية إثنا عشر ميلاً من جهة الجنوب ، وبينها ،بين أنطاكية ثمانية وأربعون ميلاً " ، انظر : القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٤ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(الترجمة العربية) .

(٢١) جاءت رواية توديبود أكثر تفصيلاً بالنسبة لهذا الإتفاق من رواية مؤلف الجستا . فلم يذكر مؤلف الجستا المهمة التي قام بها أسقف البارة ووعد الأمراء بحماية الحجاج . وقد ذكر ريموندا جيل أن الأسقف قد ذهب إلي جبلة. انظر : Raymond d'Aguilers, p. 90 ' Bréhier, Gesta,p.188.

- حدد ريموندا جيل الجيش الإسلامي الذي علم ريموند بنبأ قدومه أنه كان بقيادة الخليفة العباسي المستظهر (١٠٩٤ - ١١٨٨ م) وقبائل كثيرة تتبعه ، إلا أن الفرنج قد اكتشفوا في النهاية أن الأمر كان مجرد إشاعة روجها مسلمو عرقة حتي ينالوا قسطاً من الراحة أمام حصار الفرنج الدائم لهم . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨٨ . (الترجمة العربية) .

(٢٢) رحل جودفري وروبرت كونت الفلاندر عن جبلة في ١٢ مارس ١٠٩٩م ، ووصلا إلي عرقة في ١٤ مارس ١٠٩٩م .

انظر : H. Chr., 360 . =

= ويتهم ألبرت دكس ريموند كونت صنجيل بأنه تلقي رشوة من أمير جبلة حتي يغوي جودفري وروبرت بعدم التعرض لمدينته . انظر : Albert d'Aix, p.453.

(٢٣) وقع هذا الهجوم في ١٨ أبريل ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 366 .

ولدي ريموندا جيل رواية مسهبة عنه . انظر : Raymond d'Aguilers, p.104-105.

- ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(الترجمة العربية) .

(٢٤) حدث ذلك - الحملة بحثاً عن الماشية والطعام - في نهاية أبريل ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 369 .

وفشل مؤلف الجستا في ذكر الستين صليبياً .

انظر : Bréhier, Gesta , p. 188 .

- في الحقيقة جاءت رواية توديبود عن الإغارة علي أملاك المسلمين والإستيلاء علي مواشيهم أكثر تفصيلاً من رواية مؤلف الجستا . بينما لم يذكر ريموندا جيل شيئاً عن هذه الإغارة ، ربما لإنشغاله بالحديث عن رؤي الفرنج المتعددة وعلي رأسهم بطرس بارثلميو . انظر : مجهول : تاريخ الفرنجة ، ص ١١٢ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨٦ - ٢١٤ .

(الترجمة العربية) .

(٢٥) يذكر ريموندا جيل أن سفناً من أنطاكية واللاذقية إلي جانب سفناً بندقية وبيزنطية رست وأقلعت إلي اللاذقية وطرطوس . انظر : Raymond d'Aguilers, p. 88 . =

= وكانت روايتي توديبود ومؤلف الجستا مشابهة لرواية ريموندا جيل لكنها كانت مجرد نقل موجز عنه .

- انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٨٦ .

(الترجمة العبرية) .

(٢٦) من المحتمل أن يكون برنز أوف بلازون فارساً من دوقية فيفييه Viviers وهناك عدة قراءات لاسمه مثل Balon , Ballon, Baladun وكان قد لقي حتفه علي أثر إصابته بصخرة في حصار عرقة . وأنسلم أوف ريبمونت Anselm of Ribemont هو سيد ريبمونت وهي إقليم في وادي Oise بالقرب من سان كوينتين . ولم نتمكن من التعرف علي وليم بيكارد Pichard . وقد سرد لنا ريموندا جيل رواية مطولة عن رؤيا أنسلم . انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 88 - 89 .

وقد لقي أنسلم حتفه في ٢٥ فبراير ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 355

- اشتهر أنسلم برسالتيه اللتين بعث بهما من أنطاكية إلي سيده مناسيس أسقف ريمس . وقد ترجمت نص الرسالة الثانية التي خطها أنسلم في يوليو ١٠٩٨م. انظر : Epistolaé, pp. 155 ff.

راجع أيضاً : حسين عطية ؛ إمارة أنطاكية الصليبية ، محلق رقم (٢) ، ص ٢٩٤ - ٣٠١ .

(الترجمة العربية) .

(٢٧) تم الاحتفال بعيد القيامة في ١٠ أبريل ١٠٩٩م . انظر : .H. Chr.,365

وكان تأريخ توديبود هنا أفضل من تأريخ مؤلف الجستا ، الذي يجعل الصليبيين يحتفلون بعيد القيامة قبل أن يخبرنا هو عن موت أنسلم (٢٥ فبراير =

= ١٠٩٩م) . روزرايتا توديبود والجستا عن الأحداث التي جرت عند عرقة جا.تا مبتورتين . وفي نواح كثيرة كانتا عبارة عن اقتباس من تاريخ ريموندا جيل . ويحذف مؤلف الجستا تفاصيل كثيرة بما في ذلك اختبار الحربة المقدسة .

انظر : Bréhier, Gesta , p . 190 , Fn. 3 .

ولم يفسر لنا أي من أنصار الجستا لماذا حذف فارس بسيط أو رجل دين ، أو كلاهما معاً ، مثل هذه الرواية الهامة . وعلي الأقل ، فإن نسخة C من توديبود الموجودة بالمتحف البريطاني (Harley Mslatin 3904) بها إقحام علي النص يحتوي علي الاختبار ويتضمن معلومات لم ترد عند ريموندا جيل. انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 93 - 103 .

أما النسخة B من توديبود الموجودة في المكتبة الأهلية بباريس (MS. Latin 4892) تشير إلي الاختبار لكنها تحذف الرواية .

- بالنسبة لتاريخ إحتفال الصليبيين بعيد القيامة ، فقد ورد في الجستا - كما ورد في توديبود - كالآتي :

" واحتفلوا بعيد القيامة في اليوم الرابع قبل اليوم الثالث والعشرون من شهر أبريل". "Pascha Domini Celebrauimus IIII idus Aprilis" .

وكلمة idus تعني اليوم الخامس عشر من مارس ومايو ويوليو وأكتوبر - بينما تعني اليوم الثالث عشر من بقية شهور السنة . وإذا رضع الرقم (IIII مثلاً) قبل كلمة idus فيعني اليوم الرابع قبلها . أما إذا وضع الرقم نفسه بعد هذه الكلمة فيعني اليوم الرابع بعدها . لذلك يكون تاريخ إحتفال الفرنج بعيد القيامة في هذا العام (١٠٩٩م) قد تم في يوم ١٠ أبريل . وهو يوم الأحد . فقد كان يوم الجمعة الحزينة (٨ أبريل ١٠٩٩م) . هو يوم =

= إختبار النار الذي مر به بطرس بارثلميو ليثبت صحة رواياته عن الرؤي التي أخبر بها الفرنج .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٠٤ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Hill, p. 85 .

(الترجمة العربية) .

(٢٨) يحذف مؤلف الجستا اسم ريموند كونت صنجيل ، ويقول أن ملك طرابلس قد بعث بالرسل إلي القادة . انظر : Bréhier, Gesta , p. 188 .

ويوجه ريموندا جيل اللوم إلي كونت صنجيل بسبب تأجيل الرحيل إلي بيت المقدس. ولايتخذ توديبود أو مؤلف الجستا هذا الموقف . انظر كتابنا : Raymond IV , pp. 123 - 126 .

- هنا يظهر تمسك توديبود بسرد وتسجيل الحقائق التاريخية دون محاباة أو تعصب لأي طرف من الأطراف . أما مؤلف الجستا فمن الطبيعي أن يحذف اسم كونت صنجيل ويجعل مبادرة أمير طرابلس تصل إلي قادة الحملة بصفة عامة حتي لايعطي كونت صنجيل - منافس سيده بوهيمند الأول والذي تخلي عن الرحلة إلي بيت المقدس واكتفي بإمتلاكه لأنطاكية هدفه الأهم - أولوية في الإنجاز الصليبي .

أما عن ريموندا جيل فهو بالرغم من تبعيته لكونت صنجيل وبالرغم من أنه بروفنسالي ، فهو رجل دين أولاً . وكان لهذا تأثير كبير علي كتاباته التاريخية . وفي هذا المقام ، لم يجد ريموندا جيل بدا من أن يتصرف كرجل دين وليس كتابع بروفنسالي للكونت . وكان إنشغال كونت صنجيل بقضايا فرعية - مثل خلافاته مع بوهيمند - عن إتمام الرحلة إلي بيت المقدس ، من دواعي غضب ريموندا جيل رجل الدين الصليبي علي كونت تولوز . وللمزيد =

= عن تأثير شخصية وثقافة وجنسية ريموندا جيل علي كتاباته التاريخية .
انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٣٠ ومابعدها .

(الترجمة العربية) .

(٢٩) غادر الصليبيون عرقة في ١٣ مايو وبقوا أمام طرابلس لمدة ثلاثة أيام .
انظر : H. Chr., 371 .

(٣٠) مرة أخري يحذف مؤلف الجستا اسم ريموند كونت صنجيل .

انظر : Bréhier, Gesta , p. 190 .

وقد كتب ريموندا جيل أنه سبق وأن عرض ملك طرابلس علي القادة الفرنج أن يقدم لهم خسمة عشر ألف قطعة ذهبية ، وخيولاً ، وبغالاً ، ومؤناً . وكتب أنه بعد هزيمة أهل طرابلس علي أيدي الفرنج ، وعد ملك طرابلس بتقديم نفس الأشياء ، ووافق علي إطلاق سراح الأسري الصليبيين .

انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 91 , 105 .

- مرة أخري نلاحظ أن مؤلف الجستا يحذف اسم كونت صنجيل في الأمور الهامة التي قد تعطي بوهيمند أو ربما الكونت أهمية مثل عقد اتفاق مع المسلمين أو ظهور أي منهما كمقرر لأمر من الأمور الهامة التي تخص الحملة الصليبية

انظر : Gesta Francorum , ed. Rosalind Hill, p. 86 .

(الترجمة العربية) .

(٣١) أمير بابليون (القاهرة) لم يتعرف عليه توديبود . وكان هو الأفضل شاهنشاه ، وزير الخليفة الفاطمي . وقد وضع يده علي بيت المقدس في ٢٦ =

= أغسطس ١٠٩٨م ، وأخذها من السادة الأتراك ، سقمان وإيلغازي إبني أرتق .

- في الحقيقة ، جاءت روايتي توديبود ومؤلف الجستا عن العرض الذي قدمه جلال الملك أمير طرابلس إلي الفرنج متشابهة ، وتصلح في حد ذاتها كدعاية صليبية في غرب أوربا ، لحث سكانه علي القدوم إلي الشرق ، وكدعاية لنجاحات الحملة الأولي .

فلم يكن العرض الذي قدمه ابن عمار للفرنج نظير التخلي عن حصار عرقة . كما يقرر ريموندا جيل . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢١٦ . وإنما كان نظير عدم تعرض الفرنج لطرابلس نفسها وهنا أصاب كل من توديبود ومؤلف الجستا لب الحقيقة . إلا أنهما قد جانبهما الصواب عندما أزادا علي ماذكره ريموندا جيل من أن ابن عمار قد قدم للفرنج خمسة عشر حصاناً أصيلاً ، كما عرض عليهم أن يرتد هو إلي المسيحية إذا ما انتصر الفرنج علي الجيش الفاطمي ، وأن يحكم في بلاده تحت حكم الفرنج .

وفي الحقيقة ، لم يتعد ماقدمه ابن عمار للفرنج في طبيعته ، المهادنة حتي يتخلص من شرورهم ، وهو يري الجبهة الإسلامية مفككة ، وكان من الصعب عليه نيل المساعدة من الفوَاطم أو من السلاجقة ، والدليل علي ذلك أنه حين وجد في عام ١١٠٢م أن كونت صنجيل مصرٌ علي الاستيلاء علي طرابلس بدأ يستعد للتصدي له ، ولم يعد يحرص علي استقلاله بين القوي المتنازعة من فواطم مصر وسلاجقة حلب ودمشق ، وبدأ يلقي بنفسه - كرهاً - بين أحضان القوي الإسلامية القريبة لمواجهة كونت صنجيل . أما مسألة الإرتداد عن الدين الإسلامي الحنيف ، فكما ذكرنا من قبل ، فإن الأمر لايتعدي أن يكون مجرد دعاية صليبية أراد بها توديبود ، ومؤلف الجستا إبراز النجاح الصليبي في الشرق الأدني الإسلامي وحث الغرب الأوربي علي =

= مساندة القضية الصليبية بعد ذلك .

انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١٣ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢١٦ ، ص ٢٢٧ ، هامش رقم (٣) . وأيضاً : Gesta Francorum, ed. Roalind Hill, p. 86 . CF. also, Norman Daniel, The Arabs and Europe, p 193 .

راجع أيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٣٤٤ - ٣٤٥ ؛ محمد محمد الشيخ : الإمارات العربية في بلاد الشام ، الاسكندرية ١٩٨٠ م ، ص ٢١١ ومابعدها .

(الترجمة العربية) .

(٣٢) مدينة البترون Al - Batrun , Botrys, Botron ، تقع جنوبي طرابلس . وقد غادر الصليبيون طرابلس في ١٦ مايو ١٠٩٩م . ووصلوا إلي البترون في ١٦ أو ١٧ مايو ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 372 .

(٣٣) جبيل Gibelon (في الجستا Zebar) وهي مدينة بيبلوس Byblos القديمة ، وجبيل الحالية . وتوجد اليوم قلعة صليبية أسفل الأنقاض القديمة . ولم تكن الجبال الممتدة بطول الساحل شديدة الإرتفاع ، لكنها كانت تشكل صعوبة لوعورتها الشديدة .

(٣٤) كان هذا هو نهر إبراهيم (Adonis) . وكان يتدفق جنوبي جبيل .

(٣٥) كان يوم عيد الصعود هو ١٩ مايو ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 373 .

(٣٦) من المحتمل أن يكون الصليبيون قد وصلوا إلي بيروت في ١٩ مايو ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 373 .

وكان الطريق من بيروت إلي صيدا يشكل صعوبة بالغة . وقد بني القديس لويس =

= فيما بعد قلعته في صيدا . وقد وصل الفرنج إلي هناك في ٢٠ مايو ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 374 .

وربما يكونوا قد عسكروا علي ضفة النهر (an - Nahr al - Auwali) (عوالي) انظر : Albert d'Aix , p. 458 .

وقد وصل الفرنج إلي صور في ٢٣ مايو ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 376 .

وقد انضم إلي الجيش الرئيسي في هذا المكان صليبيون من أنطاكية واللاذقية والرها . ولم يقدم لنا كل من ريموندا جيل أو مؤلف الجستا أو توديبود هذه المعلومات التي أمدنا بها إيكهارد . انظر : Ekkehard, p. 162 .

وكتابنا : Raymond IV , p. 126 .

وقد انغمس ريموندا جيل هنا في إنحراف عن اضطهاد الصوريين .

انظر : Raymond d'Aguilers, p. 109 .

- يورد ريموندا جيل هنا رواية - خرج بها عن سياق الموضوع الرئيسي - ليعبر فيها عن حزنه لدخول بلاد الشام تحت رايات الإسلام ، وإن كان يهاجم الدين الحنيف ويتهم المسلمين باضطهاد أهل الذمة ، ويستخدم عبارات من العهد القديم ليضفي الأصالة علي روايته دون أن يضع في اعتباره مايمكن أن يؤخذ عليه وهو يغالط ، ويعالج فترة إنتشار الإسلام الحنيف بمعلومات تتعلق بالتاريخ القديم . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٢ . (الترجمة العربية) .

(٣٧) وصل الصليبيون إلي عكا Poolemais, Saint John, Akka في ٢٤ مايو ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 377 .

=

= و يعتقد رنسيمان أن Caipha هي حيفا Haifa , Caiffa, Caiphas ، وأن الفرنج قد مروا بجبل الكرمل .

انظر : Runciman, 1951, p. 276 ; Hagenmeyer, Gesta, p.444,Fn.19.

وقد وصل الفرنج إلي قيسارية في ٢٦ مايو ١٠٩٩م . انظر : H.Chr., 378 .

وكان يقوم علي حراسة المدينة حامية فاطمية . انظر : Raymond d'Aguilers,p.114.

- لم نقف علي اسم قائد الحامية الفاطمية في قيسارية في مختلف المصادر العربية. وأول اسم لحاكم عكا منذ قدوم الفرنج إلي بلاد الشام كان زهر الدولة الجيوشي الحاكم الفاطمي لعكا ، حين هاجمها واستولي عليها بولدوين الأول ملك بيت المقدس في عام ١١٠٤م . انظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ٩ جـ ، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٨ - ١٣٦١هـ ، جـ ٥ ، ص ١٨٨ .

أما قيسارية فهي مدينة بساحل الشام بينها وبين الرملة ٣٢ ميلاً ، وبينها وبين عكا ٣٦ ميلاً . انظر : أبو الفدا : تقويم البلدان ، نشره رينو وديسلان ، باريس ١٨٤٠ م ، ص ٢٣٩ .

(الترجمة العربية) .

(٣٨) تم الاحتفال بعيد العنصرة في ٢٩ مايو ١٠٩٩م . انظر : H.Chr.,379.

(٣٩) دخل الصليبيون إلي الرملة في ٣ يونيو ١٠٩٩م . انظر : H.Chr., 382.

(٤٠) كان القديس جورج أصلاً من اللد . وتقع كنيسته بالقرب من الرملة . =

= - والرملة هي إحدي مدن فلسطين ، شيدها سليمان ابن عبد الملك ، وسميت كذلك لغلبة الرمل عليها ، وبينها وبين بيت المقدس مسيرة يوم وأحد . وبينها وبين قيسارية مرحلة .

انظر : القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٤ ، ص ٩٩ .

والقديس جورج شخصية خيالية من المفروض أنه قتل في نيقوميديا حوالي ٣٠٠م، ونقلت عظامه إلي اللد ، مسقط رأسه .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٣١ ، هامش رقم (١٥) .

(٤١) اختار الصليبيون شخصاً يدعي روبرت أوف روين Robert of Rouen كأسقف للرملة . وبقي الفرنج في الرملة من ٣ يونيو إلي ٦ يونيو .

انظر : H. Chr., 382 , 383 .

الفصل الحادي عشر

الاستيلاء علي بيت المقدس

وصل ريموند كونت صنجيل وجودفري مع بقية الحجاج السعداء قبالة بيت المقدس ، فرحين متباهين وذلك في يوم الثلاثاء ٧ يونيو وضربوا حولها حصاراً شديداً (١) . فاحتل روبرت النورماندي المنطقة الواقعة ناحية الشمال المجاورة لكنيسة أول الشهداء ستيفن المبارك ، حيث رُجِمَ هذا القديس من أجل المسيح بسعادة (٢) . وفي القطاع المجاور له كان كونت الفلاندر ؛ أما جودفري وتنكريد (٣) فقد أقاموا معسكرهم جهة الغرب ، بينما اتخذ ريموند كونت صنجيل موقعه علي جبل صهيون بجوار كنيسة مريم المباركة ، أم السيد (٤) . ففي هذا المكان رحلت مريم عن هذا العالم وفيه أيضاً شارك المسيح حوارييه العشاء الأخير ، واستقر الروح القدس في قلوب الحواريين (٥) .

وفي اليوم الثالث من الحصار خرج بعض فرسان جيش القبر المقدس ، وهم ريموند بيليه وريموند أوف تورين وآخرون ، بنية السلب والنهب . وصادف الفرسان مائتين من العرب ، وقاتلوهم ، وأحدقوا بهم بعون الرب والقبر المقدس ، وذبحوا الكثيرين منهم ، واستولوا علي ثلاثين حصاناً (٦) . وفي ثاني أيام الأسبوع التالي (يوم الإثنين) شن الصليبيون هجوماً عنيفاً ولو توفرت لنا سلالم التسلق لسقطت المدينة . وعلي أية حال ، تمكن رجالنا من تقويض سور صغير ، ودفعوا بسلم جهة السور الكبير ، وتسلقه فرساننا ، واشتبكوا مع المسلمين في القتال بالسيوف والرماح (٧) . وسقط عدد من رجالنا قتلي منهم رينالد ، قيِّم قصر هيو Liziniacensis ، وكثيرون غيره ، ولكن خسائر العدو كانت أكثر جسامة (٨) .

وظل الصليبيون طيلة عشرة أيام بدون خبز (٩) ، عندما وصلت أنباء تفيد بأن سفننا قد رست في ميناء يافا القريب (١٠) . لذلك ترك الحصار مائة فارس من قوات ريموند كونت صنجيل عند بزوغ الفجر . وكان من بين هؤلاء ريموند بيليه وجيلد ماركاربينل وأكارد أوف مونتميريل ووليم أوف سابران وآخرين لا أعرفهم (١١) . وعندما مضوا نحو الميناء تحول عنهم ثلاثون من فرساننا من بينهم جيلدمار وأكارد ، واصطدموا بستمائة من العرب والترك والمسلمين ، وهاجم الفرسان المسيحيون بجسارة ، ولكن بلغ تفوق الوثنيين في العدد علي رجالنا كان كبيراً حتي أنهم أحدقوا بالصليبيين من كل الجهات ، وقتلوا أكارد أوف مونتميريل والرجالة المساكين .

وبينما وقع المسيحيون في الشرك ولم يكن أمامهم سوي انتظار الموت ، إذ سارع رسول إلي ريموند بيليه وسأله : " فيم تمهلك هنا مع فرسانك ؟ هوذا كل رفاقك قد وقعوا في براثن العرب ، والترك والمسلمين ، وربما يكونوا قد لقوا حتفهم الآن . أسرع ، اسرع لمساعدتهم " . أفاق الصليبيون بتقرير هذا الرسول ، فاندفعوا مسرعين إلي مكان المعركة . وعندما رأي الكفرة فرسان بيت المقدس تجمعوا في صفين . وقاوم المسيحيون بالاستنجاد باسم المسيح والقبر المقدس واندفعوا نحو العدو بجرأة حتي أن كل فارس قد تمكن من هزيمة خصمه . ولما أدرك الأعداء أنهم لايباروا الصليبيين في شجاعتهم وبأسهم ، شلهم الخوف ، وتراجعوا مولين الأدبار. وطاردتهم قواتنا لمسافة أربعة أميال تقريباً ، وقتلوا عدداً كبيراً منهم ، واعتقلوا أحدهم واستبقوه حياً ليستخلصوا منه المعلومات . كما استولوا علي مائة حصان وثلاثة (١٢) .

وأثناء الحصار عاني الصليبيون كثيراً من ندرة الماء حتي أنهم رتقوا جلود الثيران والجاموس والماعز وصنعوا منها قوارير جلدية وملأوها بالماء الذي يكفيهم لمسافة ستة أميال ، ودرجوا علي شرب هذا الماء الدنس الكدر من هذه الآنية ،

ويومياً كنا في شدة من البؤس والكرب بسبب الماء كريه الرائحة والخبز المصنوع من الشعير . وأعانتنا بركة السلوان ، الواقعة عند سفح جبل صهيون في ذلك الوقت. ولكن حتي الماء تم بيعه بين صفوف مسيحيي الرب والقبر المقدس ونادراً ماكان في مقدور الرجل الواحد أن يروي ظمأه مقابل بنس واحد . وقام المسلمون ، الذين كمنوا حول كل الينابيع والآبار ، بذبح كل من وجدوه ، واقتادوا الحيوانات بعيداً داخل المغارات والكهوف ، أو الجبال . وفي أماكن أخري قام الكفرة بذبح أولئك الذين خرجوا بحثاً عن الكلأ في مزارع الكروم (١٣) .

وعندما شاهد سادتنا هذه الفظاعات ، استبد بهم الغضب ، وعقدوا مجلساً حيث أوصي الأساقفة والقساوسة بخروج الصليبيين في موكب حول المدينة . وهكذا خرج الأساقفة والقساوسة حفاة الأقدام مرتدين ملابسهم المقدسة ، حاملين الصلبان ، من كنيسة مريم المباركة ، الواقعة علي جبل صهيون ، متجهين إلي كنيسة القديس ستيفن ، أول الشهداء ، منشدين مبتهلين أن يخلص مدينته المقدسة والقبر المقدس من الشعب الوثني ويسلمها للمسيحيين لخدمته المقدسة (١٤) . وسار الكهنة جنباً إلي جنب مع الفرسان المسلحين وأتباعهم .

ودفع هذا المشهد المسلمين إلي القيام بالمسير في موكب فوق أسوار بيت المقدس ، حاملين شعار محمد (صلي الله عليه وسلم) فوق لواء وراية مثلثة .

ووصل الصليبيون إلي كنيسة القديس ستيفن وهناك اتخذوا مواقعهم كما هو متبع في مواكبنا . وفي نفس الوقت وقف المسلمون أعلي الأسوار ، وأخذوا يصيحون ويزأرون وهم ينفخون في الأبواق ، وقاموا بكل أعمال السخرية . وليضيفوا إلي أذانا الإهانة ، قاموا بصنع صليب خشبي يشبه الصليب الذي فدي المسيح الرحيم فوقه العالم حين سفك عليه دمه . ثم سببوا للمسيحيين ألماً شديداً حين أخذوا يضربون الصليب بالعصي ويهشموه علي الأسوار علي مرأي من الجميع، وهم يصيحون قائلين " Frango agip salip " التي تعني "أيها الفرنجة ، أهذا صليب حَسنٌ ؟ " (١٥) .

واغتم المسيحيون كثيراً بهذا المشهد ، ولكنهم استمروا في ابتهالاتهم وهم يصعدون سائرين في موكبهم إلي كنيسة جبل الزيتون ، التي صعد منها المسيح إلي السماء . وهناك ، ألقي الراهب الموقر أرنولف بعظة معدة عن الرحمة التي سيسبغها الرب علي المسيحيين الذين تبعوه حتي قبره الذي صعد منه إلي السماء[١٦].

لذلك بدأ المسلمون ، عندما رأوا المسيحيين يقفون هناك في مشهد رائع ، في إخافتهم بالعدو إقبالاً وإدباراً بين معبد الرب ومعبد سليمان (مسجد عمر بن الخطاب) . إلا أن المسيحيين واصلوا المسير في موكبهم حتي وصلوا إلي دير القديسة مريم المباركة في وادي جوزفات [١٧] الذي رفع منها جسدها المقدس إلي السماء . ثم عادوا إلي جبل الزيتون حيث أراد أحد الرهبان أن يدخل الكنيسة عند اقتراب الموكب من مدخل الدير ، فأصيب في وسط جبهته ومات في مكانه . وأعتقد أن روحه ستسكن مع المسيح للأبد ، في عالم بلا نهاية . آمين [١٨] . هذا ما يؤمن به أول من خطّ هذا الكتاب حيث شارك في الموكب ورأي ماحدث رؤي العين ، وهو ، بطرس توديبود [١٩] .

وفور ذلك ، تدارس سادتنا الوسائل التي يمكنهم بها أخذ بيت المقدس ودخول القبر المقدس لعبادة سيدهم ومخلصهم . فقاموا ببناء برجين خشبيين وكثير من آلات الحرب الأخري . وجهز كل من جودفري وريموند كونت صنجيل أبراجهما بآلات الحرب ، والدعامات الخشبية لأن أخشاب هذه الأبراج كان يجب أن تسحب من أماكن بعيدة . وقام خمسون أو ستون من الأسري المسلمين بحمل الأخشاب علي أكتافهم ، وهكذا أربك المسيحيون العدو برجاله هو [٢٠] . ودفعت رؤية بناء هذه الآلات المسلمين إلي إتخاذ إجراءات استثنائية لتحصين المدينة ولتقوية الأبراج ليل نهار .

وفي أحد الأيام ، بعث العدو بمسلم ليتجسس علي عملية بناء المسيحيين للأبراج . ولكن عندما رأي السريان واليونانيون هذا المسلم أشاروا للصليبيين إليه قائلين : " Ma ta christo caco sarrzin " ما يعني بلغتنا " بحق المسيح ، هذا مسلم خسيس " . وبعد أن أمسك المسيحيون بالمسلم استجوبوه عن طريق مترجم سأله عن سبب مجيئه . ورد الأسير قائلاً : " أرسلني المسلمون إلي هنا لأكتشف ماهي مخترعاتكم " . ورداً علي ذلك نطق المسيحيون بالحكم . فأخذوا الجاسوس مكتوف الأيدي والقدمين ووضعوه في قاع آلة حربية تسمي بالمقذاف . وظنوا أنه في إمكانهم أن يدفعوا به بكل قوتهم إلي داخل بيت المقدس . ووجدوا أن ذلك مستحيلاً ، لأنه قُذف بقوة هشمت عظامه قبل أن يصل إلي الأسوار وحُلّت أوصاله(٢١).

وبعد تحديد أضعف جزء من دفاعات بيت المقدس ، وفي مساء يوم سبت ، حرك القادة آلات الحرب والأبراج الخشبية نحو القطاع الشرقي من الحصار (٢٢) . وعند شروق الشمس نصبوها وأمضوا الثلاثة أيام التالية في تنظيم الأبراج وتجهيزها للقتال . وفي اليومين الرابع والخامس من الأسبوع كثفوا حصارهم لبيت المقدس من كل جانب (٢٣) . وفي الصباح الباكر من اليوم السادس هاجموا المدينة مرة أخري ، لكنهم تحيروا وفزعوا عندما لم تفدهم جهودهم بشئ . ورغم هذه الإعاقة ، ولما حانت الساعة التي قرر فيها سيدنا عيسي المسيح (٢٤) أن يصلب علي الصليب من أجلنا ، أخذ فرساننا ، الدوق جودفري وأخوه الكونت يوستاس ، في القتال بعنف من أعلي برج حصار . ثم تسلق فارس يدعي ليثولد (٢٥) أحد أسوار المدينة ، وتبعه عن كثب فرساننا المسيحيون مع الكونت يوستاس والدوق جودفري . وفر المدافعون من أعلي السور وتفرقوا في أنحاء المدينة ، بينما تعقبهم رجالنا يقتلون ويشذبون الرؤوس . وأثناء ذلك ، وبينما كان ريموند صنجيل يدفع ببرجه نحو السور ، إذ استوقفه خندق عميق بجوار السور . وبعد التشاور حول الإجراءات

التي يجب أن تتخذ لردم الخندق ، أعلن ريموند أنه سيمنح بنساً لكل من يلقي بثلاثة أحجار في الخندق . وعند الإنتهاء من الردم بعد ثلاثة أيام وليلتين ، حرك المسيحيون برج الحصار ناحية أحد أبراج المدينة .

ورد المدافعون بكل حماسة بقذف قواتنا بالنيران والصخور حتي أطاحوا بالجزء العلوي من برج ريموند . وفي الوقت الذي استبد فيه الغضب بريموند وفرسانه ووقعوا في اضطراب لأن المدافعين قد حطموا معظم الجزء العلوي من البرج وبدأ يحترق ، إذ به فجأة يلمح ثلاثة فرسان من جيش الدوق جودفري يقتربون من جبل الزيتون صائحين بأن الدوق جودفري ورجاله قد دخلوا بيت المقدس . وعند سماع نبأ اقتحام الفرنجة لبيت المقدس ، صاح ريموند برجاله : " فيم تراجعكم ؟ أنصتوا ، كل الفرنجة دخلوا المدينة " . وعند سماع هذا الأمر ، التقطوا سلالمهم ، ودفعوا بها نحو السور ، ودخلوا بيت المقدس وهم يقاتلون [٢٦] .

وتراجع الأمير الذي كان يقود المسلمين المدافعين عن برج داود وتخلي عن البرج لريموند كونت صنجيل وفتح البوابة التي اعتاد الحجاج أن يدفعوا الجزية عندها. وبهذه الاتفاقية وافق ريموند علي منح الأمير وأتباعه في برج داود الأمان حتي يصلوا إلي عسقلان [٢٧] . ونفذ ما وعد به . وحين دخل الحجاج إلي بيت المقدس تعقبوا المسلمين وأعملوا فيهم القتل ، وقتلوا حتي المسلمين الذين لجأوا إلي معبد سليمان (جامع عمر بن الخطاب) ومعبد السيد [٢٨] . وأخيراً ، وبعد أن هزم رجالنا الوثنيين ، قاموا بجر عدد من الرجال والنساء الموجودين في المعبد ، فقتلوا البعض وأبقوا علي حياة البعض حسب ماتراءي لهم . وأعطي تنكريد وجاستون بيرن أعلامهما لعدد كبير من الكفرة من الجنسين الذين تزاحموا فوق سقف المعبد .

وعلي الفور اندفع الصليبيون في أنحاء المدينة يستولون علي الذهب ، والفضة ، والجياد ، والبغال ، وينهبون المنازل المكتظة بكل أنواع الثروات . بعد

ذلك ، جاء الجميع إلي قهر مخلصنا مبتهجين يبكون من شدة الفرح . وفي الصباح التالي أصدر تنكريد أوامره بأن يتوجه المسيحيون إلي المعبد لقتل المسلمين (٢٩). وعند وصولهم إلي هناك بدأ البعض في سحب أقواسهم وقتل المسلمين . وصعدت مجموعة أخري من الصليبيين إلي سطح المعبد وهاجموا المسلمين المحتشدين وجردوا سيوفهم من حسامها وأخذوا في قطع رؤوس الرجال والنساء . ودفعوا البعض إلي أن يلقي بنفسه من فوق سطح المعبد ، و لقي آخرون حتفهم بأعلي .

وفي يوم آخر (٣٠) ، عقد المسيحيون إجتماعاً قبالة المعبد ، واتفقوا علي أن يؤدي كل منهم الصلوات ، ويقدم الصدقات ، ويصوم عسي أن يختار الرب من بينهم شخصاً مقبولاً لديه ليحكم الآخرين ، وليحكم بيت المقدس ، ولينهب المسلمين. لكن الأساقفة والقساوسة أمروا بأن يقوم الصليبيون أولاً بسحب جثث قتلي المسلمين خارج بيت المقدس خشية أن يضرهم العفن . وفي الواقع كانت المدينة كلها مكدسة بالجيف . وقام الأحياء من المسلمين بسحب جثث زملائهم إلي خارج أبواب المدينة ، وكفّنوها وجمعوها في أكوام في روابي بلغت ارتفاع البيوت ، ثم أشعلوا فيها النيران (٣١) . فهل شاهد أحد قط أو سمع عن مثل محرقة الكفرة هذه ؟ . والله وحده يعلم كم عددهم لأن لا أحد سواه يعلم ذلك .

واحتفل المسيحيون في كل أنحاء المدينة بعيد اليوم الثامن لاستيلائنا علي مدينة بيت المقدس . وفي نفس اليوم عقدوا مجلساً انتخبوا فيه الدوق جودفري أميراً لبيت المقدس ، كي يقاتل الوثنيين ويحمي المسيحيين (٣٢) . وبنفس الطريقة إختاروا بطريركاً عظيم الحكمة ذائع الصيت يدعي أرنولف في يوم عيد القديس بطرس في الأصفاد (٣٣) . وقد سقطت المدينة في اليوم الخامس عشر من شهر يوليو ، في اليوم السادس من الأسبوع ، بعون سيدنا عيسي المسيح له الشرف والمجد أبداً ودائماً . آمين (٣٤) .

هوامش الفصل الحادي عشر

(١) وصل الصليبيون إلي بيت المقدس في ٧ يونيو ١٠٩٩م . انظر :
H.Chr.,385.

وقد أورد توديبود التاريخ الصحيح . وأورد مؤرخ الجستا تاريخاً خاطئاً .

ولا يذكر مؤلف الجستا وصول كونت صنجيل والدوق جودفري .

انظر : Bréhier , Gesta , p. 194 , Fn. 1 ; Hagenmeyer, Gesta , p.448,Fn . 1 .

وكان يحكم في بيت المقدس إفتخار الدولة .

- يبدأ مؤلف الجستا روايته بقوله " وصلنا " مستخدماً صيغة الجمع ، وهو هنا علي ماعهدناه منه ، يحاول أن يتجاهل قيادة كونت صنجيل لقوات الحملة الصليبية . ويضع تاريخ وصول الحملة في ٦ يوليو ١٠٩٩م . إلا أنه جعله يوم الثلاثاء الذي يوافق اليوم السابع من الشهر في هذه السنة . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١٤ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 87 , Fn. 3 .

أما عن حاكم بيت المقدس ، فقد استغل الأفضل فترة تعثر الحملة الصليبية الأولي أمام أنطاكية ، وبادر بالإستيلاء علي مدينة بيت المقدس من سقمان وإيلغازي ابني أرتق نواب تتش في المدينة ، وذلك في أغسطس ١٠٩٨م / شعبان ٤٨٩ هـ . وأحسن الأفضل العطاء إلي ولدي أرتق اللذين اتجها إلي دمشق ومنها إلي إقليم الجزيرة ليؤسسا لنفسيهما إمارة هناك . واستناب الأفضل في بيت المقدس افتخار الدولة . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٧ . =

= (الترجمة العربية) .

(٢) وتقع بوابة القديس ستيفن إلي الشمال ، وسميت بهذا الإسم تكريماً لأول شهداء المسيحية ، ستيفن الذي رُجم حتي الموت ، انظر : Actus Apostolorum,6 & 7.

وكانت الكنيسة تقع خارج أسوار بيت المقدس .

(٣) يضيف ريموندا جيل أن روبرت النورماندي كان أيضاً قد عسكر في هذا المكان. وقد قام قادة الفرنج بحماية المنطقة الواقعة بين كنيسة القديس ستيفن وبين أحد الأبراج المثلثة المتصلة ببرج داود الذي يقع إلي جهة الغرب ويحمي بوابة يافا . انظر : . Raymond d'Aguilers, p. 116

(٤) كان جبل صهيون يقع في الركن الجنوبي الغربي من المدينة . ويخبرنا ريموندا جيل أن كونت صنجيل قد نقل معسكره. انظر : Raymond d'Aguilers, p. 117 .

- رأي كونت صنجيل أن هناك واد عميق يفصل بين معسكره وبين الأسوار ويحول دون إقترابه من المدينة بيسر ، فرغب في نقل معسكره إلي جبل صهيون . الأمر الذي جاء علي غير رغبة الأمراء ، وإستاء (رجاله من هذا التصرف) الذين لم يرغبوا في نقل المسعكر والإستمرار في المراقبة ليلاً . وبقي غالبية رجاله في الموقع الأول ، واضطر ريموندا إلي دفع مبالغ من المال لفرسانه ومشاته لحماية المعسكر الجديد . ومن الواضح أن تصرف أتباع ريموند هذا كان يرجع إلي شح الكونت ، فاتبعوا معه هذا الأسلوب حتي يدفع لهم مايريدونه من أموال .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٢٢ ، ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ٢٥٨. =

= (الترجمة العربية) .

(٥) يقدم لنا توديبود معلومات أكثر تفصيلاً عن جبل صهيون عما قدمه مؤلف الجستا . ويعطينا ريموندا جيل المزيد من المعلومات . وكان المصدر المشترك للمؤرخين الثلاثة في هذا الصدد هو " الأماكن المقدسة " . ويبدو أن مؤلف الجستا قد طمس روايات توديبود أو ريموندا جيل أو من المصدر المشترك .

انظر : . Bréhier, Gesta , p. 194

- راجع أيضاً : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١٤ - ١١٥ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٣٧ .

(الترجمة العربية) .

(٦) وقع هذا القتال في ٩ يونيو ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 386

ويكتب توديبود عن جيش القبر المقدس ويضيف "بمساعدة القبر المقدس" .

(٧) وقع هذا الهجوم في ١٣ يونيو ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 389

ويقدم لنا ريموندا جيل رواية مشابهة . انظر : . Raymond d'Aguilers, p.117

- ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(الترجمة العربية) .

(٨) لم نترجم كلمة Liziniacensis لوجود عدة أماكن تحمل نفس الاسم في جنوب فرنسا . انظر : . A. Giry, 1894 , pp. 385 , 386 , 409

ولم يذكر مؤلف الجستا شيئاً عن رينالد ، وتذكر قراءات مخطوطات توديبود أنه كان قيّما لقصر هيو . انظر : .Hagenmeyer, Gesta, p. 454 , Fn.12 =

- لم يذكر ريموندا جيل أيضاً اسم رينالد . بينما ذكر غيره من الفرنج الذين لقوا حتفهم في هذا الهجوم الفاشل . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، والهوامش ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١٥ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 88 .

(الترجمة العربية) .

(٩) جاءت رواية توديبود هنا موجزة جداً عن ندرة الطعام .

وقد أورد مؤلف الجستا رواية أكثر تفصيلاً عن العطش الذي أصاب الصليبيين ، وكانت روايته اختصاراً لما أورده ريموندا جيل .

انظر : Bréhier, Gesta , p. 196 ; Raymond d'Aguilers, pp. 118 - 119.

- في الحقيقة يمدنا ريموندا جيل هنا برواية مفصلة تقدم لنا صورة حية عن أحوال الصليبيين المتأزمة خارج أسوار بيت المقدس ، ومدي المعاناة التي مروا بها لندرة الطعام والماء . الأمر الذي يكشف لنا جانباً من طبائع الفرنج في الحملات الصليبية حين يحرص كل منهم علي صالحه الخاص ، وينتشر بينهم إيثار النفس غير عابئين بالأخوة الصليبية التي حرص رجال الدين اللاتين ومؤرخو الحملة الصليبية - وعلي رأسهم ريموندا جيل - علي التشدق بها في رواياتهم ، وإبرازها أمام عامة الفرنج .

إلا أن هذه الرواية تبرز ماتميز به ريموندا جيل كمؤرخ للحملة الصليبية الأولي يلمس عن قرب الوسط الذي عاش فيه بسطاء الفرنج وفقراؤهم ، الذين كانوا موضع عنايته . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٣٢ ، ٢٣٧ - ٢٣٨ . راجع أيضاً : Jean Richard, Raymond d'Aguilers, pp.206,ff. =

= (الترجمة العربية) .

(١٠) وصل الأسطول الجنوي إلي يافا في ١٧ يونيو ١٠٩٩م .

انظر : . H. Chr., 392

ويخبرنا ريموندا جيل عن وصول ست سفن . انظر : Raymond d'Aguilers, p.119.

- يقدم لنا ريموندا جيل رواية موجزة عن أحوال يافا في ذلك الوقت . وقد وجدها الصليبيون وقد هجرها أهلها المسلمون .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٣٨ . راجع أيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ .

(الترجمة العربية) .

(١١) جيلدمار كاربينل Geldmar Carpinel لم يذكره مؤلف الجستا . وكان كاربينل علي وفاق مع جودفري ، وقبل موت الأخير منعه تنكريد من أخذها. انظر : . Rey, 1869 , p. 264

أما أكارد أوف مونتميريل Achard of Móntmerle (مقاطعة من تريفو Trévoux) فقد قام برهن ميراثه لكلوني حتي يجهز نفسه للإشتراك في الحملة الصليبية .

انظر : . Bréhier, Gesta , p. 396

أما وليم أوف سابران Sabran فقد كان سيداً علي سابران وقد سار مع القوات البروفنسالية . انظر : HGL . 3 : pp. 490 - 491 ; 5 : Cols. 687,708,732.

(١٢) يصف ريموندا جيل أيضاً هذا القتال . ويخبرنا بأن مائتين من الأعداء قد لقوا حتفهم . وقد وقع هذا القتال في ١٨ يونيو ١٠٩٩م .

انظر : H. Chr., 393 ; Raymond d'Aguilers, p. 120 .

- انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١٥ - ١١٦ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 88 - 89 .

(الترجمة العربية) .

(١٣) تحكي الروايات الثلاث للجستا وريموندا جيل وتوديبود عن العطش الذي نال من الفرنج وعن المعاناة بالقرب من بركة السلوان وتتشابه عبارات المؤرخين الثلاثة في كثير من المواضع . ويخبرنا ريموندا جيل بأن الصليبيين قاموا بنقل المياة لمسافة فرسخين أو ثلاثة . بينما حددها كل من توديبود والجستا بستة أميال . ويذكر ريموندا جيل أن كمية المياة التي كانت تكفي لشخص واحد كانت تتكلف خمس أو ست نوميسمات (بنسات) nummi . بينما حدد توديبود ذلك بنوميسما واحدة (بنساً واحداً) nummum . انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 118 , 119 ; Liber, pp. 139, Fn. 4, 140; Bréhier, Gesta, p. 198 .

- كانت بركة السلوان Syloa (في الجستا) تقع في الركن الجنوبي الشرقي لبيت المقدس في سفح جبل صهيون . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٣٧ . وعن النوميسما انظر : هامش رقم ١٧ منه الفصل السادس .

(الترجمة العربية) .

(١٤) " خدمته المقدسة " Sericium Faciendum عبارة عن تعبير إقطاعي وهي خدمة يدين بها مستأجر الأرض لسيده . انظر : Martin , 1892 , p.243.

(١٥) يقدم لنا توديبود رواية أكثر تفصيلاً ، عن الموكب الديني ، من رواية مؤلف الجستا ورواية ريموندا جيل معاً . ويضع مؤلف الجستا الموكب في تاريخ غير دقيق . انظر : ; Raymond d'Aguilers, pp. 122 , 123 Bréhier, Gesta , p. 202 , Fn. 1 .

وقد عقد المجلس الصليبي في ٦ يوليو ١٠٩٩م . (انظر : H.Chr., 397) .

بعد أن أعطي بطرس ديزيديريوس تعليماته . وقد كان الموكب الديني في في ٨ يوليو ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 398

وكانت رواية توديبود عنه أفضل الروايات . فهو يظهر مالديه من معلومات عن الأماكن المقدسة ويتبع الطريق الذي سلكه الموكب أفضل من الجستا وريموندا جيل . وقد لاحظ توديبود أن المسلمين قد صاحوا قائلين "Frango agip Salip" بعد أن مزقوا أحد الصلبان .

ويترجم ناشر نسخة توديبود في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية RHC.Occ.3,p.105 هذه العبارة في هامش بمعني " هذا صليب رائع " Miranda est crux" مع أنه في نصه يستخدم عبارة Franci est bona crux أي " هذا صليب حسنُ " . ومخطوط توديبود A يضعها في صيغة سؤال ، وفي سياق الكلام فإن صيغة الاستفهام تكون ذات معني أكثر . وقد ترجمنا العبارة بمعني " أهذا صليب حسنُ " . انظر : Wehr. 1966 : P.521, 591 .

حيث نجد Salib (صليب) ، Ajib (رائع) .

وتتطابق رواية وليم الصوري مع رواية توديبود وبشكل كبير .

انظر : William of Tyre, tr. Babcock and Krey, 1943, pp. 359. 360. =

= - لم يذكر مؤلف الجستا شيئاً عن رد فعل مسلمي بيت المقدس تجاه طواف الفرنج في موكب ديني حول المدينة . ولايذكر ريموندا جيل العبارات التي وضعها توديبود علي ألسنة المسلمين .

وفي النسخة المترجمة لتاريخ ريموندا جيل كان للمترجمين الأمريكيين تحفظ علي رواية ريموندا جيل فيما يخص الموكب الديني الذي طاف خلاله الفرنج حول بيت المقدس . وفي رأيهما أن الرواية خيالية بالدرجة الأولي كتبها ريمونداجيل بناء علي إحدي الرؤي التي اكتظ بها تاريخه ليضفي السرور البالغ علي قارئ تاريخه كما يفعل أي داعية شعبي في غرب أوربا . ويري المترجمان أن الطواف قد تم ، وإن كان في رأيهما أن الصليبيين لم يكونوا من الحماقة حتي يتركوا الكثير من قواتهم معرضاً لهجوم فاطمي .

ولمناقشة هذه القضية برمتها ، نقول أن ريموندا جيل كعادته قد حشد بين أسطر روايته الكثير من العبارات المقتبسة من التوراة والإنجيل حتي يكون لها قوة تأثير علي القارئ المسيحي . إلا أننا نفهم من روايته ورواية توديبود أن من سار في الموكب لم يكن سوي رجال الدين والفرسان وبعض الصليبيين الأقوياء الذين ستكون مهمتهم نفخ الأبواق .

وهؤلاء بالطبع لايشكل غيابهم عن المعسكرات الصليبية أية خطورة خاصة الفرسان الذين يمكنهم الإرتداد إلي مواقعهم بسهولة وسرعة إذا مانشب قتال مع المسلمين . ومن الواضح أن توديبود أورد ما رآه ، وشارك فيه بنفسه ، فأمرنا بتفاصيل لم ترد عند كل من مؤلف الجستا وريموندا جيل .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ص ٢٥٢ ، هامش رقم (١٤) ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١٧ .

(الترجمة العربية) .

(١٦) من المحتمل أن يكون هذا الراهب هو أرنولف أوف شوكس Arnulf of Chocques . راهب روبرت النورماندي . وكان يدعي أيضاً ماليكورن Malecorne . وأصبح بطريركاً في ١٠٩٩م . ولايميل إليه ريموندا جيل ، لذلك لم يذكر اسمه إلا عند الضرورة فقط . ومن المستغرب أن يتجاهل فارس نورماندي وضع اسمه في رواية الجستا . وقد أغفل ريموندا جيل ذكر الأعمال العنيفة والهجمات التي تعرض لها الذين طافوا حول المدينة .

انظر : Raymond d'Aguilers, p. 123 , Fn. 13 .

(١٧) وادي جوسفات ، يمتد شرقي بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقاً وجبل موريا غربا . وقد أطلق عليه المؤرخون في العصور الوسطي اسم "وادي جهنم" ، ويعتبر جزءاً من وادي قدرون ، ويعرف بعدة أسماء منها وادي مريم ، ووادي النار ووادي سلوان . انظر : سعيد البيشاوي : الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، الأسكندرية ، ١٩٩٠م ، ص ١٣٢ .

(الترجمة العربية) .

(١٨) هذه العبارة مقتبسة من سفر الرؤيا . انظر : Apocalypsis B. Joannis, 11 : 15 ; 16 .

(١٩) هذه المعلومات تشهد علي حضور توديبود في موقع الأحداث . وقد وردت عدة قراءات لاسمه مثل : Tudebodis Subracenis , Sivracensis

- هنا يذكر توديبود اسمه صراحة ليؤكد وجوده ضمن القوات الصليبية أمام بيت المقدس . وهي المرة الأولي التي يذكر فيها المؤرخ اسمه . وهو هنا يجبرنا علي قبول ذلك . لأنه أحسن اختيار الفقرة التي يضمنها اسمه . فمؤلف الجستا لم يذكر شيئاً بالمرة عما يرويه توديبود هنا . كما أن ريمونداجيل الذي شارك توديبود في الحديث المسهب عن الموكب الديني الذي طاف حول بيت =

= المقدس لم يذكر شيئاً عن الراهب الذي يتحدث عنه توديبود . وأهم من ذلك كله فإن توديبود يؤكد أنه أول من كتب هذا التاريخ ولم ينسخه عن أحد . وهو بذلك إن لم يكن يمدنا بأحد البراهين علي أنه صاحب التاريخ الأصلي - وليس مؤلف الجستا - فإنه يمدنا ببرهان قاطع علي وجود مؤرخ وشاهد عيان للأحداث .

(الترجمة العربية) .

(٢٠) يلاحظ توديبود عدد الأسري المسلمين كما فعل ريموندا جيل . وكانت رواية الجستا مختصرة جداً في هذا الموضع . وكانت رواية ريموندا جيل أكثر تفصيلاً . انظر : Raymon d'Aguilers, p. 124 ; Bréhier,Gesta, p.200.

- انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٤٣ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١٧ .

(الترجمة العربية) .

(٢١) وُصفت العبارة " بحق المسيح هذا مسلم خسيس Mate Christo caco Sarrazin "

كيونانية ركيكة . انظر : RHC. Occ. 3 : p. 107 .

ومن المحتمل أن يكون المصدر الأصلي لهذه العبارة هو رواية شفهية وبالتالي ، فإن تفسيرها علي أساس ضبط النهجئة غير مؤكد . وكان توديبود هو المؤرخ الوحيد الذي أورد قصة الجاسوس المسلم .

- وهذا دليل آخر علي وجود توديبود في مسرح الأحداث . ومن الطبيعي أن يكون لكل من الطرفين المتصارعين جواسيس وعيون علي الجانب الآخر . =

= وعلي أية حال فهذه هي الرواية الأولي في تاريخ الحملة الصليبية التي تحكي لنا قصة جاسوس . وتعد من المعلومات التاريخية النادرة التي تحسب لتوديبود .

(الترجمة العربية) .

(٢٢) تحرك الصليبيون وأقاموا أبراجهم وآلاتهم الحربية في واد يمتد من بوابة القديس ستيفن إلي وادي جوسفات . وحدث ذلك خلال الفترة من مساء ٩ يوليو إلي ١٢ يونيو ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 399

- يقرر هاجنمير أن الأبراج قد نقلت في ١٢ يوليو . وبذلك تكون رواية ريموندا جيل خاطئة لأنه يذكر أن تحرك الأبراج كان في نفس يوم الهجوم . ويقرر رنسيمان أن الأبراج قد وضعت قبالة أسوار بيت المقدس في يوم ١٤ يوليو. وهذا يجعل رواية ريموندا جيل صادقة . إلا أنه بالتمعن في رواية ريموندا جيل نجد أن العمل في نقل الأبراج كان قد تم بالفعل قبل اليوم المحدد للهجوم وبذلك يكون رأي هاجنمير هو الأقرب إلي الدقة .

انظر : H. Hagenmeyer, Chronologie de la premiere Croisade, 1094 - 1100, in R. O. L. , vols. 6 - 8 , Paris, 1902 - 1911 , 401 , Runciman, A Hisotry , vol. 1 , p. 336 .

راجع أيضاً : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٤٤ .

(الترجمة العربية) .

(٢٣) ضلّ مؤلف الجستا في هذا الموضع بذكر العطش والحديث عن أن البنس (denarius) لم يكن يكفي لشراء كمية الماء التي تروي ظمأ رجل واحد .

ويضع توديبود هذه المعلومة في مكانها المناسب ، كما يفعل ريموندا جيل . ويستخدم توديبود النوميسما (nummum) بدلاً من البنس denarius . =

= والنص اللاتيني للروايات الثلاث متشابه . وقد وقع الهجوم في ١٣ ، ١٤ يوليو ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 403 ; Bréhier, Gesta, p. 200.

- وضع توديبود وريموندا جيل هذا الحدث حين الحديث عن ندرة المياة والطعام التي واجهت الفرنج عند بداية حصارهم للمدينة المقدسة وعن تزاحم جموعهم حول بركة السلوان . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٣٧ . راجع أيضاً ماسبق ، هامش رقم (١٣) .

(الترجمة العربية) .

(٢٤) دخل الصليبيون مدينة بيت المقدس في يوم ١٥ يوليو ١٠٩٩م .

انظر : H. Chr., 405 .

ويقرر ريموندا جيل أن ذلك قد تم ظهراً . بينما يحدد كل من توديبود ومؤلف الجستا ذلك بالساعة التي "صلب فيها المسيح" ومن المفروض أنها الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم . وعن مناقشة ذلك ، انظر : Bréhier, Gesta,p.202, Fn. 3 ; Hagenmeyer, Gesta , p. 465 , fn. 15 .

ونلاحظ أن الخدمة الكنسية التي تؤدي ظهراً (الصلاة التي تؤدي في الكنيسة وقت الظهيرة) ربما تكون قبل الساعة الثالثة من بعد الظهر بفترة ، وأخيراً فإنها تصبح مرادفة لوقت الظهر أو منتصف النهار . ومن الغريب أن نلاحظ أن كلا من توديبود ومؤلف الجستا يستخدمان ساعة كنسية بينما يستخدم ريموندا جيل " منتصف النهار " . ومن الغريب أيضاً أن فارساً نورمانديا بسيطاً مثل مؤلف الجستا يؤرخ لهذا الحدث بمثل هذه الطريقة .

- إذا كنا نأخذ بأن مؤلف الجستا كان فارساً نورمانديا بسيطاً وليس رجل دين ، إلي جانب ثقافته البسيطة . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٢ . =

= راجع أيضاً : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص ٣ ، فلماذا لايكون المؤلف هنا قد نقل عن رجل الدين ، توديبود ؟

(الترجمة العربية) .

(٢٥) ليثولد Lethold من المفروض أنه من تورناي Tournai . ويكتب ألبرت دكس عن أخويه ليثولف Letholfus وانجلبرت Engilbertus .

انظر : Albert d'Aix , p. 472 .

(٢٦) أورد توديبود أفضل رواية عن نشاطات ريموند كونت صنجيل .

ويحذف كل من مؤلف الجستا وريموندا جيل رواية الفرسان الثلاثة ، من جيش جودفري ، الذين نشروا نبأ دخول جودفري إلي بيت المقدس . وأورد كل من توديبود والجستا الرواية الخاصة بقيام كونت صنجيل بدفع المكافأة لردم الخندق. ويحذف ريموندا جيل هذه المعلومة .

ويقرر مؤلف الجستا أن الكونت قد سمع أن الفرنجة Fracnci دخول المدينة . ثم قال " انصتوا كل الفرنسيين Francigene داخل المدينة " . ونلاحظ أن الكلمتين الفرنجة والفرنسين تستخدمان هنا بالتبادل . ويستخدم توديبود كلمة الفرنسيين بنوع خاص . ونعتقد أن هذا مثل جيد لعدم جدوي تأكيد استخدام الجستا لكلمة الفرنسيين أحياناً كإشارة إلي النسب النورماندي للمؤلف .

انظر : Bréhier, Gesta , p. 204 ; Raymond d'Aguilers, p. 127 .

- من المؤكد أن رواية كل من توديبود ومؤلف الجستا عن قيام كونت صنجيل بدفع مكافأة لردم الخندق صحيحة لما درجتعليه رجاله من تباطئ في التعاون معه لما عرف عنه من شح . خاصة بعد أن أبدي شحه حين لم يوزع علي رجاله =

= الجزية التي أخذها من بني عمار في طرابلس .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٢٢ .

(الترجمة العربية) .

(٢٧) يقع برج داود إلي الغرب ويتهم ألبرت دكس كونت صنجيل بالحصول علي رشوة من الأمير افتخار الدولة . انظر : Albert d'Aix , pp. 483 - 489.

وكتابنا : Raymond IV , pp. 131 , 132 .

(٢٨) تميز توديبود بضبط النفس حين لم يكتب أن الدماء فاضت في المعبد ، علي عكس مؤلف الجستا وريموندا جيل اللذين فضلا تحديد ارتفاع الدماء . ويكتب مؤلف الجستا في موضع أن الصليبيين خاضوا في الدماء حتي كعوبهم (Cavillas) . وكتب أيضاً في موضع آخر أن الدماء فاضت في المعبد . ويبدو أن كاتب الجستا قد تبع توديبود في إحدي الروايات وتبع ريموندا جيل مع بعض التحفظات في رواية أخري ، أو تبع المصدر المشترك للثلاثة . وقد كتب ريموندا جيل أنهم خاضوا في الدماء حتي ركبهم وسروج خيولهم . انظر : سفر الرؤيا ، ١٤ : ٢٠ . وهو أساس هذه الروايات . انظر أيضاً : New Testament Apocrypha, 2ed Hennecke, 1964, p.697.

ولايمكننا أن نفهم لماذا يكرر الكتّاب الحديثون هذه الرواية دون الإشارة إلي مصدرها إلا إذا كانوا يجهلونه . ومن المؤكد أن هناك دليل قاطع بأن الفرنج لم يجهزوا علي كل سكان بيت المقدس .

انظر : Bréhier, Gesta , p. 202 ; Raymond d'Aguilers, pp. 127 , 128.

- تعد رواية ريموندا جيل عن المذابح التي كثيراً ما أجراها بنو جلدته الصليبيون =

= بين السكان العزل في مدن الشام ، نموذجاً للطابع الدموي البربري ، الذي طبعت به الكراهية ، التي تحرك الفرنجة ، انتصاراتهم . وكان مرجع ذلك هو أن البابوية قد حددت منذ البداية أن العدو الأساسي للفرنج هم المسلمون . فنري ريموندا جيل يجد في المذابح التي حدثت في بيت المقدس " أعمالاً مدهشة تسعد الرب وتجلب ترانيم جديدة للجميع " ، ويشاركه أمبرواز ، الذي كتب تاريخاً عن الحملة الصليبية الثالثة ابتهاجه السادي حين يطرب لوصف المذبحة التي أجراها ريتشارد ملك انجلترا بين مسلمي يافا العزل .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٤٧ .

راجع أيضاً : Ambroise, The Crusade of Richard Lion - Heart, trans by Merton Hubert, with notes by J. L. La Monte, New York, 1941 , p. 228 . cf. also, J. L. La Monte , The Significance of The Crusader states in Mdieval History in B. , vol. 15, 1940-41, p. 306 .

(الترجمة العربية) .

(٢٩) لم يذكر مؤلف الجستا أن تنكريد قد أصدر أوامره بقتل المسلمين داخل المعبد . ويقرر أن تنكريد قد استبد به الغضب حين علم بأمر المذبحة . انظر: Bréhier , Gesta, p. 206 ; Hagenmeyer, Gesta , p. 474 , fn.43.

وإذا كان قد تم إعادة كتابة الجستا . أو كانت نسخة من كتاب توديبود ، فيمكن فهم الصورة الأفضل لتنكريد . ولم يتناول برييه هذه المشكلة .

– من الطبيعي أن يذكر مؤلف الجستا غضب تنكريد لقتل المسلمين حتي يظهره – وهو ابن أخت سيده النورماندي – في صورة أفضل من واقع حاله . أما بالنسبة لتوديبود فهو يروي ماحدث متوخياً الحقيقة التاريخية . ليؤكد لنا مرة أخري عدم تحيزه للنورمان . =

= انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١٩ م راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 92 .

ومن الثابت ، كما روي ريموندا جيل أن تنكريد قد أراق كثيراً من دماء المسلمين ، فكيف يغضب لمقتلهم بعد ذلك !

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٤٧ .

(الترجمة العربية) .

(٣٠) يكتب توديبود " في يوم آخر " . بينما كان مؤلف الجستا غامضاً بالنسبة للتوقيت . وقد عقد الاجتماع في يوم ١٧ يوليو ١٠٩٩م .

انظر : . H. Chr., 408

(٣١) يجهل مؤلف الجستا أن الجثث قد أحرقت . انظر : Bréhier,Gesta,p.206.

ويقرر أن الجثث قد جمعت في أكوام بلغ ارتفاعها ارتفاع المنازل ، لكنه يتركها هناك. وهذا المثال يبين أن الناسخ فشل في إضافة "أشعلوا فيها النيران". وهي عبارة كان من الضروري إضافتها .

- انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١١٩ .

(الترجمة العربية) .

(٣٢) تم إنتخاب جودفري في يوم ٢٢ يوليو ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 409.

ويقرر ريموندا جيل أن كونت تولوز كان قد عُرض عليه منصب الملك لكنه رفض ذلك. انظر : . Raymond d'Aguilers, p. 129

- يذكر البرت دكس أيضاً أن تاج المملكة قد عرض علي كونت تولوز . وتدفع =

= منافسته اللاحقة لجودفري إلي الإرتياب في رواية ريموندا جيل ، ومن المحتمل أن يُعرض هذا المنصب (ملك بيت المقدس) علي كونت تولوز ، وكحاج صليبي فإنه من المحتمل بالنسبة له أن يرفض . وقد تعلل كونت تولوز في رفضه للمنصب بأنه "يرتجف لدي سماعه اسم ملك في بيت المقدس". كما يقرر ريموندا جيل .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٥٧ ، هامش رقم (٣) ص ٢٦٥ .

(الترجمة العربية) .

(٣٣) مات سيمون بطريرك بيت المقدس في قبرص . وتم إنتخاب أرنولف في الأول من أغسطس ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 413

(٣٤) يحذف مؤلف الجستا الخاتمة "بعون سيدنا عيسي المسيح له الشرف والمجد أبداً ودائماً ، آمين " .

الفصل الثاني عشر

معركة عسقلان

في تلك الأثناء جاء رسول إلي تنكريد والكونت يوستاس يحمل إليهما النصائح للاستعداد للخروج وأخذ مدينة نابلس . وخرجا ، ووصلا بصحبة العديد من الفرسان والرّجالة إلي نابلس ، حيث سارع سكانها بتسليمها إليهما (١) . ثم بعث الدوق جودفري برسول إلي تنكريد ويوستاس شقيق جودفري برسول يأمرهما بالإسراع بالقدوم إليه لأنه سمع بأن أمير مصر موجود في عسقلان ، يضع الخطط للاستيلاء علي بيت المقدس (٢) . حتي أنه قد حضر معه السلاسل وغيرها من الأصفاد الحديدية التي يكبل بها أطفال المسيحيين ، الذين سيسترقهم لسنوات عديدة ، بينما أصدر أوامره بقتل كل كبار المسيحيين .

وعندما تسلم الكونت يوستاس وتنكريد هذه الرسالة ، قدما بسرور عظيم عن طريق الجبال ، متلفهان علي قتال المسلمين ، ووصلا إلي قيسارية . وأخيراً استدارا بمحازاة الساحل ووصلا إلي مدينة الرملة ، حيث وجدا كثيراً من العرب ، الذين يشكلون طليعة الجيش القادم نحو المكان . فطاردهم المسيحيون وأسروا كثيرين منهم ، أفضوا علي مضض بأخبار خطط المعركة التي أعدوا لها ، ومكان العدود ، وحجم قواتهم ، والمكان الذي خططوا لقتال الفرنج فيه (٣) . وحين حصل الكونت يوستاس وتنكريد علي هذه المعلومات ، سارعاً بإيفاد رسول إلي بيت المقدس ليخبر الدوق جودفري والبطريرك أرنولف ، وجميع الأمراء : " ليكن معلوماً لكم ، لقد اتخذت إجراءات المعركة ضدنا في مدينة عسقلان . ولهذا عليكم بالإسراع بالقدوم إلي هناك بكل مايمكنكم حشده من قوات " .

وأمر الدوق جودفري الجميع بإتخاذ الخطوات الفعالة للتحرك نحو عسقلان ضد أعداء الرب . وخرج جودفري بصحبة البطريرك وكونت الفلاندر وأسقف

مارتورانا ، من بيت المقدس في اليوم الثالث من أيام الأسبوع (٤) . وعلي أية حال، قال ريموند كونت صنجيل وروبرت النورماندي : " إننا لن نتحرك إلا إذا تأكدنا من نشوب معركة " (٥) . ومن ثم ، أمرا رجالهما بالخروج والتأكد من صحة الأنباء عن المعركة الوشيكة . وإذا تأكدوا من صحة ذلك أمرهم الكونت : " عودوا علي وجه السرعة ، وسنكون نحن متأهبان " .

واستكشف رجالهما ، ورأوا الدليل علي الاستعداد للمعركة ، فاندفعوا عائدين ، وقالوا : " بالتأكيد إن الأخبار صحيحة ، فقد شاهدنا ذلك بأنفسنا " . بعد ذلك ، بعث جودفري بأسقف مارتورانا إلي بيت المقدس بأوامر إلي ريموند كونت صنجيل وروبرت النورماندي والسادة الآخرين ، بالإسراع للإنضمام إليه إذا رغبوا في قتال العدو . وصادف أسقف مارتورانا في طريق عودته برسائل البطريرك والدوق ، المسلمين الذين أمسكوا به واقتادوه إلي مكان نجهله (٦) .

ورحل ريموند وبقية السادة عن بيت المقدس في اليوم الرابع من الأسبوع ؛ واستعدوا للمعركة ، وساروا لخدمة جودفري (٧) . وبقي بطرس الناسك في بيت المقدس يتخذ الإجراءات وينصح اليونانيين واللاتين بالسير في مواكب ، وأداء الصلوات ، وتوزيع الصدقات ، حتي يمنح الرب نصره لشعبه . لذلك خرج رجال الدين حفاة الأقدام ، متدثرين بعباءاتهم المقدسة ، حاملين الصلبان في أيديهم ، في موكب من القبر المقدس إلي معبد السيد يرتلون القداس وغيره من الصلوات . وهكذا سار الكهنة في موكب (٨) .

وتجمع الدوق جودفري وريموند كونت صنجيل والبطريرك وبقية الأساقفة ، وبقية القادة جميعاً عند النهر الذي يجري بجوار عسقلان (٩) وهناك وجدوا أعداداً لا تحصي من الحيوانات ، الثيران والجمال والأغنام والحمير ، وغيرها من الماشية التي بعث بها المسلمون لإخفائها . ولكن المسيحيين وأتباعهم استولوا عليها جميعاً .

وعند الغروب بدأ البطريرك ، وهو يحمل الصليب المقدس ، صليب سيدنا عيسي المسيح ، الذي عثر عليه الحجاج في بيت المقدس ، و كذلك بدأ قسيس كونت صنجيل ، وهو يحمل حربة سيدنا عيسي المسيح المقدسة ، بدءا يأمران ، باسم الرب ، والقبر المقدس ، وأغلي حربة ، وأقدس صليب أن لايستدر أي رجل نحو الأسلاب حتي إنتهاء المعركة واندحار أعداء الرب . ولكن بعد ذلك يمكنهم العودة سعداء بحسن حظهم وبنصرهم العظيم ويمكن الجميع الاستيلاء علي كل ما خصهم به الرب [١٠] .

وبسبب هذه التعليمات دخل حجاج القبر المقدس والفرسان المسيحيون ، عند الفجر ، في سادس أيام الأسبوع ، وادياً جميلاً بالقرب من ساحل البحر ، وهناك أعدوا تشكيل القتال . وصف الدوق جودفري ، الذي اختير ملكاً علي بيت المقدس، صفوفه ، وكذلك فعل ريموند كونت صنجيل ، وروبرت النورماندي ، وروبرت كونت الفلاندر ، والكونت يوستاس ، وتنكريد ، وجاستون بيرن رتبوا صفوفهم . وهكذا بدأت ست فرق المعركة ، بينما خرج رماة السهام في المقدمة[١١] . ولازمهم علي الجناح الأيمن والجناح الأيسر كل الحيوانات ، الجمال وغيرها من الحيوات التي سارت دون أحد يسوقها . وكانت مساعدة الحيوانات حقاً معجزة من الرب [١٢] .

وبدأ المسيحيون من فورهم القتال من أجل المسيح والقبر المقدس وهم يحملون حربة مخلصنا ، بينما حمل البطريرك جزءاً من صليب سيدنا .

وكان علي الجناح الأيسر الدوق جودفري بقواته ، وعلي الجانب الأيمن ، بمحازاة الساحل ، ريموند كونت صنجيل ، وفي القلب كان كونت نورماندي ، وكونت الفلاندر ، والكونت يوستاس ، وتنكريد ، وجاستون بيرن [١٣] . ثم بدأت قواتنا التراجع والتقدم بينما الوثنيون يقفون في وضع الثبات استعداداً للمعركة .

وكان لدي كل رجل من الأعداء إناءً للشرب متدلياً من رقبته بخيط لاستعماله أثناء قتال المسيحيين . وهاجم كونت الفلاندر العدو بحمية ، وتبعه تنكريد وجميع الآخرين [١٤] . ودفع هذا المشهد بالعدو إلي الفرار في الحال . واتسع نطاق المعركة ، لأن حشود الوثنيين كانت لاتحصي ، والرب وحده كان يعلم كم عددها . ولكن قوة ربانية تبعتنا وكانت ضخمة وقوية حتي بدت حشود الأعداء أقل عدداً من جنودنا . وتسمر الأعداء مذهولين مغشية أبصارهم وهم يحدقون في فرسان المسيح القادمين من بيت المقدس ، دون أن يروا شيئاً ، ولم يتجرأوا علي تحدي المسيحيين وقد أرجفتهم قوة الرب [١٥] .

وفي غمرة الفزع الذي ملأ قلوبهم ، تسلقوا الأشجار واختفوا فيها ، ليسقطوا من فوق أغصانها سقوط الطير [١٦] عندما رشقهم رجالنا بالسهام وقضوا عليهم بالحراب . وفيما بعد قام رجالنا بقطع رؤوسهم بسيوفهم تمثيلاً بهم . وألقي آخرون من الكفرة بأنفسهم علي الأرض متذللين في فزع تحت أقدام المسيحيين . فقام رجالنا بذبحهم كما يذبح الشخص الماشية في سوق اللحوم . وعلي ساحل البحر قام ريموند كونت صنجيل بقتل عدد لايحصي منهم ، ومن لم يستطع منهم الهرب ألقي بنفسه في البحر ، بينما فر آخرون إلي عسقلان .

ووصل الأمير إلي عسقلان في حالة يرثي لها وندب حظه قائلاً : " آه ! يامحمد (صلي الله عليه وسلم) يارب [١٨] ، من ذا الذي سمع من قبل بمثل هذه الكارثة ؟ ومثل هذه القوة ، ومثل هذه الهمة ، ومثل هذا الجَلَد [١٩] ، وهذا الجيش الذي لم يقهر من قبل أمام مسيحيين أو وثنيين ، يهزم الآن ويُقهر علي يد هذا الشعب التافه الذي يمكن سحقه بقبضة يد [٢٠] أي شخص ، واحسرتاه ! ياله من ألم وحزن . ماذا أستطيع أن أقول أيضاً ؟ [٢١] لماذا يهزمني شعب متسول ، غير مسلح ، شديد البؤس والفقر ، الذي لايملك غرارة ولا كيساً [٢٢] . وهم الآن

يطاردون شعبنا المصري ، الذي طالما قدم لهم الصدقات حين كانوا يتسولون في بلادنا في العصور القديمة . وقد قدت إلي هذا المكان جيشاً عظيماً من الفرسان والرجّالة من الترك ، والمسلمين ، والعرب ، والقوقازيين والآشوريين والأرمن وغيرهم من الوثنيين ، والذين أراهم الآن يفرون بعيداً بخسة في سرعة جامحة عائدين إلي القاهرة ، الذين لم يتجرأوا علي العودة لمواجهة هذا الجنس الواهن (٢٣) . لذا أقسم بمحمد (صلي الله عليه وسلم) وبأسماء كل أربابنا أنني لن أعد ألزم الفرسان بمواثيق لأنني هُزمت علي يد هذا الشعب المتراخي . لقد جلبت كل أنواع الأسلحة والعُدد مثل آلات الحرب . وعديد من الأصفاد الحديدية (٢٤) التي ظننت أنني سأقتاد بها المسيحيين مكبلين بها عائداً إلي القاهرة . وقمت بكل هذه الاستعدادات لعلي أحاصرهم في بيت المقدس . علي العكس من ذلك ، فقد تصدوا لي علي مسافة يومين من بيت المقدس . ما الذي كان سيحدث لي لو سرت برجالي إلي المدينة المقدسة ؟ (٢٥) أعتقد أنه من المؤكد لم يكن ليتسني لي أو لأحد من رجالي الهرب من هناك . ما الذي يمكن أن يقال علاوة علي ذلك ؟ سأظل مهاناً في القاهرة".

واستولي أحد رجالنا علي لواء الأمير . وكان في اللواء تفاحة ذهبية مثبتة في رمح ، وكلها مغلفة بالفضة . ونحن نسمي اللواء علماً . واشتري ريموند كونت نورماندي العلم مقابل عشرين ماركاً فضياً ، ومنحه بدوره للبطريرك تكريماً للرب والقبر المقدس (٢٦) . كما اشتري أحد الحجاج سيف الأمير مقابل ستين بيزنطاً . وهكذا ، وبرضاء الرب ، هزم أعداؤنا بطريقة واحدة حيث لم يكن بهم رمق للمقاومة. ورست السفن الآتية من كل بلاد الكفرة في الميناء ودفعت مشاهدة هزيمة الأمير وجيشه السفن علي الإبحار في الحال ، لنقل الأمير علي ظهر سفينة والإقلاع إلي عرض البحر .

وعاد جنودنا إلي معسكر العدو واستولوا علي كميات ضخمة من الذهب

والفضة والجواهر وكومة كبيرة من المؤن ، بالإضافة إلي الخيول والبغال والبعير والأغنام والماشية والحمير وحيوانات كثيرة أخري . وفي الواقع كانت كل الجبال والتلال والسهول تعج بعدد كبير من حيواناتهم . كما وجد المسيحيون أيضاً مخبأ كبيراً للسلاح ، وتقدموا لنقل مارغبوا فيه ، ولجمع كل ماعداه واشعال النيران فيه. ثم عاد جنودنا مبتهجين مسرورين ، بعد أن هزموا كل الوثنيين وجلبوا كثيراً من الأسلاب مثل الجمال والحمير المحملة بالحلوي والدقيق والحبوب والجبن والخبز والزيت والمؤن الضرورية (٢٧) .

ولكثرة هذه الأسلاب كانت هناك وفرة من الخيرات في صفوف المسيحيين حتي بيع الثور بثمان أو عشر نوميسمات ، ومكيال الحبوب باثنتي عشر نوميسمات ، ومكيال الشعير بثمان نوميسمات (٢٨) . وخشية أن يعلم كل المسيحيين بذلك(٢٩) فليكن معلوما لديهم أن هذه المعركة قد وقعت في اليوم السابق علي Ides (الثالث عشر) من أغسطس بفضل سيدنا عيسي المسيح ، له الشرف والمجد الآن ودائماً أبداً . آمين .

هوامش الفصل الثاني عشر

(١) يوستاس البولوني Eustace of Boulogne ، شقيق جودفري . وكانت نابلس تقع شمالي بيت المقدس . وكان تنكريد ويوستاس قد ذهبا إلي هناك أثناء حصار بيت المقدس . وكانت حملتهما الأولي في ١٠ - ١٣ يوليو ، أما هذا الهجوم فقد وقع في ٢٥ يوليو ١٠٩٩م .

انظر : . H. Chr., 400 , 410

(٢) بعث جودفري بأوامره في ٤ أغسطس ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 414

وتقع عسقلان علي بعد أربعين ميلاً جنوب غرب بيت المقدس . وكان أمير مصر هو الأفضل شاهنشاه .

(٣) وصل تنكريد ويوستاس وقد نشب القتال في ٧ أغسطس ١٠٩٩م .

انظر : . H. Chr., 417

(٤) رحل جودفري ومن معه عن بيت المقدس في ٩ أغسطس ١٠٩٩م .

انظر : . H. Chr., 418

أما أسقف مارتورانا Marturana فهو من مارتورانا في إقليم كلابريا Calabria . وقد روّج قضية أرنولف . انظر : . Raymond d'Aguilers, p. 131

- كان الأسقف متعاطفاً مع النورمان وحث علي إنتخاب أرنولف ماليكورن بطريركاً لبيت المقدس . ووقع في أسر المسلمين قبل موقعة عسقلان .

انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ .

(الترجمة العربية) .

(٥) لايعكس تردد كونت صنجيل في الرحيل فوراً خلافه مع جودفري . =

= انظر كتابنا : . Raymond IV , p. 135

راجع أيضاً : . Raymond d'Aguilers, p. 132 - 133

- يذكر ريموندا جيل أن الكونت ريموند قد توجه إلي أريحا وجمع السعف وذهب إلي نهر الإردن ليغتسل فيه كما طلب منه بطرس بارثلميو من قبل حسب التعاليم التي جاءته في رؤياه . وعاد ريموند إلي بيت المقدس حين وصول أنباء عن إستعدادات الأفضل لمهاجمة الفرنج . انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

(الترجمة العربية) .

(٦) لم يتضح تماماً متي وقع أسقف مارتورانا في قبضة المسلمين . ويقرر ريموندا جيل أنه وقع في أسر المسلمين قبل أن يسرد روايته عن المهمة التي أوكلها إلي الأسقف . وعلي أية حال ، فريموندا جيل يستنتج أنه وقع في الأسر وهو في طريقه إلي بيت المقدس برسالة من جودفري . وجاءت قراءات توديبود والجستا مبهمة ، لكن الإستنتاج هو أن أسقف مارتورانا قد وقع في أسر المسلمين برسالة من أو إلي الدوق . وتحدد مخطوطات توديبود مسير كونت صنجيل باليوم الرابع من الإسبوع ، بعد إخبارنا باختفاء الأسقف ، كما نجد نفس الشئ في مخطوطات الجستا باستثناء مخطوط مدريد (الذي يعتبره بريبه الأكثر ثقة) ومخطوط الفاتيكان ٦٤١ . انظر :
Bréhier,Gesta, p. 210 , Fns. g and h.

(٧) يكتب توديبود عن ريموند كونت صنجيل وآخرين . أما مؤلف الجستا فيكتب عن الأمراء . انظر : . Bréhier, Gesta, p. 210

- مرة أخري يحرص مؤلف الجستا ، وحتي قرب نهاية تاريخه ، علي حرمان كونت صنجيل من أي دور قيادي في الحملة الصليبية ، إنحيازاً إلي سيده =

= بوهيمند ضد منافسه الوحيد كونت صنجيل . ومرة أخري أيضاً يظهر توديبود حياده بين الطرفين إرتباطاً بتسجيل الحقيقة التاريخية الخالصة .
انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٢١ .

(الترجمة العربية) .

(٨) يخبرنا ريموندا جيل ، برواية أكثر تفصيلاً ، عن الموكب . ويذكر توديبود ومؤلف الجستا بطرس الناسك كمنظم لهذا الموكب . ويذكر ريموندا جيل وتوديبود أن الموكب قد اتجه إلي المعبد . انظر : Raymond d'Aguilers, pp. 132 , 133 .

راجع :ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٦٠. ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٢٢ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 94.

(الترجمة العربية) .

(٩) تقابلت الجيوش في ١١ أغسطس ١٠٩٩م . انظر : H. Chr., 429 .

(١٠) هذه الرواية شيقة . فلم يذكر مؤلف الجستا أن البطريرك كان يحمل الصليب. أو أن قسيس كونت صنجيل كان يحمل الحربة المقدسة . وكانت روايتا توديبود والجستا متطابقتين فيما يخص تعليمات البطريرك عن القيام بأعمال السلب والنهب . لكن الجستا لاتقرر أن أرنولف قد منع القيام بهذه الأعمال ، بإسم الرب ، والقبر المقدس ، وأغلي حربة ، وأقدس صليب .

ومن الواضح أن الجستا قد تضمنت أقصر رواية عن هذه التعليمات .

انظر : Bréhier, Gesta , p. 21 .

ويلاحظ ريموندا جيل أن الصليبيين قد خرجوا من بيت المقدس ومعهم الحربة المقدسة، لكنه فشل في ملاحظة أنهم كانوا يحملون الصليب . وفي موضع =

= سابق ، لاحظ ريموندا جيل أن أرنولف نجح في الاستدلال علي مكان الصليب . ومن المفروض أنه تم العثور علي الصليب في ٥ أغسطس ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 415

ويذكر ريموندا جيل أيضاً ، باختصار ، التعليمات المتعلقة بأعمال السلب والنهب . وقد لاحظ وجود تعليمات مشابهة من قِبَلْ بطرس بارثلميو قبيل معركة كربوغا . انظر : . Raymond d'Aguilers, pp. 60 , 133 , 134

وقد أورد توديبود أفضل رواية في هذا الصدد ، ومن المؤكد أنه هنا لم ينقل عن ريموندا جيل ولا عن مؤلف الجستا .

- عن هذه الأحداث والآراء انظر : ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ١٤٢ ، ٢٥٩، ٢٦١ ؛ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٢٢ .

راجع أيضاً : . Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, pp. 94 - 95

(الترجمة العربية) .

(١١) وقعت المعركة في ١٢ أغسطس ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 421

(١٢) فشل مؤلف الجستا في ملاحظة الدور الذي لعبته الحيوانات . علي أية حال، يقدم لنا ريموندا جيل رواية مشابهة لرواية توديبود . وأعتقد فون سيبل ، الذي لم يكن علي دراية بكل مخطوطات ريموندا جيل اعتقد أن ريموندا جيل قد نقل عن مؤلف الجستا روايته عن معركة عسقلان . ونظراً للرواية المختصرة التي أوردها ريموندا جيل والتي تتشابه مع رواية توديبود ، فمن المحتمل جداً ، أن تكون رواية ريموندا جيل عن معركة عسقلان منقولة عن توديبود أو عن مصدر تاريخي مشترك بينهما ، وليست منقولة عن الجستا . والمخطوط B لريموندا جيل يشير إلي أن روايته عن معركة عسقلان منقولة عن مصدر تاريخي آخر . انظر : ; Liber, p. 153, Fn.r =

= Raymond d'Aguilers, p. 135 .

(١٣) يقرر ريموندا جيل أنهم تحركوا في تسعة صفوف .

انظر : . Raymond d'Aguilers, p. 135

- راجع الترجمة العربية . ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٦٢ .

(الترجمة العربية) .

(١٤) لم يذكر توديبود مقتل حامل لواء الأمير علي يد روبرت النورماندي في بداية المعركة كما ذكر مؤلف الجستا .

ويقرر فيما بعد أن روبرت اشتري اللواء . ويتم الاحتفال بتصرف روبرت في سان دنيس Saint Denis . انظر : Bréhier, Gesta, pp. 214 , 215, Fn.2.

ويجهل بريبه التناقض بين الروايتين . وهو مثال آخر علي الاختلافات بين التاريخين.

(١٥) هذه الأسطر مستوحاة من القصص الكنسي . وقد "أغشي الرب أبصار أعدائه " انظر : . Prophetia Ezechielis, 12 : 2

راجع أيضاً : سفر الملوك ، ٦ : ١٨ ؛ أعمال القديسين ، ١٣ : ١١ .

(١٦) يمنح توديبود روايته شيئاً من الواقعية بجعل الأعداء يتساقطون من أعلي الأشجار مثل الطيور ويحذف مؤلف الجستا هذه المعلومة .

(١٧) جاء نواح الأمير ، مثل نواح جي وحديث كربوغا إلي أمه ، عبارة عن عملية خلق أدبي . وفي هذه الحالة لاتتطابق رواية توديبود ، دائماً ، مع رواية الجستا . وربما تكون رواية الجستا المختصرة جداً ، عن رواية توديبود ، أو ربما تكون الروايتان قد نقلاً عن مصدر مشترك .

(١٨) يكتب مؤلف الجستا " يا أرواح الأرباب " O deorum spiritus

ويكتب توديبود " آه يامحمد ، يارينا " O Machomet et dii nostri

انظر : . Bréhier, Gesta , p. 216

- هذه العبارة تدل علي جهل المؤرخين بحقيقة الدين الإسلامي الحنيف . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٢٣ .

(الترجمة العربية) .

(١٩) " مثل هذه القوة ، ومثل هذه الهمة (الشجاعة) ومثل هذا الجلد " tanta potestas, tanta virtus, tanta fortitudo .

تعبيرات كنسية . انظر : . Plaise, pp. 255 , 284

- هذا مثل آخر لما يضعه المؤرخون اللاتين علي ألسنة المسلمين من حوارات لم تحدث . والدليل علي ذلك أنهم يستخدمون اقتباسات من الإنجيل والتوراة وكتب القصص الكنسي .

(الترجمة العربية) .

(٢٠) " بيد In pugillo " انظر : Hymn for Matins (Quem t erva pon tus), 15 August.

(٢١) يكتب مؤلف الجستا أن الأمير كان يقود مائتي ألف رجلاً . ولايذكر الترك، والمسلمين ، والعرب والقوقازيين ، والأكراد ، والأرمن والآشوريين وغيرهم من الوثنيين .

ويذكر توديبود الأسماء المذكورة آنفاً كلها . وقد تمت مناقشة ذلك ماعدا مايخص الآشوريين .

=

= انظر : . La Chanson d'Antioche, 2 : p. 246

حيث تذكر الأنشودة قوماً يدعون Acopart التي من المحتمل أنها تعني الآشوريين الذين ذكرهم توديبود .

انظر : . Bréhier, Gesta , p. 216

(٢٢) لم يذكر مؤلف الجستا شيئاً عن الأمير حاملاً الأصفاد .

(٢٣) يكتب توديبود والجستا (نسخة بونجار) " ماالذي كان سيحدث لي ؟ " . علي أية حال ، لم ينجح نص بونجار في ذكر بيت المقدس لذلك فهو نص غير كامل . ونقرأ في نص توديبود : " ما الذي كان سيحدث لي لو سرت برجالي إلي المدينة المقدسة ؟ " .

فمرة أخري ، يتوفر لدينا دليل علي استخدام بونجار لتاريخ توديبود . ولا تشتمل المخطوطات الأخري للجستا علي هذه العبارة . انظر : Bréhier, Gesta,p.216 , Fn. g.

(٢٤) لا يرجع توديبود فضل مقتل حامل لواء الأمير إلي روبرت . انظر : ماسبق هامش رقم (١٤) من هذا الفصل .

وإذا كان توديبود قد نقل عن مؤلف الجستا ، فمن الغريب أنه كان سيقوم بحذف هذه المعلومة . وفي الواقع ، فإن رواية الجستا عن مآثر روبرت ليست في محلها في سياق المعركة . ويقدم لنا بريبه تفسيراً غير مقنع ، يبين فيه أن جندياً ما قام بإمساك اللواء بعد أن قتل روبرت حامله . ويبدو أنه من المحال أن يفشل روبرت في إدعاء ملكيته للواء الأمير . انظر : Bréhier, Gesta, p. 217 , Fn. 5 .

(٢٥) عاد الصليبيون في ١٣ أغسطس ١٠٩٩م . انظر : . H. Chr., 422

(٢٦) لم يذكر مؤلف الجستا مثل هذه الأسعار . ويبدو أن توديبود لم يكن قادراً علي إنهاء روايته ، ومن الواضح أنه توفرت لديه معلومات لم تتوفر لمؤلف الجستا أو لريموندا جيل .

- يذكر كل من مؤلف الجستا وريموندا جيل فقط السلع والأسلاب التي استولي عليها الفرنج . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٢٥ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٦٣ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 96.

(الترجمة العربية) .

(٢٧) جاءت رواية الجستا هنا مقتضبة ، ويؤرخ للمعركة دون نقل . ويكتب توديبود قائلاً : " وخشية أن لايعلم كل المسيحيين بذلك ، فليكن معلوماً لديهم " . ثم يعطينا تاريخ معركة عسقلان . انظر : Bréhier, Gesta,p.218.

- يذكر مؤلف الجستا أن المعركة قد وقعت في يوم الجمعة دون تحديد التاريخ . أما توديبود فيحدده صراحة بيوم ١٢ أغسطس ١٠٩٩م . ولم يحدد ريموندا جيل هذا التاريخ . وهو خير ختام ينهي به توديبود تاريخه ، ليثبت لنا تفوقه علي نظيريه مؤلف الجستا وريموندا جيل فيما يخص الدقة في سرد المعلومات التاريخية والإنفراد بسردها أحياناً . انظر : مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٢٥ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ . راجع أيضاً : Gesta Francorum, ed. Rosalind Hill, p. 97 .

(الترجمة العربية) .

تسنين أهم الأحداث التاريخية

- ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م - البابا أوربان يعلن قيام الحملة الصليبية الأولي في كليرمونت .
- الأول من أغسطس ١٠٩٦م - وصول بطرس الناسك إلي القسطنطينية.
- ١٠ أغسطس ١٠٩٦م - وصول بطرس الناسك إلي نيقوميديا .
- ١١ أغسطس ١٠٩٦م - وصول بطرس الناسك إلي كيفيتوت .
- ٢٤ سبتمبر ١٠٩٦م - إحتلال الصليبيين لزيروجوردون .
- ٢٩ سبتمبر ١٠٩٦م - الأتراك يكمنون لفرقة صليبية .
- ٢٩ ستبمبر ١٠٩٦م - ٧ أكتوبر ١٠٩٦ م - حصار الأتراك لحصن زيروجوردون.
- أوائل أكتوبر ١٠٩٦م - عودة بطرس الناسك إلي القسطنطينية .
- ٢١ أكتوبر ١٠٩٦م - هجوم الترك علي كيفيتوت .
- الأول من نوفمبر ١٠٩٦م - بوهيمند يصل إلي أفلونا .
- ٢٠ ديسمبر ١٠٩٦م - ٣١ يناير ١٠٩٧م - رحلة البروفنساليين عبر دلماشيا.
- ٢٣ ديسمبر ١٠٩٦م - وصول الدوق جودفري إلي القسطنطينية .
- ٢٥ ديسمبر ١٠٩٦م - بوهيمند يحتفل بعيد الميلاد في كاستوريا .
- منتصف فبراير ١٠٩٧م - الهجوم علي أدهيمار .
- الأول من أبريل ١٠٩٧م - وصول النورمان إلي روسا .
- ١٠ أبريل ١٠٩٧م - إجتماع ألكسيس وبوهيمند .

- ١٢ أبريل ١٠٩٧م - البروفنساليون يستولون علي روسا .

- ٢١ أبريل ١٠٩٧م - ريموند كونت صنجيل يصل إلي القسطنطينية .

- ٢٦ أبريل ١٠٩٧م - وصول الجيش النورماندي إلي القسطنطينية .

- ١٤ مايو ١٠٩٧م - بدايع حصار نيقية .

- ١٦ مايو ١٠٩٧م - الجيش البروفنسالي يحاصر نيقية .

- ١٠ يونيو ١٠٩٧م تقويض برج من أبراج نيقية .

- ١٩ يونيو ١٠٩٧م - استسلام نيقية .

- ٢٥ - ٢٨ يونيو ١٠٩٧م - رحيل الصليبيين من نيقية .

- الأول من يوليو ١٠٩٧م - معركة دوريليوم .

- ١٤ سبتمبر ١٠٩٧م - تنكريد وبولدوين ينفصلان عن الجيش الصليبي الرئيسي ويرحلان إلي طرسوس .

- ٢٠ - ٢٢ أكتوبر ١٠٩٧م - بداية حصار أنطاكية .

- ٩ فبراير ١٠٩٨م - بداية حصار أنطاكية .

- ٩ فبراير ١٠٩٨م - هزيمة قوات رضوان ملك حلب .

- أوائل فبراير ١٠٩٨م - تاتيكيوس يترك الحصار .

- ٢٠ مارس ١٠٩٨م - إتمام بناء قلعة المنير .

- ٢٩ مايو ١٠٩٨م - إتفاقية الأمراء الصليبيين مع بوهيمند .

- ٣ يونيو ١٠٩٨م - استيلاء الصليبيين علي أنطاكية .

- ٥ يونيو ١٠٩٨م - الجيش الرئيسي لكربوغا يقترب من أنطاكية .

- ٢٨ يونيو ١٠٩٨م - هزيمة كربوغا .
- الأول من أغسطس ١٠٩٨م - موت أدهيمار .
- ٥ نوفمبر ١٠٩٨م - المجلس الصليبي ينعقد في كنيسة القديس بطرس في أنطاكية .
- ١١ - ١٢ ديسمبر ١٠٩٨م - الاستيلاء علي معرة النعمان .
- ٤ يناير ١٠٩٩م - المجلس الصليبي يناقش موعد استئناف المسير إلي بيت المقدس .
- ١٣ يناير ١٠٩٩م - ريموند كونت صنجيل يستأنف الرحلة إلي بيت المقدس .
- ١٤ فبراير - ١٣ مايو ١٠٩٩م - حصار عرقة .
- ٨ أبريل ١٠٩٩م - إختبار الحربة المقدسة .
- ١٦ مايو - ٦ يونيو ١٠٩٩م - رحلة الصليبيين إلي بيت المقدس .
- ٧ يونيو ١٠٩٩م - إقتراب الصليبيين من بيت المقدس .
- ٨ يوليو ١٠٩٩م - موكب الصليبيين الديني حول بيت المقدس .
- ١٣ - ١٥ يوليو ١٠٩٩م - الهجوم النهائي والاستيلاء علي بيت المقدس .
- ٢٢ يوليو ١٠٩٩م - إنتخاب جودفري .
- ١٢ أغسطس ١٠٩٩م - موقعة عسقلان .

قائمة المصادر والمراجع

التي اعتمدت عليها الترجمة العربية في المقدمة والتعليق

بيان بالمختصرات

التي وردت في مقدمة وهوامش الترجمة العربية

A. O. L. - Les Archives de L'Orient Latin.

A. R. A. H. A. - Annual Reports of the American Historical Association.

B. - Byzantion.

B. I. H. R. - Bulletin of the Institute of Historical Research.

B. P. I. A. S. A. - Bulletin of the Polish institute of Arts and Science in America.

C. E. - Collier's Encyclopedia.

E. H. R. - English Historical Review.

J. E. H. - The Journal of Ecclesiastical Hisotry.

J. e. S. H. O. - Journal of Economic and Social Hisotry of the Orient.

J. S. - Journal des Savants.

Latomus - Latomus.

R.C.C. - Doc. Arm.- Recueil des Historiens des Croisades, Document Armeniens.

R. H. C. -H. Occ. - Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux.

R. H. E. - Revue d'Histoire Ecclesiastique.

R. O. L.	- Revue de L'Orient Latin.
R. S.	- Rolls Series.
S. E.	- Sacris Erudiri.
S. G.	- Studia Gratiana.
S. M.	- Studia Medivalia.
Speculum	- Speculum.
Traditio	- Traditio.

(١) المصادر الأصلية الأجنبية

- Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, in R. H. C. - H. Occ., vol.IV.
- Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, trans. From Old French by M. J. Hubert, New York 1941.
- Anne Comnen, the Alexiad, English trans. by Elezabeth Dawes, London, 1928.
- Anonymi, Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum, in R. H. C. - H. Occ., vol. III.
- Anonymi, Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum (ed. by Roslaind Hill, as The Deeds of The Francs and The Other Pilgrims to Jerusalem), London, 1962.

وقد اعتمدنا أيضاً علي الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم " أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس " ترجمة الدكتور حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

- Baldric of Dol, Historia de Peregrinatione Jerosolimitana, in R. H. C. - H. Occ., vol. IV.
- Beshada (Gregory), Chanson d'Antioche en Provençal, French trans. by P. Meyer, in A. O. L. vol. I.
- Ekkehard d'Aura, Hierosolymita, in R. H. C.- H. Occ., vol. V.
- Epistolae et Chartae ad historiam primi belli Spectantes, in Die Kreuzzugabriefe, ed. H. Hagenmeyer, Insbruck, 1901.

- Fulcher of Chartres, Gesta Francorum Iherosalem (ed. by Frances Rita Rayan, as A History of the Expedition to Jerusalem), Tennessee, 1969.

- Guibert de Nogent, Historia quae dicitur Gesta Dei per Francos, in R. H. C. - H. Occ., vol. IV.

- Matthew of Edessa, Chronicle, in R. H. C. - Coc. Arm. vol. I.

- Orderic Vitalis, Historia Ecclesiastica, ed. by M. Chibnall, 6 vols., Oxford , 1969 - 78.

- Radulph of Caen, Gesta Tancredi Siciliae Regis in Expeditione Hierosolymitana, in R. H. C. - H. Occ., vol. III.

- Raymod d'Aguilers, Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem, in R. H. C. - H. Occ., vol. III.

وقد اعتمدنا علي الترجمة العربية لهذا الكتاب . انظر :

ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس " ، نقله إلي الإنجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوج هيل ولوريتا ل. هيل ، نقله إلي العربية وعلّق عليه حسين محمد عطية ، الأسكندرية ، ١٩٨٩م .

- Robert Monachus, Historia Iherosolimitana, in R. H. C. - H. Occ., vol. III .

- Petrus Tudebodus, De Historia Hierosolymitano Itinere, in R. H. C. - H. Occ., vol. III .

- William of Malmesbury, Gesta Regum Angolorum, 2 vols., ed. W. Stubbs, in R. S. , London, 1889.

- William of Tyre, A Hisotry of Deeds Done Beyond The Sea, 2 vols., trans and annotated by Emily Babcock and A. C. Krey, New York, 1943.

(٢) المصادر العربية

- ابن الأثير الجزري (ت .٦٣هـ / ١٢٣٣م) أبو الحسن بن أبي الكرم الملقب عز الدين : " الكامل في التاريخ " - ١٢ جـ - القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠١هـ.

- ابن العديم (ت .٦٦ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة : " زبدة الحلب من تاريخ حلب " - ٣ جـ - تحقيق سامي الدهان - دمشق ١٩٥١م .

- ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلي حمزة بن أسد الدين علي بن محمد : " ذيل تاريخ دمشق " - بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٨م .

- ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد : "كتاب الاعتبار" - تحقيق فيليب حتي ، الولايات المتحدة الأمريكية (برنستون) ١٩٣٠م .

- ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم: " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" - ٣ جـ - تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٠م .

- أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن علي : " تقويم البلدان " - نشره رينو وديسلان - باريس ١٨٤٠م .

- أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي : " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " - ٩ جـ - القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٩٢٩ - ١٩٤٢م .

- القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م) أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله : "صبح الأعشي في صناعة الإنشا " - ١٤ جـ - القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩٣٣م .

- ياقوت الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين : " معجمي البلدان " - ٤ جـ - ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠م .

(٣) المراجع الثانوية الأجنبية

- Benvenisti (M.), The Crusaders in the Holy Land, Jerusalem, 1979.
- Brundage (James), An errant Crusader, Strephen of Blois, in Traditio, vol. 16, 1959.
    - The Crusader's Wife revisited, in S. G., vol. 14, 1967.
- Cahen (Claud), La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades et la principaute Francque d'Antioche, Paris, 1940.
- Chalandon (F.), Histoire de la Premiére Croisade, Paris, 1925.
- Danial (Norman), the Arabs and Medieval Europe, Liban, 1975.
- Davis (R. H. C.), william of Tyre, in Relation between East and West in the Middle Ages, ed. by Derek Baker, Edinburgh, 1973.
- Duc de Castries, La Conquéte de la Terre Saint par Les Croisés, Paris, 1973.
- Duggan (AlFred), The Story of the Crusades, London, 1969.
- Edbury (Peter) and Row (J.G.), William of Tyre and the Patriacal election of 1180, in E. H. R. , vol. 366, 1978.
- Ehrentreutz (A.S.), Arabic Dinars Struck by the Crusaders, in J. E. S. H. O., 1964.
- Fahmy (Dorrya), L'Histoire de France A Travers La Chanson, Alexandrie, 1950.

- Fink (H.), Fulcher of Chartres, Historian of the Latin Kingdom of Jerusalem, in S. M., vol. 5 , 1975.
- Glaesner (H.), Raoul de Caen, Historien et Ecrivain, in R. H. E., vol. 46, 1951.
- Gransden (A.), Historical Writing in England (550 - 1307), 2 vols, London, 1974.
- Gutstein (M.), Maccabees, in C. E., vol. 15, New York, 1984.
- Hagenmeyer (H.), Die Kreuzzugsbriefe, Insbruck, 1901.
  - Chronologie de la Premiere Croisade, 1094 - 1100, in R. O. L., vols. 6 - 8 , Paris, 1902 - 11.
- Hamilton (B.), The Latin Church in the Crusader States, the Secular Church, London, 1980.
- Hill (John H. and Laurita L.), Raymond IV de Saint Gilles, Toulouse, 1959.
- Huygens (R. B. C.), Editing of William of Tyre, in S. E., vol. 27, 1984.
  - Guillaum de Tyre Etudiant , un Chapiter (XIX, 12) de son "Histoire", retrouvé, in Latomus, vol. 21, 1962.
- Krey (A.C.), A neglected Passage in the Gesta , in The Crusades and other Historical Essays Presented to D. C. Munro, New York, 1928.
- La Monte (J. L.), From Crusading Kingdom to Commercial Colony, in B. P. I. A. S. A., vol. 3, 1944 - 45 .

- Lopez (R.S.), The Dollar of the Middle Ages, in J. E. H. , vol. XI, 1951.

- Back to Gold , in E. H. R. ,vol. 9, 1957.

- Louis and J. Riley - Smith, Inecrusades, Idea and Reality, London, 1981.

- Nesbitt (J.W.)m The rate of March of Crusading Armies in Europe, in Traditio, vol. 19 , 1963.

- Oman (Charles), A History of the Art of of war in the Middle Ages, 2 vols, London, 1924.

- Ostrogorsky (G.), History of the Byzantine State, English trans. by Joan Hussey, Oxford, 1924.

- Pirenne (H.), Medieval Cities, trans. by Frank D., Princeton, 1948.

- Porges (Walter), The Clergy , the Poor, and the Non - Combatanton the First Crusade, in Speculum, vol. 21, 1946.

- Prawar (J.), Crusader Institutions, Jerusalem, 1980.

- The Latin Kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1972.

- Price (J.M.), Coins. An Illustrated Survey (650 B. C. to the Present time), London, 1969.

- Rabie (Hassanin), The Financial System of Egypt, A. H. 564 - 741, A. D. 1169 - 1341, London, 1972.

- Rey (E.G.), Etudes sur les Monuments de L'architecture militaire des Croisades en Syrie et dans Lile de Chypre, Paris, 1871.

- Richard (J.), Raymond d'Aguilers, Historien de la Premiére Croisade, in J. S. , 1971.

- The Latin Kingdom of Jerusalem, Trans. by J. Sheriley, Oxford, 1979.

- Riley - Smith (J.), The Title of GodFrey of Bouillon, in B. I.H. R., vol. LII, 1979.

- Runciman (Steven), - The First Crusaders' Journey across the Balkan Peninsula, in B., vol. 18, 1948.

- The Medieval Manichee, Cambridge, 1955.

- A History of the Crusades, 3 vols., Cambridge, 1968.

- Tatcher (Oliver), Critical Work on the sources of the Firs Crusade, in A. R.A. H. A., vol. 1 , 1900.

- Vasiliev (A.A.), History of the Byzantine Empire, 2 vols, Wisconsin , 1961.

- Wiener (M.), Castles of the Crusaders, London, 1960.

(٤) المراجع العربية والمعربة

- **السيد الباز العريني (دكتور) :**

- الدولة البيزنطية (٣٢٣ - ١٠٨١م) ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

- مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

- **السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :**

- تاريخ الأسكندرية وحضارتها ، الأسكندرية ، ١٩٦١م .

- التاريخ والمؤرخون العرب ، الأسكندرية ، ١٩٦٧م .

- **جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :**

- الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي ، الأسكندرية ، ١٩٦٦م.

- العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولي ، الأسكندرية ، ١٩٦٧م.

- الإسلام والمسيحية وصراع القوي بينهما في العصور الوسطي ، الأسكندرية ، ١٩٨٦م .

- العدوان الصليبي علي بلاد الشام ، الأسكندرية ، ١٩٨٩م .

- **حسين محمد عطية (دكتور) :**

- إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨ - ١١٧١م) ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الأسكندرية ، ١٩٨١م .

- إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١م - ١٢٦٨م) ، الأسكندرية، ١٩٨٩م .

- عُشر صلاح الدين وأصوله التاريخية في أوربا ومملكة بيت المقدس الصليبية ، مجلة المؤرخ المصري ، يصدرها قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد السادس ، ١٩٩١ م .

- **ستيفن رانسيمان :**

" الحضارة البيزنطية " ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، ١٩٦١م.

- **سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :**

" الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصر الوسطي " ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

- **سعيد عبد الله البيشاوي (دكتور) :**

" الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية " ، الأسكندرية ، ١٩٩٠م .

- **عباس العزاوي :**

" التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان " بغداد ، ١٩٥٧م.

- **محمد محمد مرسي الشيخ (دكتور) :**

- الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتي سقوط الرها ، الأسكندرية ، ١٩٧٢م.

- الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، الطبعة الأولي، الأسكندرية ، ١٩٨٠م .

- **ناصر النقشبندي (دكتور) :**

" الدينار الإسلامي " مجلة سومر ، جـ ٢ ، بغداد ، ١٩٤٥م .

قائمة مصادر ومراجع الترجمة الإنجليزية

المختصرات

- Albert - Albertus Aquensis, Historia Hierosolymitana in Recueil des historiens des croisades : historiens occidentaux 4 (Paris,1879).

- Bartsch - Bartsch , Karl 1920, Chrestomathie de l'ancien francais (Leipzig).

- Blaise - Blaise, Albert. 1966. Le Vocabulaire latin des principaux thèmes liturgiques (Turnhout).

- Bongars, Gesta - Gesta Dei per Francos sive orientalium expeditionem et regni Francorum Hierosolymitani historia a variis sed illius aevi scriptoribus litteris commendata, edited by Jacques Bongars (Hanau, 1611).

- Bréhier, Gesta - Histoire anonyme de la première croisade, edited by Louis Bréhier (1924).

- La Chanson d'antioche - edited by Paulin Paris (2 v., Paris, 1848).

- Ekkehard - Ekkehardus Uraugiensis abbas, Hierosolymita, edited by Heinrich Hagenmeyer (Tubingen, 1877).

- Grandgent - Grandgent, C. H. 1962. An Introduction to Vulgar Latin (New York).

- Hagenmeyer, Gesta - Anonymi gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum edited by Heinrich Hagenmeyer (Heidelberg, 1890).

- H. Chr. - Hagenmeyer, Heinrich, 1902 - 1911. Chronologie de la première croisade, 1094 - 1100. Revue de l'Orient latin, 6-8.

- HGL - Davic, Dom. Cl. and Dom. J. Vaissete, 1872-1893. Histoire générale de Languedoc (15 v., Toulouse).

- Liber - Raimnundus de Aguilers, Le Liber de Raymond d'Aguilers, edited by John Hugh and Laurita L. Hill in Documents relatifs à l'histoire des croisades publiés par L'Académic des inscriptions et belles-lettres (Paris, 1969).

- MPL - Patrologiae cursus completus : Series Latina, edited by J. P. Migne (Paris, 1844 - 1864).

- Raymond d'Aguilers - Raimundus de Aguilers, Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem, edited and translated by John Hugh and Laurita L. Hill, Mem. Amer. Philos. 71 (Philadelphia, 1968).

- Raymond IV - John Hugh and Laurita L. Hill. 1962. Raymond IV, Count of Toulouse (Syracuse).

- RHG Occ. - Recueil des historiens des croisades : historiens occidentaux 4 (Paris, 1844-1895).

- Schwan-Behrens - Schwan-Behrens. 1932. Grammaire de l'ancien Francais translated by Oscar Bloch (Leipzig).

- Troper - The Winchester Troper from MSS of the Xth and XIth Centuries, edited by Walter Howard Frere in Henry Bradshaw Society 8 (London, 1894).

(١) المصادر

- Acta sanctorum quotque toto orbe coluntur, vel a Catholicis scriptoribus celebrantur (Antwerp, Paris, Rome, Brussels, 1643-1940).
- The Alexiad of the Princess Anna Comnena, translated by Elizabeth A. S. Dawes (London, 1928).
- Albertus Aquensis . Historia Hierosolymitana in Recueil des historiens des croisades : historiens occidentaux 4 (Paris, 1879).
- Ambroise, L'Estoire de la Guerre Sainte edited and translated by Gaston Paris (Paris, 1897).
- Ambrose. De Excidio Urbis Hierosolimitanae in Patrologiae cursus completus : Series Latina, 15 edited by J. P. Migne (Paris, 1844-1864).

.... De Excessu fratris sui Satyri in MPL 15.

.... Epistolae in MPL 16.

- Anonymi gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum, edited by Heinrich Hagenmeyer (Heidelberg, 1890).
- Anonymi Gesta Francorum, edited by B. A. Lees (Oxford, 1924).
- Baldricus Dolensis. Historia Jerosolimitana in RHC Occ. 4 (Paris, 1879).
- Biblia Sacra (Rome, 1947).

- Breviarium Romanum (4 v., Ratisbonae, 1923).
- La Chanson de la croisade Albigeoise, edited and translated by E. Maruin-Chabot. In : Les Classiques de l'histoire de France au Moyen Age 1 (Paris, 1931).
- La Chanson d'Antioche, edited by Paulin Paris (2 v., Paris, 1848).
- La Chanson d'Antioche Provencale ed. & trs. Paul Meyer in Archives de l'Orient Latin 2 (Paris, 1884).
- La Chanson de Roland, edited and translated by Léon Gautier (Tours, 1887).
- Comnena, Anna. Alexiade. Règne de l'empereur Alexis I Comnèe (1081-1181), edited by B. Leib in Collection byzantine de l'Association Guillaume Budé (Paris, 1937 - 1945).
- La Conquéte de Jerusalem, edited by C. Hippeau (Paris, 1868).
- RHC : Documents Armeniéns I (Paris, 1869).
- Eginhard. Vie de Charlemagné, edited and translated by Louis Halphen, in Les classiques de l'histoire de France au Moyen Age (Paris, 1923).
- EKKehardus Uraugiensis Abbas. Hierosolymita, edited by Heinrich Hagenmeyer (Tubingen, 1877).
- English Kalendars before A.D. 1100, edited by Francis Wormwald. In : Henry Bradshaw Society 72 (London, 1934).
- Fulcher of Chartres. A Hisotry of the Expedition to Jerusalem, 1095 - 1127, edited by Harold S. Fink and translated by Frances Rita Ryan (Knoxville, 1969).

- Fulcherius Carnotensis. Historia Hierosolymitana. Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium in RHC Occ. 3 (Paris, 1866(.

.... Historia Hierosolymitana. Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium, edited by Heinrich Hagenmeyer (Heidelberg, 1913).

- Gesta Dei per Francos sive orientalium expeditionum et regni Francorum Hierosolymitani hietoria a varus sed illius aevi scriptoribus litteris commendata, edited by Jacques Bongars (Hanau, 1611).

- Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum. The Deeds of the Franks and other Pilgrims to Jerusalem, edited and translated by Rosalind Hill (London, 1962).

- Guibertus Novigentus, Historia quae dicitur Gesta Dei per Francos in RHC Occ 4 (Paris, 1789).

- Hagenmeyer, Heinrich. Die Kreuzzugsbriefe aus den Jahren 1088 - 1100 (Innsbruck, 1901).

- Historie anonyme de la première croisade, edited and translated by Louis Bréhier in Les Classiques de l'hisotire de France au 'Moyen Age 4 (Paris, 1924).

- Missale Romanum Mediolani 1474, edited by Robert Lippe in Henry Bradshaw Society 17, 33 (London, 1890, 1907).

- New Testament Apocrypha, edited and translated by Edgar Hennecke (2 v., Philadelphia, 1964).

- Notitiae duae Lemovicensis de praedicatione crucis in Aquitania, In RHC Occ. 5 (Paris, 1895).

- Rabanus Maurus. De Universo. In : MPL III .

- Radulphus Cadomensis . Gesta Tancredi in expeditione Hierosolymitana. In : RHC Occ. 3 (Paris, 1866) .

- Raimundus De Aguilers. Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem, edited and translated by John Hugh and Laurita L. Hill. Mem. Amer, Philos. 71 (Philadelphia, 1968).

.... Le " LIber" de Raymond d'Aguilers, edited by John Hugh and Laurita L. Hill. In : Documents relatifs à l'historie des crosiades publiés par L'Académie des inscriptions et belles - lettres (Paris, 1969).

.... Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem. In : RHC Occ. 3 (Paris, 1866) .

- Robertus Monachus. Historia Hierosolymitana. In : RHC Occ. 3 (Paris, 1866).

- Sarum Missal, edited by J. W. Legg (Oxford, 1916).

- The Testament of Abraham, edited by W. E. Barnes (Cambridge, 1892).

- Tropaire-Prosier de l'abbaye Saint-Martin de Montauriol, edited by abbé Camille Daux in Bibliothèque Liturgique 9 (Paris, 1901).

- The Winchester Troper from MSS of the Xth and XIth Centuries, edited by Walter Howard Frere, In : Henry Bradshaw Society 8 (London, 1894).

- Tuderodus, Petrus. Historia de Hierosolymitana itinere, edited by John Besly. In : Hisotira Francorum scriptores, edited by A. Duchesne 4 (Paris, 1641).

.... Historia de Hierosolymitano itinere. In : RHC Occ 3 (Paris, 1866) .

- Willelmus Tyrenis Archiepiscopus. Historia rerum in partibus transmarinis gestarum . In : RHC Occ. 1 (Paris, 1844).

- William of Tyre . A History of Deeds Done Beyond the Seas, translated by E. A. Babcock and A. C. Krey (New York, 1948).

- Notes referring simply to Missal, Office , or Breviary are cited according to standard divisions of these works found in the Breviarium Romanum and Missale Romanum, Latin, English, or combined versions.

(٢) المراجع

- Adams, Edward L. 1913 . Word Formation in Provencal (New York).

- Andressohn, J. C. 1947. The Ancestry and Life of Godfrey of Bouillon (Bloomington).

- Appel, Carl. 1902. Provenzalische Chrestomathie (Leipzig).

- Arbellot, Abbé. 1881 . Les Chevaliers Limousins à la premiére croisade (Paris).

- Bartsch, Karl. 1902. Chrestomathie de l'ancien francais (Leipzig).

- Bédier, Joseph. 1908 - 1913. Les légendes epiques, recherches sur la fromation des chansons de geste (4 v., Paris) .

- Blaise, Albert. 1966. Le Vocabulaire Latin des principaux thèmes liturgiques (Turnhout).

- Britt, Matthew. 1936. The Hymns of the Breviary and Missal (New York).

- Brundage., James T. 1959. " Adhémar of Puy. The Bishop and His Critics. " Speculum 34.

.... 1960. " An Errant Crusader : Stephen of Blois. " Traditio 16.

.... 1964. " Recent Crusade Historiography : Some Observations and Subbestions. " Catholic Hist. Rev. 49.

- Grégut, G. Regis . 1895. Le concile de Clermont en 1095 et la première croisade (Clermont - Ferrand).

- David, Charles W. 1920. Robért Curthose, Duke of Normandy (Cambridge).

- Deshamps, Paul. 1934. Les Chateaux des croisès en Terre Sainte : le Cvac des Chevaliers (Paris).

- Devic, Dom. Cl. and Dom. J. Vaissete. 1872 - 1893 . Histoire générale de Languedoc (15 v., Toulouse).

- Downey, Glanville. 1961. A History of Antioch in syria (Princeton).

- Duke, May Graham Matthews. 1967. " A Study of the Problems of Authorship and Style of the Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum" (unpublished thesis, Univeristy of Houston).

- Duncalf, Frederic. 1921. " The Peasants' Crusade." Amer. Hist. Rev. 26.

- Dussaud, René. 1927. Topographie historique de la Syrie antique et médiévale (Paris).

- Ebersolt, Jean. 1921. Sanctuaires de Byzance (Paris).

- Gavigan, John Joseph. 1934. The Syntax of the Gesta Francorum. In : Supplement to Language (Baltimore).

- Giry, A. 1894. Manuel de diplomatique (Paris).

- Grandgent, C. H. 1962. An Introduction to Vulgar Latin (New Yrok).

- Grousset, René. 1934 - 1936. Historie des croisades et du royaume franc de Jérusalem (3 v., Paris).

.... 1879. Peter der Eremite. Ein kritischer Beitrag zur Geschichte des ersten Kreuzzuges (Leipzig).

- Hill, John Hugh. 1951. " Raymond of Saint-Gilles in Urban's Plan of Greek and Latin Friendship." Speculum 26.

- Hill , Hohn Hugh and Laurita L. 1955. " Contemporary Accounts and the Later Reputation of Idhémar, Bishop of Puy . " Medievalia et Humanistica 9.

- Hill , John Hugh and Laurita L. 1953. " The Convention of Alexius Comnenus and Raymond of Saint-Gilles : Christiane milicie excellentissimus princeps. Annales du Midi 66.

- Hill, John Hugh and Laurita L. 1959. Raymond IV de Saint-Gilles 1041 (ou 1042) - 1105. Bibliothèque Méridionale, Série historique 35 (toulouse).

- Hill , John Hugh and Laurita L. 1962. Raymond IV, Count of Toulouse (Syracuse).

- Hill, John Hugh and Laurita L. 1960. L'Allégorie chrétienne dans les récits relatifs au Wineland. " Le Monen Age n . 1 - 2 .

- Jorga, Nicolas. 1928. Les Narrateurs de la première croisade (Paris).

- Jaurgain, Jean De. 1902. La Vasconie, étude historique et critique sur les origines du royaume de Navarre, du duché de Gascogne, des comtés de Comminges, d'Aragon, de Foix, de Bigorre, d'Alava et de Biscaye, de la vicomté de Béarn et des grand fiets du duché de Gascogne 2 (Pau).

- Knappen, Marshall M. 1928. " Robert II of Flanders in the First Crusade. " The Crusades and other Histroical Essays Presented to Dana C. Munro (New York).

- Krey, A. C. 1958. The First Crusade (Gloucester).

.... 1928. " A Neglected Passage in the Gesta and its Bearing on the Literaure of the First Crusaade . " The Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro (New York).

.... 1948. " Urban's Crusade, Success or Failure?" Amer. Hist. Rev. 53.

- Langlois, Ernest. 1904. Table des noms propre de toute nature compris dans les chansons de geste (Paris).

- Lewis, Archibald I. 1972. " The Economic and Social Development of the Balkan Peninsula during Comneni Times A.D. 1081 - 1185. " Actes du Ile Congrès International des Etudes du Sud-Est Européen 2.

- Martin , Trice. 1892. The Record Interpreter (London).

- Mayer, Hans Eberhard. 1960. Bibliographie zur Geschichte der Kreuzzilge (Hannover).

.... 1965. Geschichte der Kreuzzuge (Stuttgart).

.... 1960. " Zur Beurteilung Adhemars von Le Puy. " Deutsches Archiv, n. 2.

- Munro, Dana G. 1906. " The Speech of Pope Urban II at Clermont, 1095. " Am. Hist. Rev., II.

- Nesbitt, John W. 1963. " The Rate of March of Crusading Armies in Europe." Traditio 19.

- Nicholson, Robert Lawrence. 1940. Tancred : A Study of His Career and Work in Their Relation to the First Crusade and the Establishment of the Latin States in Syria and Palestine (Chicago).

- Paris, Gaston, 1880. " La Chanson du Pélerinage de Charlemagne." Romaina 9.

- Rey, Eduard G. 1869. Les Familles d'outre-mer de du Cange (Paris).

- Ruinart, Thifrr, 1881. Vita Urbani, MPL 131.

- Runciman, Steven. 1951. A History of the Crusades I (Cambridge) .

- Saulcy, F. De. 1842. " Tancrède. " Bibliothèque de l'Ecole des Charles 4.

- Schwan - Behrens. 1932. Grammaire de l'ancien Francais, translated by Oscar Bloch (Leipzig).

- Sybel., Heinrich von. 1841. Geschichte des ersten Kreuzzuges (Dusseldorf).

.... 1861. The Hisotry and Literature of the First Crusade, translated by Lady Duff Godron (London).

- Turoop, Palmer A. 1940. Criticism of the Crusades, A Study of Public Opinion and Propaganda (Amsterdam).

- Thurot, Ch. 1876. " Historiens de la première croisade. " Revue Historique I.

- Wehr, Hans. 1966. A Dictionary of Modern Written Arabic (Ithaca).

- Yewdale, Ralph Bailey, 1917. Bohemond I, Prince of Antioch (Princeton).

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
تقديم بقلم الأستاذ الدكتور / جوزيف نسيم يوسف	٥
تصدير الترجمة العربية	٧
مقدمة الترجمة العربية :	١٠
- الحملة الصليبية الأولي : مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٠٠م) . - الكتابة التاريخية زمن الحملة الصليبية الأولي : - توديبود وتاريخه . - توديبود بين مؤرخي الحملة الصليبية الأولي :	
مقدمة الترجمة الإنجليزية	٤١
الفصل الأول : دعوة البابا أوربان والحملة الشعبية	٦١
الفصل الثاني : رحلة الجيش الرئيسي إلي القسطنطينية	٧٥
الفصل الثالث : الإستيلاء علي نيقية والمسير إلي أنطاكية	١١٠
الفصل الرابع : بداية حصار أنطاكية	١٣٥
الفصل الخامس : المرحلة الأخيرة من حصار أنطاكية	١٦٤
الفصل السادس : الإستيلاء علي أنطاكية وحصار كربوغا	١٨١
الفصل السابع : تحذيرات : العرب والمسيحيين	٢٠١
الفصل الثامن : المحن والشدائد ، وانتصار الصليبيين	٢٢٣
الفصل التاسع : الإقامة المؤقتة في أنطاكية وغارات الصليبيين	٢٢٥
الفصل العاشر : الرحيل من معرة النعمان إلي بيت المقدس	٢٨٩
الفصل الحادي عشر : الإستيلاء علي بيت المقدس	٣١٣
الفصل الثاني عشر : معركة عسقلان	٣٣٧
تسنين أهم الأحداث التاريخية	٣٥١
فهرست الخرائط	
- خريطة رقم (١) : خط سير القوات البروفنسالية والقوات النورماندية إلي أنطاكية	١٠٩

الصفحة	الموضوع

الموضوع	الصفحة
- خريطة رقم (٢) : الصليبيون في بلاد الشام وفلسطين	٢٥٤
- قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الترجمة العربية في المقدمة والهوامش	٣٥٤
- قائمة مصادر ومراجع الترجمة الإنجليزية	٣٦٨
- محتويات الكتاب	٣٨١

PETER TUDEBODE
Historia de Hierosolymitano Itinere

Translated into English
with introduction and notes
by

John Hug Hill and Laurita L. Hill
University of Houston

Translated into Arabic and annotated
By

Dr. Hussein M. Attiya
Tanta University - Faculty of Arts

Foreword By

Prof. Jousef Nassim Yousef
Alexandria University

Publishers
Dar El - Maarifa Al - Gamiya
1992

رقم الإيـــداع ٧٢٦٧/ ٩٢

الترقيم الدولى ٠ - ٨٨ - ٥١١٦ - ٩٧٧